*

Total Damage And
Page missing
And Text cut

*

*

190064

*

٥٣



تأليف

جرجي زيدان

منشىء الهلال

الجزء الثاني

يشتمل على تراجم رجال العلم والادب

الذين توفوا في اثناء القرن التاسع عشر
واول هذا القرن وفيهم اركان النهضة العلمية والمنشئون
وكتاب الجرائد وسائر رجال الاقلام والشعراء

الطبعة الثالثة

مطبعة الهلال بشارع نوبار نمرة ٤ بمصر
سنة ١٩٢٢



تأليف

جرجي زيدان

منشىء الهلال

الجزء الثاني

يشتمل على تراجم رجال العلم والادب

الذين توفوا في اثناء القرن التاسع عشر
واول هذا القرن وفيهم اركان النهضة العلمية والمنشئون
كتاب الجرائد وسائر رجال الاقلام والشعراء

*

مقدمة الطبعة الاولى

صدر الجزء الاول من هذا الكتاب وفيه تراجم رجال الادارة والسياسة الذين نبغوا في الشرق في القرن التاسع عشر الماضي ٠ وخصصنا الجزء الثاني هذا لتراجم الذين نبغوا فيه بالعلم والادب والشعر ممن توفوا قبل دخول هذا القرن من أهل الشرق او الافرنج الذين خدموا الشرق وقضوا معظم حياتهم فيه كأنهم من ابنائه كالدكتور كاوت بك والدكتور فان ديك وغيرهما

وقسمنا تلك التراجم الى اربعة ابواب جمعنا تحت كل منها فئة من هؤلاء المشاهير يشتركون في صفة واحدة . ورتبنا تراجمهم في كل باب باعتبار سني وفاتهم اما الابواب هي :

١ أركان النهضة العلمية الاخيرة
٢ المنشئون وكتاب الجرائد
٣ سائر رجال الاقلام
٤ الشعراء

ولا يخفى ان التقسيم المذكور تقريبي اذ يغلب أن يشترك الواحد من هؤلاء في الانشاء والشعر أو يكون من أركان النهضة ومن المنشئين معاً . فوضعنا كلا منهم في الباب الذي يغلب فيه واشرنا الى اشتراكه في سواه

وقد بذلنا الجهد في تحري أعمال هؤلاء المشاهير ومناقبهم من أوثق المصادر واصدق الروايات مع ما خبرناه بنفسنا ممن عاصرناهم وعرفناهم . ولم ندخر وسعاً في
٠ أهل القرن الماضي والبحث عن تراجمهم مع ما يحول
نشورة في هذا الشأن . فسعينا في الحصول على
حم البعض من اقاربهم أو اصدقائهم برسائل
الهلال. ومع ذلك لا يزال بعض تلك
ها فاذا توفر لنا ذلك واجتمع

فنتقدم الى اهل الاطلاع ان يبعثوا الينا بما يعرفونه من تراجم من فاتنا ذكرهم من رجال العلم أو الادب أو الشعر من أهل القرن التاسع عشر في أي اقليم من اقاليم الشرق — في مصر أو الشام أو جزيرة العرب أو العراق أو فارس أو الهند أو غيرها من سائر المشرق . والله المسئول ان يلهمنا السداد وهو حسبنا ونعم الوكيل

(كلوت بك) وكان في جملة من استخدمهم الاصلاح العلمي النظامي الشهير الدكتور كلوت بك صاحب الترجمة استقدمه من أوربا بقصد تطبيب الجيش منعاً لتفشي الامراض فيه . وهو فرنساوي الجنس والنزعة واسمه الاصلي انطون برطلمي كلوت ولد في غرينوبل بفرنسا سنة ١٧٩٣ م من أبوين فقيرين وربي في شظف من العيش وضيق ذات اليد على ان ملامح النجابة كانت تلوح على وجهه ومواهبه الطبية تجلى في اعماله منذ كان صبياً لانه كان على صغره ولعاً بتشريح الحشرات ودرس طبائعها . وتوفي والده سنة ١٨٠١ م بعد ان نزح الى برينول وكان له صديق اسمه الدكتور سابيه فلما عاين ما في الغلام من المواهب على حاله من الفقر جعله مساعداً له يرافقه في اعماله الطبية ويتمرن في الجراحة وكان كلوت يطالع ذلك العلم بنفسه ساعات الفراغ حتى قرأ كتاب الجراحة تأليف (لافه) ثم رأى أن برينول اصغرها لا تفي بما تجنح اليه نفسه ولا تروي مطامعه فنزح الى مرسيليا رغم ارادة والدته التي كانت كثيرة التعلق بولدها هذا لانه كان وحيداً لها ولكنه اصر على عزمه وضغط على عواطفه طلباً للعلى وسعياً وراء العلم وهو لا يملك الا بعض الدريهمات وشيئاً من الثياب على انه لم يلاق في مرسيليا الا الخيبة فحدثته نفسه ان يسافر في سفينة جراحاً لبحارتها ويتحمل مشاق الاسفار واخطارها سداً لعوزه وهو في التاسعة عشرة من سنه فلم يقبله ربانها وكان ذلك لحسن حظ المترجم لان السفينة غرقت في ذلك السفر

فاضطره العوز لتعاطي مهنة الحلاقة فصار يختلف الى حلاق يعالج بالفصد والجراحة الصغرى . ثم عاد الى بلده مرغماً ودخل في المستشفى بعد عناء وتكرار الالتماس واكب على الدرس والمطالعة حتى نبغ بين اقرانه ولكن الفقر كان لا يزال ضارباً اطنابه بين يديه . وفي سنة ١٨١٧ اتم دروسه وعين طبيباً صحياً وكان قد درس العلوم بنفسه واتقن اللغة اللاتينية على احد القسوس ونال رتبة بكلوريوس في العلوم (بكلوريا) وفي سنة ١٨٢٠ نال شهادة الدكتورية بعد شق الانفس ومعاناة البلاء ولكنه اصبح قابضاً على ما يؤهله للعمل والتعيش . فعاد الى مرسيليا وعين طبيباً ثانياً بمستشفى الصدقة ومستشاراً جراحياً بمستشفى الايتام فنمّ به بعض ذوي الحسد فاقيل من منصبه ولكنه لم يسع في الانتقام بل تضاعفت همته في العمل — اراد بذلك ان يبرهن على عدم اكتراثه بالسعاية والوشاية وانه انما ينال الشهرة والسعادة بالسعي والاجتهاد فكتب كتاباً في استعمال آلات الولادة في الاحوال الخطيرة حتى صار دكتوراً في فن الجراحة وذاع صيته في مرسيليا وكان ذلك كافياً لرغم انف حسوده

وفي سنة ١٨٢٥ اجتمع اليه المسيو تورنو وكان تاجراً فرنساوياً من نزالة مصر بعث به المغفور له محمد علي باشا لاختيار من يليق بمنصب طبيب لجيشه فجيب اليه المسير الى مصر في ذلك المنصب فقدم على طيب خاطر فرأى امامه باباً واسعاً للعمل لما قد علمت من حاجة البلاد الى الاصلاح الطبي فاخذ يعمل ليله ونهاره مفكراً في الوسائل المؤدية الى المراد. وكان محمد علي باشا يركن اليه ويثق برأيه ويجيب مطاليبه فاسس اولا مجلساً صحياً ليستعين بأعضائه على الاجراء والتنفيذ وبث الوصايا الصحية فرتبه على مثال المجالس الصحية الفرنساوية ولاتمام النظام العسكري أنشأ المستشفيات العسكرية ومصلحة الصحة البحرية. ولا يخفى أن المستشفيات تحتاج الى عملة من الاطباء والتومرجية وغيرهم ولم يكن في مصر شيء من ذلك فاضطر ان يعلم كلاً من هؤلاء واجباته من التطبيب وملاحظة المرضى وغير ذلك . وأشهر المستشفيات التي بنيت بناء على اشارته مستشفى ابي زعبل وهي قرية على مسافة اربعة فراسخ من القاهرة وكانت مقر الجند وانشأ في المستشفى بستاناً للنبات

وفي نحو سنة ١٨٢٨ م اسس المدرسة الطبية في تلك القرية أيضاً اراد بذلك ان لا يقتصر الطب على الجيش بل يتعلمه أبناء البلاد حتى يفيدوا ابناء جلدتهم بتطبيبهم وتعليمهم وكان في السنين الاولى من تأسيس هذه المدرسة هو وحده الذي يلقي الدروس بواسطة المترجمين تسهيلاً لفهمهما فترجمت كتب عديدة اذ ذاك وفي جملتها قاموس نستين الطبي وغيره من كتب الطب والجراحة والعلوم الطبيعية. ومما كان عقبة في طريق التشريح العملي ان تشريح جثث الموتى كان أمراً منكراً في عيون المشارقة فبذل كلوت جهده حتى أبيح له التشريح سراً على ان ذلك لم ينجه من غضب الاهالي عليه حتى ان احدهم جاءه يريد قتله خلسة بخنجر ولكنه لم يفز

وفي سنة ١٨٣٢ سار الدكتور كلوت بك في ١٢ تميذاً من تلامذة مدرسته هذه لامتحانهم في باريس فامتحنتهم الجمعية العلمية الطبيـة فجازوا استحسانها واظهروا كل نجابة وذكاء وبراعة . وهاك اسماء هؤلاء التلامذة :

احمد الرشيدي	مصطفى السبكي
حسن الرشيدي	محمد الشباسي
محمد منصور	« السكري
ابراهيم النبراوي	« الشافعي
حسين الهيهاوي	احمد بخيت
عيسوي النحراوي	محمد علي البقلي

وقد كان نجاح هؤلاء المصريين في امتحانهم موجباً لسرور أستاذهم كلوت بك سروراً زائداً لأنهم سيكونون له عوناً في نشر الفوائد الطبية والوصايا الصحية في هذه الديار

وفي سنة ١٨٣٨ نقلت المدرسة الطبية من أبي زعبل الى القاهرة وهي المعروفة بمدرسة قصر العيني . ثم انشأ فيها فرعاً لدرس فن القبالة يتعلمها النساء لعلمه ان عوائد المشارقة لا تسمح بولادة النساء على يد أطباء من الرجال وأنشأ لهن مستشفى خاصاً بهن وكان لهذه الخدمة فائدة عظمى خصوصاً لان النساء لمبالغتهن في التحجب لا يؤذن للطبيب بمساعدتهن في الولادة ولا الكشف عليهن في تشخيص بعض الامراض فكم كان يموت منهن لنقص المعالجة . اما بعد مدرسة القوابل فصارت القابلة (الداية) تقوم باعمال الطبيب في معالجة النساء فكم شفت أنفساً وكم أنقذت أناساً من الموت باذن الله

ثم رأى تعميما للفوائد الصحية ان ينشيء اماكن للاستشارة الطبية بالقاهرة والاسكندرية ففعل وجعل في كل استشارة اجزاخانة وانشأ اماكن كثيرة لمعالجة المرضى كالمستشفيات وغيرها في المدن الكبيرة في القطر . وادخل تطعيم الجدري للاطفال والغلمان ولم يكن متداولا قبل ذلك بمصر فاوقف انتشار ذلك الوباء وكان يموت بسببه قبل ذلك الوف كل سنة وقد ظهرت نتائج اجرآت الدكتور كلوت بك الصحية في ازدياد عدد سكان القطر الى اضعاف ما كانوا عليه

واظهر الدكتور كلوت سنة ١٨٣٠ من الهمة في دفع داء الكوليرا ومعالجة المصابين ما يشهد له به التاريخ وقد عرف له ذلك محمد علي باشا فانعم عليه على أثر ذلك برتبة « بك » وهي رتبة لم يكن ينالها الا نفر قليل وكلوت اول من نالها من الاوربيين على ما نعلم . وأنعمت عليه الحكومة الفرنساوية ايضاً برتبة ليجيون دونور . وفي سنة ١٨٣٥ ظهر الطاعون بالقاهرة فخاف الاطباء واعتزلوا في بيوتهم خوفاً من العدوى الا الدكتور كلوت بك وثلاثة من زملائه فانهم ثابروا على خدمة المرضى ومعالجتهم وقد رأى صاحب الترجمة ان هذا الداء غير معد بمجرد الدنو من المرضى ومعالجتهم وقد طعم نفسه بالصديد الجدري المعروف بالمادة الفحمية

وكان لخدمته هذه وقع حسن في عيون محمد علي باشا وسائر من عرفه . فبعد انقضاء تلك الازمة انعم عليه محمد علي باشا برتبة (جنرال) وكتب اليه بذلك يقول « لقد تقلدت بصنيعك هذا قلادة الفخر فقد جعلتك لذلك جنرالا » وأنعمت عليه الدولة الفرنساوية برتبة اوفيسيه دي لا ليجيون دونور واهدته سائر الدول الاخرى نياشين بطبقات مختلفة اقراراً بخدمتها في معالجة رعاياها اثناء ذلك الوباء

وفي سنة ١٨٤٠ سار الى فرنسا وعرض كتابين من تأليفه احدهما يشتمل على أعماله في مصر والثاني في الحوادث الوبائية . ولما سار المرحوم ابراهيم باشا في حملته الى الشام رافقه صاحب الترجمة فزار اكثر مدن الشام . والتقى في بيت الدين بالامير بشير الشهابي فالتمس منه هذا ان يتوسط له لدى عزيز مصر في ادخال نفر من اللبنانيين مدرسة قصر العيني لدراسة صناعة الطب على نفقة الحكومة المصرية فاجاب ملتمسه ثم عاد الى مصر . وما زال عاملا بنشاط وغيرة حتى توفي محمد علي باشا ثم ابراهيم باشا وتولى عباس باشا الاول سنة ١٨٤٩ فاستأذنه الدكتور كلوت بك بالذهاب الى مرسيليا وبقي هناك حتى تولى سعيد باشا سنة ١٨٥٦ فعاد كلوت بك الى مصر وسنه ٦٣ سنة والظاهر انه رحل الى مرسيليا في عهد عباس باشا الاول لوحشة بينهما فاستشار سعيد باشا في من يليق لتولي ادارة المدرسة الطبية فاختار له خمسة من توابغ الاطباء وهم كلوتشي بك وفيجري بك وبرجير بك وشافعي بك ومحمد علي بك فتبادلوا رئاسة المدرسة الطبية والمستشفيات زمناً

أما كلوت بك فانه عاد الى باريس في سنة ١٨٥١ ونشر نبذة تتعلق بالحجور الصحية فأنعمت عليه الحكومة الفرنساوية برتبة كومندور دي لا ليجيون دونور . ومما ناله من علامات الشرف أيضاً لقب (كونت روماني) لقبه به بابا رومية لخدمة قام بها نحو المسيحيين وهو لقب يعطى لمن لا يقبل الرشوة . وفي سنة ١٨٦٠ سافر الى مرسيليا وتوفي فيها في ٢٨ اغسطس سنة ١٨٦٨

وكان الدكتور كلوت بك لين العريكة حسن الطوية محباً لابناء وطنه محافظاً على كرامة ديانته راغباً في العمل نشيطاً غيوراً متقناً لمهنته مخلصاً في خدمة الانسانية نزيهاً عن الاغراض الشخصية . ولذلك فقد تسابقت الدول الى اهدائه النياشين والرتب . وقد اهدي ولده تمثاله الى مدرسة الطب سنة١٨٩٤ فنصبوه بمشهد حافل من الوجهاء والعلماء والاطباء يتقدمهم ناظر المعارف بالنيابة عن الحكومة الخديوية

والف صاحب الترجمة فضلا عن المواضيع الطبية كتاباً عن مصر في مجلدين طبع سنة ١٨٤٠ بالفرنساوية صدره برسم محمد علي باشا ووصف فيه مصر ادارياً وزراعياً واجتماعياً على اختلاف الازمان وافاض في تاريخها الطبيعي وتقويمها بما فيها من السكان وعددهم واختلاف اجناسهم وآدابهم وعوائدهم ونظر في مصر نظراً دقيقاً من حيث تجارتها وصناعتها وعلومها وجندها واعمالها في الري وحفر الترع وما يشاهد من آثارها الى غير ذلك مما يعجز عن مثله سواه

وخلاصة القول ان الدكتور كلوت بك ممن يخلد ذكرهم في التاريخ المصري مدى الدهور

الشيخ ناصيف اليازجي

ولد سنة ١٨٠٠ وتوفي سنة ١٨٧١

(ترجمته) هو الشاعر المطبوع واللغوي المدقق والنحوي المحقق احد اركان النهضة اللغوية في بلاد الشام بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط بن سعد اليازجي اللبنانيّ المولد الحمصي الاصل هاجر جده سعد المذكور من حمص مع جماعة من ذويه نحو سنة ١٦٩٠ لحيف لحقهم في تلك الديار فتوطن اناس منهم في ساحل لبنان في الجهة المعروفة بالغرب وآخرون في وادي التيم وتفرق بعضهم في مواطن اخرى ولا تزال بقية اسرتهم في حمص ونواحيها وهم عشيرة كبيرة من ذوي الوجاهة واليسار

وكان مولد صاحب الترجمة في قرية كفرشيما من قرى الساحل المذكور في ٢٥ مارس سنة ١٨٠٠ وكانت وسائل التعليم اذ ذاك محصورة في جماعة الاكليروس فتلقى القراءة البسيطة على القس متى من قرية بيت شباب . وكان والده من الاطباء المشهورين في وقته على مذهب ابن سيناء وكان مع ذلك اديباً شاعراً الا انه كان قلما يتعاطى النظم لقلة الدواعي اليه اذ ذاك ومن شعره ابيات قرظ بها ديوان الخوري حنانيا المنير احد شعراء ذلك العصر لم يحفظ منها الا بيتان رواهما لنا حضرة حفيده اللغوي الشهير الشيخ ابراهيم اليازجي صاحب مجلة الضياء وقد اعتمدنا عليه في تحقيق اكثر ما اثبتناه في هذه الترجمة — أما البيتان فهما قوله في مطلع ذلك التقريظ

عش بالهنا والخير والرضوان يا من عنيت بنظم ذا الديوان
اني لقد طالعته فوجدته نظماً فريداً ما له من ثان

فنشأ ولده على الميل الى الادب والشعر واقبل على الدرس والمطالعة بنفسه وتصفح ما تصل اليه يده من كتب النحو واللغة ودواوين الشعراء ونظم الشعر وهو في العاشرة من عمره ومن نظمه في الصبا قوله

ولما تثنى وهو ريان معطف يميل على سفح العقيق ويخطر
تذكرت أغصان الرياض يهزها نسيم الصبا والشبه بالشبه يذكر

ومن ذلك قوله أيضاً

كفَّ عني لا أبالك قد تبينا محالك
وعرفناك والا فمتى نعرف حالك
قد مضى لي بك عصرٌ حاملاً فيه ملالك

حسب قلبي منك جورٌ كاد منه يتهالك
وكفانا ما احتملنا منك فاستدعِ احتمالك
سترى النادم منا ويسيء الله فالك

ولما لم تكن الكتب لذلك العهد ميسورة لقلة المطبوع منها اذ لم يكن في البلاد السورية ولا المصرية الا مطابع نادرة قلما كانت تشتغل بطبع الكتب العلمية كان جلّ معتمده على كتب يستعيرها من بعض الاديار والمكاتب القديمة . فمنها ما يقرأها مرة فيحفظ زبدتها ومنها ما ينسخها بخطه ولا يزال كثير من تلك الكتب باقياً الى اليوم محفوظاً عند اسرته وهي جميلة الخط على القاعدة الفارسية وبعضها يبلغ عدة مئات من الصفحات . وقد بلغ من كل علم من علوم العربية لبابه ودرس اشهر مصنفاته وله في

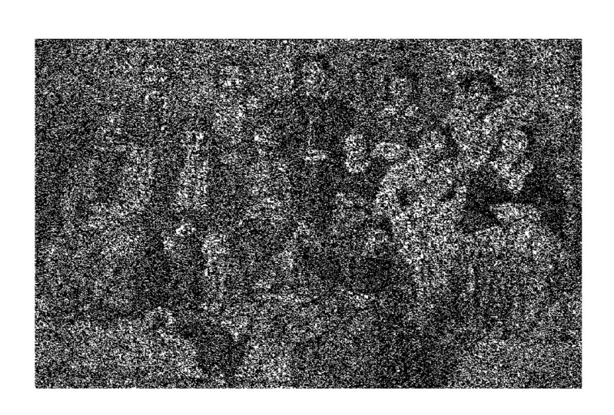


ش ٢ : الشيخ ناصيف اليازجي

جميعها تآليف مشهورة هي اليوم عمدة التدريس في اكثر المدارس المسيحية . وله ثلاثة دواوين شعرية تعد من عيون الشعر كثير منها محفوظ على الالسنة ولا سيما الابيات الحكمية منها وهي في شعره اكثر من أن تحصى وله المقامات المشهورة باسم مجمع البحرين وهي ستون مقامة اودعها من فنون الانشاء وصناعات البديع ومن غريب اللغة والفاظها المنتقاة وامثال العرب والآيات الشريفة ما دل على طول باعه وغزارة محفوظه وذلك فضلاً عما اودعها من المسائل العلمية في كل فن وما ضمن شرحها من تواريخ العرب وانسابهم ووقائعهم

ثم انه لما بلغ اشده اتصل بالامير بشير الشهابي الشهير (راجع ترجمته في الجزء

الاول من هذا الـكتاب) فقربه اليه وجعله كاتباً ليده . فلبث في خدمته اثنتي عشرة سنة . ولما كانت سنة ١٨٤٠ وهي السنة التي خرج فيها الامير بشير من البلاد الشامية انتقل صاحب الترجمة باهل بيته الى بيروت فاقام بها وتفرغ للمطالعة والتأليف والتدريس ونظم الشعر ومراسلة الادباء حتى لهج بذكره القطران الشامي والمصري



ش ٣ : الشيخ ناصيف اليازجي وامرأته واولاده سنة ١٨٦٤

الصف الاول :

وردة ضارة ابراهيم فارس عبد الله
توفي سنة ١٩٠٦ سنة ١٨٦٥ سنة ١٨٩٤

الصف الثاني :

مريم حنه صابات امرأة الشيخ الشيخ ناصيف حبيب نصار
سنة ١٩٠٠ سنة ١٨٨١ سنة ١٨٧١ سنة ١٨٧٠ سنة ١٨٧٦

الصف الثالث :

اسين راحيل خليل
سنة ١٨٧٩ سنة ١٨٨٩

وكانت تتوارد اليه ركائب الزائرين من كل صقع وفيهم العلماء والوزراء وفي جملة من زاره منهم محمد عزت باشا احد قواد الجنود السلطانية فمدحه بابيات ارتجالية يقول في مطلعها :

أعطى محمد عزة من فضله ۝ شرفاً لساحتنا بوطأة نعله

ومنها يقول :

يا زائراً يبقى أراك فتنته ۝ فعليك بيت غيره من مثله

اجللته عني فصرت أهابه ۝ حتى كأني لم أكن من اهله

واقبل أكابر الشعراء من جميع الانحاء العربية على مراسلته ومدحوه بما دل على وفور فضله وعلو كعبه في الشعر والادب ومما قال فيه الشيخ عبد الباقي العمري البغدادي حين وقف على النبذة الاولى من ديوانه

على نبذة من شعر ناصيف ذي الفضل ۝ وقفت ومني العين في موضع الرجل

وطأطأت اجلالا لها رأس شامخ ۝ لاخمصه هام العلى مواطىء النعل

وهي قصيدة طويلة يقول منها :

اذا انكرت دعواه في الشعر فتية ۝ اقام عليها شاهد العقل والنقل

وان رام شعري ان يباري شعره ۝ يقول شعوري انني عنك في شغل

وقرظ هذه النبذة أيضاً الشيخ عبد الهادي نجا الابياري بقصيدة مطلعها

هكذا تنسق اللآلي وتنضد ۝ هكذا تجمع المعاني وتحشد

هكذا هكذا الكلام كلامٌ ۝ صيغ درّاً بفكرة تتوقد

ومن هذه القصيدة يقول :

ما سمعنا بمثله عيسوياً ۝ يتحدى بمثل معجز احمد

ألمعي لكنه عيسوي ۝ كان أولى بفضل دين محمد

ومما قال فيه الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي :

ورا معانيه يصلي الورى ۝ اذا جرى الفرسان يوم الرهان

صرح بان الفضل امسى له ۝ ودع احاديث فلٍ أو فلان

وكفى بهذا القدر شاهداً على منزلته في عيون جلة العلماء من اهل عصره وهي أول مرة مدح فيها مسيحي بمثل هذا الكلام واجمع مثل هذه الطبقة على اطرائه وتفضيله ومن رام الوقوف على سائر اقوالهم فيه فليطالع ذلك في مجموعة هذه المراسلات المسماة بفاكهة الندماء

ثم انه ما زال عاكفاً على التعليم والتصنيف والنظم والنثر حتى أصيب بمرض

عضال سنة ١٨٦٩ فانفلج فالجاً نصفياً عطل شطره الايسر فلزم داره ولكنه ما برح ينظم الشعر ويتلقى السائلين والمستفيدين الى ان فاجأه القدر بوفاة بكره المرحوم الشيخ حبيب فوقع ذلك الحادث عليه وقوع الصاعقة ولم يعش بعد ذلك الا أربعين يوماً . وكان قد بدأ بنظم قصيدة يرثيه بها ثم غلب عليه الحزن حتى لم يعد يملك عنان قريحته . ومما نظم في هذه القصيدة قوله :

ذهب الحبيب فيا حشاشة ذوبي	أسفاً عليه ويا دموع اجيبي
ربيته للبين حتى جاءه	في جنح ليل خاطفاً كالذيب
يا أيها الام الحزينة اجملي	صبراً فان الصبر خير طبيب
اني وقفت على جوانب قبره	اسقي ثراهُ بمدمعي المصبوب
ولقد كتبت له على صفحاته	يا لوعتي من ذلك المكتوب
لك يا ضريح محبة وكرامة	عندي لانك قد حويت حبيبي

وهي آخر ما نظمه وبعد أيام عاودته السكتة الدماغية فمات فجأة وكانت وفاته في ٨ شباط (فبراير) سنة ١٨٧١ بعد ما لزمه الداء ما يقرب من سنتين فعظم خطبه عند كل من عرف فضله او سمع بذكره وكان له مأتم حافل شهده الكبراء والعظماء من بيروت ولبنان ومشى في جنازته ما ينيف عن عشرة آلاف نفس . وولد له ١٢ ولداً ورثوا ذكاءه وسرعة خاطره ولم يخلفه منهم في خدمة اللغة وآدابها الا الشيخ ابراهيم صاحب الضياء

﴿ صفاته ﴾ وكان رحمه الله معتدل القامة فوق الربعة أسمر اللون حنطيه اسود الشعر اجش الصوت مهيباً ووقوراً شهماً كاملاً متواضعاً متأنياً في حديثه قليل الضحك عفيف اللسان لم تسمع له كلمة بذيئة قط لا في حديثه ولا في كتابته ولم يهج أحداً ولا هجاه أحد في زمانه غير بيتين قالهما على سبيل الفكاهة في بخيل وهما

قد قال قوم ان خبزك حامض	والبعض اثبت بالحلاوة حكمه
كذب الجميع بزعمهم في طعمه	من ذاقه يوماً ليعرف طعمه

وكان اذا ذكر أحد امامه بسوء أطرق وأغضى كانه لا يسمع . وكان ودوداً مخلصاً سريع الفهم قوي الذاكرة متسع المدارك اذا حدّث أخذ بمجامع القلوب لكثرة رواياته ونكاته وكان يروي القصة بتواريخها واسماء اصحابها واسماء بلدانهم ولم يكن على شيء من التأنق في اللفظ ولكن حديثه كان كابسط اهل وقته . ومن غريب ذاكرته انه كان اذا نظم الشعر لا يكتبه بيتاً بيتاً ولكنه كان ينظم الابيات

ثم يكتبها حتى انه في مدة اعتلاله نظم مرة ثمانية عشر بيتاً ثم أملاها دفعة واحدة . وقد الف احدى مقاماته وهي المقامة اليامية على ظهر الفرس وكان مسافراً باهل بيته من بيروت الى بحمدون سنة ١٨٥٣ بقصد الاصطياف فلما انتهى اليها أخذ قرطاساً فعلقها . وكان يحفظ القرآن بتمامه ويعي من الشعر شيئاً كثيراً ولا سيما شعر المتنبي لشدة اعجابه به وكان يقول كأن المتنبي يمشي في الجو وسائر الشعراء يمشون على الارض

﴿ شعره ﴾ اما شعره فهو النهاية في السلاسة والانسجام وحسن اختيار الالفاظ والتراكيب فضلا عما له من المعاني المبتكرة والاكثار من الحكمة وضرب الامثال ومع قلة رغبته في الغزل فان الغزل القليل الذي له في منتهى الرقة مثل قوله :

حواك وقد حللت بكل قلب ... فؤاد لم يحل به سواك
نزلت به على طلل تفانى ... ولست بمن على طلل تباكى
اطعت العاذلين بقتل صبّ ... يريد القتل لكن عن رضاكا
تعز كرامة ويهون ذلا ... فتأنف ان يقول دمي فداكا

وقوله :

اخاف اذا أشار براحتيه ... لعلمي ان روحي في يديه
ويخفق عند نظرته فؤادي ... لان سواده من مقلتيه

وقوله :

ان كان يلبس ما افاد تجملا ... فبياض هذا الجيد تلبسه الحلى
واذا تزينت العيون بكحلها ... فلقد نراه بمقلتيك تكحلا
يا ناحل الاعطاف معشوقاً نرى ... أتلوم مثلي عاشقاً ان ينحلا
حاولت سفك دمي بعينك ثانياً ... هيهات قد سفكته عيني اولا

وقوله وهو مما نظمه في صباه :

ألوي عليّ فضمني وضممته ... وصدورنا بصدورنا لم تعلم
اهوي عليه وفيّ عفة يوسف ... حتى يميل وفيه عفة مريم

ومن نظمه في المديح قصيدة مدح بها أسعد باشا قائد جيش البلاد العربية قال فيها :

اذا قام من تحت السرادق راكباً ... أقام عجاجاً فوقه كالسرادق

ولما رأينا كيف تنقضُّ خيله علمنا بها كيف انقضاض الصواعق
تفارق أطراف البلاد خيوله واصواتها في قلبها لم تفارق

وله في الحكم شيء كثير منه قصيدة جرت ابياتها مجرى الامثال مطلعها :

لعمرك ليس فوق الارض باق ولا مما قضاه الله واق

ومنها :

أضل الناس في الدنيا سبيلا محبٌّ بات منها في وثاق
واخسر ما يضيع العمر فيه فضول المال تجمع للرفاق

ومنها :

ألا يا جامع الاموال هلا جمعت لها زماناً لافتراق
رأيتك تطلب الابحار جهلا وانت تكاد تغرق في السواقي
اذا احرزت مال الارض طراً فما لك فوق عيشك من تراق
أتاكل كل يوم الف كبش وتلبس الف طاق فوق طاق
فضول المال ذاهبة جزافاً كماء صب في كأس دهاق

وله من قصيدة :

متى ترى الكلب في أيام دولته فاجعل لرجليك اطواقاً من الزرد
واعلم بان عليك العار تلبسه من عضة الكلب لا من عضة الاسد

وله في صناعة التاريخ الشعري اليد الطولى والتفنن الغريب ولم يحدث حادث هام في أواسط القرن الماضي يستحق حفظ تاريخ حدوثه الا نظم الشيخ اليازجي ابياتاً في تاريخه . ومن أشهر ما نظمه في هذا الباب بيتان قالهما في فتح عكاء يتضمنان ٢٨ تاريخاً وبيتان آخران نظمهما في السلطان عبد العزيز . وله من هذا القبيل قصيدة هنأ بها ابراهيم باشا المصري بفتح عكاء ضمن كل بيت منها تاريخين لسنة ١٢٤٨ هـ يقول في مطلعها

الزهر تبسم نوراً عن اقاحيها اذا بكى من سحاب الفجر باكيها

ومع التزامه التاريخ فيها لا ترى تكلفاً في تركيبها مطلقاً

ومن مديحها قوله

كل البلايا من الدنيا متى نزلت بنا فنيران ابراهيم تطفيها
نار ونور متى قال النزال له والجود هات يداً لم يلق ثانيها

وله قصيدة من هذا النوع في مدح السلطان عبد العزيز وقد أمر له بالانفاق على طبع بعض كتبه من الخزينة الخاصة مطلعها :

قف بالمطايا على انجاد ذي سلم وقل سلام على من دام في الخيم

ومن مخترعاته في فن النظم عاطل العاطل وهو أن تكون احرف الكلمة خالية من النقط واذا تهجأت اسم الحروف كان هجاؤه أيضاً خالياً من النقط وهذه الاحرف ثمانية فقط وهي الحاء والدال والراء والصاد والطاء واللام والهاء والواو وقد نظم من هذا الجناس أربعة ابيات في مقاماته مجمع البحرين وهي هذه

حول در حلَّ ورد هل له للحر وردُ
لحصور حلو وصل ورده للصحو طرد
وله حول وطول وله صد ورد
دهره حر صدور هل له لله حدُّ

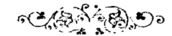
وقد نظم من جناس ما لا يستحيل بالانعكاس أربعة عشر بيتاً وهي أيضاً في مقاماته ولم يسمع بهذا المقدار لشاعر قبله . ونظم بيتين طردها مديح وعكسها هجاء وهذا من مبتكراته وهما في المقامات أيضاً وله فيها غير ذلك من الفنون مما نستغني عن سرده لشهرتها

(مؤلفاته) وأما مؤلفاته سوى ما تقدم ذكره من دواوينه ومقاماته فمعظمها من الكتب المدرسية لتلقي العلوم الادبية . وقد سلك فيها ولا سيما في الصرف والنحو مسلكا تدريجياً يناسب حالة الطالب في كل سن فمنها المختصر الذي لا اختصار بعده كالرسالة المسماة بالجوهر الفرد وقد جمع فيها الصرف والنحو في ست صفحات ومنها المطول الذي أتى فيه على أشهر اقوال المصنفين في هذين العلمين مع الاحاطة بجميع قواعدها وتعليل احكامها كالارجوزتين اللتين سمى احداهما الجمانة في علم الصرف والاخرى جوف الفرا في علم النحو تشتملان على ما يزيد عن الف وخمسمائة بيت كل واحدة منهما مشروحة بقلمه شرحاً مستوفياً وله بين ذلك تآليف اخر منها بالنثر وهي فصل الخطاب في الصرف والنحو أيضاً وهو جامع لاصول هذين العلمين وقد وقع اجماع المدرسين على انه افضل متن وضع فيهما وقد جمع فيه بين الاحاطة والاختصار حتى لا يمكن ان يحذف منه كلمة ولا يزاد عليه كلمة . وفي طبقته وعلى أسلوبه عقد الجمان في علم البيان ونقطة الدائرة في العروض والقوافي وقطب الصناعة في المنطق وهذه الكتب الاربعة مشروحة بقلمه . ومن ذلك أرجوزتان مختصرتان في الصرف والنحو مشروحتان بقلمه ايضاً سمى الاولى لحة الطرف في أصول الصرف والثانية الباب في أصول الاعراب . ومختصر آخر في النحو سماه طوق الحمامة وهو نثر . وله في البيان ارجوزة مختصرة سماها الطراز المعلم وارجوزة أخرى في النطق سماها التذكرة وشرح

كلاً منها شرحاً موجزاً .وله ارجوزة مطولة في فن العروض والقافية وهذه شرحها ولده المرحوم الشيخ حبيب وهذه التآليف كلها مطبوعة

ومن مؤلفاته التي لم تطبع رسالة في التوجيهات النحوية سماها عمود الصبح انتهى فيها الى المفعول فيه ولم يفسح له في الاجل لاتمامها . وأرجوزة مختصرة في الطب القديم سماها الحجر الكريم وشرحها بقلمه . ومعجم في اعضاء الانسان والصفات التي على افعل سماه بجمع الشتات في الاسماء والصفات . وشرح لبديعيته سماه القطوف الدانية استوفى فيه جميع الجناسات والانواع البديعية

وكان قد شرع في وضع شرح لديوان المتنبي . وكان يعلق عليه الحين بعد الحين ما يعن له من التفاسير ولا سيما للابيات الغامضة فأتمه من بعده ولده الشيخ ابراهيم وسماه العرف الطيب في ديوان ابي الطيب وقد طبع هذا الشرح سنة ١٨٨٢



رفاعة بك رافع الطهطاوي

ولد سنة ١٢١٦ هـ وتوفي سنة ١٢٩٠ هـ

هو السيد رفاعة بك بن بدوي بن علي بن محمد بن علي بن رافع ويلحقون نسبهم بمحمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن فاطمة الزهراء

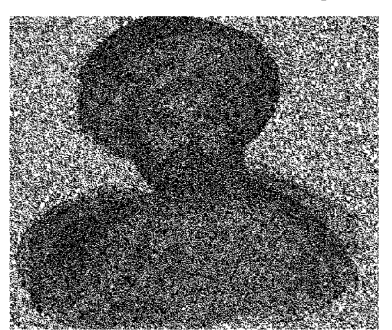
وُلد في طهطا بمديرية جرجا من صعيد مصر ويؤخذ مما كتبه عن نفسه في رحلته التي سيأتي ذكرها ان اجداده كانوا من ذوي اليسار واخنى الدهر عليهم وقعد بهم كما هو شأنه في بني الزمان . فلما ولد المترجم كانت عائلته في عسر فسار به والده الى منشاة النيدة بالقرب من مدينة جرجا واقام بين قوم كرام يقال لهم بيت ابي قطنة من أهل اليسار والمجد . فاقاما هناك مدة ثم نزحا الى قنا ولبثا بها حتى ترعرع الغلام فاخذ يقرأ القرآن ثم نقل الى فرشوط واخيراً عاد الى طهطا. وكان قد حفظ القرآن وقرأ كثيراً من المتون المتداولة على اخواله وفيهم جماعة كبيرة من العلماء الافاضل كالشيخ عبد الصمد الانصاري والشيخ ابي الحسن الانصاري والشيخ فراج الانصاري وغيرهم

ثم توفي والده فجاء رفاعة الى القاهرة وانتظم في سلك الطلبة بالجامع الازهر سنة ١٢٢٣ هـ وجاهد في المطالعة والدرس جهاداً حسناً حتى نال من العلم شيئاً كثيراً ولم تمض عليه بضع سنين حتى صار من طبقة العلماء الاعلام في الفقه واللغة والحديث وسائر علوم المعقول . وكان في جملة من تلقى العلم عليهم من العلماء الشيخ حسن العطار المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ شيخ الجامع الازهر فاحب صاحب الترجمة وميزه عن سائر أقرانه التلامذة وخصه بالتقرب منه لما آنس فيه من الذكاء والاجتهاد فكان يتردد الى منزل الشيخ يأخذ عنه بعض العلوم أو يستشيره في أمر او ما شاكل ذلك

وقضى صاحب الترجمة بمجاورة الازهر زهاء ثماني سنوات وكان كما قدمنا في عسر وكانت والدته تنفق عليه مما تبيعه من بقايا حليها ومصاغها . فلما أتم دروسه تعين سنة ١٢٤٠ هـ اماماً في بعض آلايات الجند براتب يساعده على القيام باود حياته

وكان ذلك العصر زاهياً بالمغفور له محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية الكريمة وكان رحمه الله آخذاً في مشروعاته تعزيزاً لشأن هذا القطر السعيد وفي جملتها نشر العلوم . فاحب ارسال جماعة من شبان هذا القطر الى أوربا لتلقي العلوم الحديثة ليكونوا له أعواناً في فتح المدارس وبث تلك العلوم في ابناء البلاد فامر بتعيين صاحب الترجمة

اماماً لهم للوعظ والصلاة . فسارت الارسالية المشار اليها من مصر سنة ١٢٤١ وهي أول ارسالية مصرية الى فرنسا . فتاقت نفس المترجم الى علوم المغرب فعكف على درس اللغة الفرنساوية من تلقاء نفسه رغبة منه في تحصيل العلوم بها أو نقله منهـا الى العربية لعله يتخلص من مهنة الامامة . وكان معظم درسه اللغة بنفسه فلم يتقن التلفظ بها ولـكنه تمكن من فهم معانيها فهماً جيداً وأخذ يطالع العلوم الحديثة فاتقن التاريخ والجغرافيا وعلوماً أخري وكان ميالا الى التأليف والترجمة فترجم وهو في باريس كتاباً سماه « قلائد المفاخر في غرائب عوائد الاوائل والاواخر » وغيره . فبلغ المغفور له محمد علي باشا ما اظهره السيد رفاعة من النباهة والرغبة في العلم من تلقاء نفسه فسرَّ به سروراً عظيما واستبشر بطالعه



ش ٣ : رفاعة بك رافع الطهطاوي

وفي سنة ١٢٤٧ هـ عاد رحمه الله الى الديار المصرية بعد ان نال الشهادات الناطقة بدرجته من العلم والفضل فولاه محمد علي منصب الترجمة في المدرسة الطبية التي كان انشأها سنة ١٢٤٢ في قرية ابي زعبل قرب القاهرة برئاسة كلوت بك الشهير . وكان متوالياً رئاسة الترجمة بها قبله المرحوم يوحنا عنحوري من أبناء سوريا وله فيها خدمات جليلة وشهد لصاحب الترجمة بقصب السبق فولوه الترجمة وعمل على خدمة البلاد لاسيما وان عارفي اللغات الاجنبية اذ ذاك كانوا يعدون على الاصابع . ومما يعد له فضلاً جزيلاً انه أول من باشر انشاء جريدة عربية في سائر المشرق وهي الوقائع المصرية

فانها انشئت بمساعيه ومساعدته سنة ١٢٤٨ ولا تزال الى الآن وهي الجريدة الرسمية المصرية

وفي سنة ١٢٤٩ انتقل من مدرسة ابي زعبل الى مدرسة الطوبجية في طرا لترجمة الكتب الهندسية والفنون العسكرية . وفي سنة ١٢٥١ افتتح المغفور له عزيز مصر مدرسة للالسن الاجنبية وعهد بادارتها الى صاحب الترجمة وسميت عند فتحها مدرسة الترجمة فقام الشيخ رفاعة اذ ذاك حق القيام بادارة هذه المدرسة واختار لها التلامذة من مدارس الارياف بسائر جهات القطر فبلغ عدد تلامذتها في أول الامر خمسين تلميذاً ثم زاد حتى صار ٢٥٠ وكان في ابي زعبل مدرسة تجهيزية للطب فنقلت الى جهات الازبكية فعهدت ادارتها اليه فضلا عن مدرسة الالسن ومدارس اخرى فرعية منها مدرسة للفقه والشريعة وأخرى للمحاسبة وأخرى للادارة والاحكام الافرنجية

وفي سنة ١٢٥٨ تشكل قلم الترجمة من أول فرقة خرجت من مدرسة الالسن وبعد سنة ونصف من تشكيله نال رتبة قائمقام وكان قد نال ما يتقدمها من الرتب تدريجاً في أوقات متتابعة وفي سنة ١٢٦٢ نال رتبة اميرالاي فصار يدعى رفاعه بك بدلاً من الشيخ رفاعه

وما زال رفاعه بك ناظراً لمدرسة الالسن حتى انفلت على عهد المغفور له عباس باشا الاول فامر بارساله الى السودان لنظارة مدرسة الخرطوم وما زال هناك حتى توفي عباس باشا المشار اليه سنة ١٢٧٠ هـ وتولى المرحوم سعيد باشا فعاد يشكر الله على نجاته من تلك الاقطار . فمثل بين يدي سعيد باشا فعهد اليه سنة ١٢٨١ وكالة مدرسة الحربية بجهات الصليبة تحت رئاسة المرحوم سليمان باشا الفرنساوي وبعد قليل انشئت مدرسة الحربية بالقلعة فاحيلت اليه نظارتها مع نظارة قلم الترجمة ومدرسة المحاسبة والهندسة الملكية والتفتيش والمعمارجية وعند ذلك نال الرتبة المتمايزة

وفي سنة ١٢٧٧ الغيت كل هذه المدارس فبقي رفاعه بك بغير منصب الى سنة ١٢٨٠ فاعيد الى نظارة قلم الترجمة وتعين عضواً من قومسيون المدارس وتولى ادارة جريدة « روضة المدارس » مع مشاركته على التأليف . وما زال قائماً بهذه المهام حتى توفاه الله سنة ١٢٩٠ هـ بداء النزلة المثانية وله من العمر ٧٥ سنة . وقد ملأ الديار المصرية من المترجمين والاساتذة والمهندسين وغيرهم ممن استفادوا من مؤلفاته وتعاليمه وقد اطلعنا على كتاب خطي اسمه « حلية الزمن بمناقب خادم الوطن » تأليف صالح بك مجدي عدد فيه مناقب صاحب الترجمة وعنه أخذنا معظم ما ذكرناه هنا. وقد ذكر

فيه أيضاً عدداً كبيراً من الذين أخذوا العلم عنه ونبغوا واشتهروا وذكر مناصبهم ووظائفهم وأعمالهم مما لا محل لذكره هنا

وكان رحمه الله قصير القامة واسع الجبين متناسب الاعضاء أسمر اللون حازماً مقداماً على ذكاء وحدة . وهذا ما نهض به من حضيض العسر الى مراتب المجد والفخر حتى أصبح ممن يشار اليهم البنان ويقتدي بأعمالهم بنو الانسان

وكان في أوائل حياته الى أن عاد من الديار الافرنجية يلبس اللباس العربي الخاص من الجبة والعمامة والقفطان كما ترى رسمه في صدر هذه المقالة ثم بدله باللباس الافرنجي المشهور

نختم ترجمة حاله بذكر مؤلفاته الواحد بعد الآخر مع وصفها بقدر الامكان

(١) خلاصة الابريز والديوان النفيس . وهو رحلته الى فرنسا ذكر فيه ما شاهده من العادات والاخلاق والازياء وآثار التمدن الحديث وكل ما يتعلق بذلك وقد حازت من القبول لدى المغفور له محمد علي باشا حتى أمر ان تتلى في قصوره ثم أمر بطبعها وتفريقها في الدواوين وبين الوجهاء والاعيان

(٢) التعريبات الشافية لمريد الجغرافية . وهو مجلد ضخم ترجمه من الفرنساوية الى العربية لتدريس الجغرافية في المدارس المصرية. وقد طبع غير مرة في مجلد كبير

(٣) جغرافية ملطبرون . وهو كتاب مؤلف من عدة مجلدات كبيرة يبحث في الجغرافية بحثاً تاريخياً مطولاً ترجم منه المؤلف أربعة مجلدات كبيرة طبعت في مطبعة بولاق . ويظهر من مطالعتها انه ترجمها على عجل والواقع يؤيد ذلك لاننا علمنا انه ترجم مجلداً منها في ستين يوماً سنة ١٢٦٥

(٤) كتاب قلائد المفاخر في غريب عوائد الاوائل والاواخر . ترجمه في باريس وقد تقدم ذكره

(٥) كتاب المرشد الامين في تربية البنات والبنين . وهو مجلد واحد الفه للتعليم في مدرسة البنات

(٦) كتاب التحفة المكتبية في النحو. الفه لتعليم قواعد النحو في المدارس الابتدائية مطبوع طبع حجر

(٧) مواقع الافلاك في أخبار تلماك . وهو تعريب وقائع تلماك الفرنساوية ترجمه يوم كان في الخرطوم مع بعض التصرف . وهو مطبوع في بيروت

(٨) مباهج الالباب المصرية في مناهج الالباب المصرية . وهو بحث عن آداب العصر وسياسته وصنائعة وعلومه وفنونه ومطبوع بمطبعة بولاق الاميرية

(٩) مختصر معاهد التنصيص . وهو اختصار المعاهد مع بعض الزيادات الى الاصل ولم يطبع

(١٠) المذاهب الاربعة . وهو بحث في المذاهب الاربعة ألفه أثناء رئاسته لمدرسة الالسن :

(١١) شرح لامية العرب

(١٢) القانون المدني الافرنجي . مطبوع

(١٣) كتاب توفيق الجليل وتوثيق بني اسماعيل وهو تاريخ لمصر طبع ونشر

(١٤) كتاب هندسة ساسير . ترجمه من الفرنساوية الى العربية وقد طبع ببولاق

(١٥) رسالة في الطب لم (تطبع)

(١٦) جمال الاجرومية وهو منظومة سهلة في الاجرومية (مطبوعة)

(١٧) نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز . وهو آخر مؤلفاته طبع في روضة المدارس بمطبعة المدارس الملكية

وله رحمه الله غير ما تقدم ذكره من المآثر العلمية بين منظومات ورسائل ومقالات شيء كثير لم يطبع . وقد وقفنا على بعضه وأما خدماته في التعليم والتهذيب فغنية عن البيان . ويقال بالاجمال ان رفاعه بك رافع خدم خدمة كبرى في نشر العلوم الحديثة بنقلها الى اللغة العربية وتسهيل تناول اللغات الاجنبية بمدرسة الالسن وقلم الترجمة وغيرها

بطرس البستاني

ولد سنة ١٨١٩ م وتوفي سنة ١٨٨٣ م

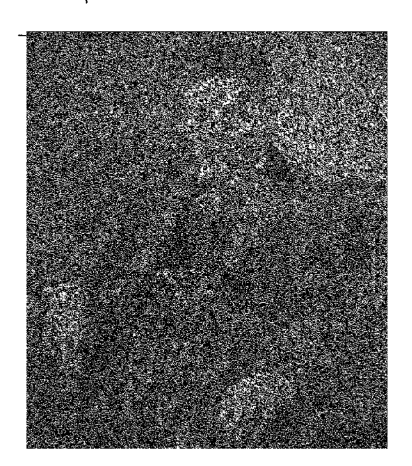
في اقليم الخروب من قضاء الشوف في جبل لبنان قرية صغيرة على مسافة ثلاث ساعات من دير القمر وثلاث ساعات ونصف من صيدا وسبع ساعات من بيروت يقال لها الدبية عدد سكانها خمسمائة نفس من طائفة الموارنة وقليل من البروستانت نشأ فيها غير واحد من مشاهير اللبنانيين جميعهم من آل البستاني أشهرهم المرحوم المطران عبد الله البستاني والمطران بطرس البستاني والمعلم بطرس البستاني صاحب الترجمة وقد اقتطفنا ترجمة حياته مما كتبته جرائد الشام على أثر وفاته واثبتته دائرة المعارف في جزئها السابع ومما عرفناه بنفسنا من آثار اجتهاده وفضله

《 تاريخ حياته 》 هو بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم بن شديد بن ابي شديد بن محفوظ بن ابي محفوظ البستاني من أعيان الطائفة المارونية . وُلد في الدبية عام ١٨١٩ في عهد امارة الامير بشير الشهابي الكبير في جبل لبنان وظهرت عليه مخائل النجابة والذكاء منذ نعومة أظفاره فاخذ في تلقي مبادىء العربية والسريانية على المرحوم الخوري مخائيل البستاني . وكان المرحوم المطران عبد الله البستاني اذ ذاك مطراناً على صور وصيدا وكان يقيم في بيت الدين فنمي اليه ان هذا الغلام وغلاماً آخر يدعى شبلي ابن الخوري يوسف البستاني (المطران بطرس البستاني بعدئذٍ) قد تفردا بالذكاء والفطنة والاجتهاد بين اقرانهما فاستقدمهما اليه ثم بعث بهما الى مدرسة عين ورقة بلبنان فقضيا فيها عشر سنوات حتى أتقنا آداب اللغة العربية مما تيسر الحصول عليه اذ ذاك كقواعد اللغة والمنطق والتاريخ والحساب والجغرافيا وتناولا اللغات السريانية واللاتينية والايطالية وتلقيا الفلسفة واللاهوت الادبي والنظري ومبادىء الحق القانوني

وكان صاحب الترجمة قد بلغ العشرين من سنه فاراد غبطة بطريرك الطائفة المارونية اذ ذاك ارساله مع رفيقه الى رومية للتبحر في العلوم الدينية وكان والده قد توفي فعارضت والدته في ابعاده فتعين مدرساً في مدرسة عين ورقة مشمولاً بانظار البطريرك وكان البطريرك يعهد اليه قضاء بعض المصالح الى سنة ١٨٤٠ وكانت حال الجبل في اضطراب لما كان في نفس الدولة العلية على الامير بشير وابراهيم باشا . وكانت الدول الافرنجية قد بعثت مراكبها الى سواحل سوريا تعين الباب العالي على اخراج ابراهيم باشا منها . وكان صاحب الترجمة قد درس اللغة الانكليزية في بيروت اثناء اقامته

بمدرسة عين ورقة وبعدها فاستخدمه الانكليز للترجمة . وكان دعاة المذهب الانجيلي من الاميركان قد اخذوا في الاقامة ببيروت للتعليم ونشر مذهبهم فتعرف الى بعضهم وجعل يختلف اليهم يعلمهم اللغة العربية ويعرّب لهم بعض الكتب حتى تمكنت علائق المودة بينه وبينهم ووافقهم على مذهبهم

وفي سنة ١٨٤٦ عزم استاذنا الخطير المرحوم الدكتور فانديك على انشاء مدرسة عبية فاستعان بصاحب الترجمة في انشائها فتولى التعليم فيها عامين الف في اثنائهما



(ش ٤) بطرس البستاني

كتاباً مطولا في علم الحساب سماه كشف الحجاب طبع مراراً عديدة وذاع استعماله في سائر مدارس سوريا

ثم قدم بيروت وتولى منصب الترجمة في قنصلية اميركا مع مباشرة التأليف والترجمة والوعظ والخطابة ودرس في اثنـاء ذلك أو قبيله اللغتين العبرانية واليونانية . وكان المرحوم الدكتور عالي سميث الاميركاني قد باشر ترجمة التوراة الى العربية فاستعان بصاحب الترجمة على ترجمتها . ولـكن الاجل عاجل الدكتور سميث فاتم

الترجمة المرحوم فان ديك وهي الترجمة الاميركانية المشهورة . أما المعلم بطرس فانه شرع في تأليف قاموسه محيط المحيط

وفي سنة ١٨٦٠ نشر نشرة سماها نفير سوريا وهي أول نشرة عربية ظهرت في سوريا واذا جاز لنا ان نسميها جريدة فالبستاني أول من انشأ جريدة عربية غير رسمية بين قراء اللغة العربية

وفي عام ١٨٦٣ انشأ في بيروت مدرسة عالية سماها « المدرسة الوطنية » أسسها على الحرية الدينية ومبدأ الجامعة الوطنية العثمانية فتقاطر اليها الطلبة من سائر انحاء الشام ومصر والاستانة وبلاد اليونان والعراق وغيرها فزاع صيتها في الآفاق وظهر فضلها على رؤوس الاشهاد فانعمت عليه الحضرة السلطانية بنيشان عال تنشيطاً له ومكافأة لخدمته وقد تولى ولده المرحوم سليم البستاني نيابة رئاسة المدرسة وكان متضلعاً في العلوم الحديثة فكان يدرس التاريخ والطبيعيات والصف الاول في اللغة الانكليزية وكان والده رحمه الله يلقي على التلامذة الخطب والمواعظ مرتين في الاسبوع

وفي سنة ١٨٦٩ فرغ من تأليف قاموسه محيط المحيط وقد أخذه عن أشهر متون اللغة ولا سيما الفيروز ابادي وصحاح الجوهري ولكنه يمتاز عنها كلها بما يأتي (١) انه رتبه على حروف المعجم باعتبار الحرف الاول من الثلاثي المجرد (٢) جمع فيه كثيراً من الالفاظ العامية وفسرها بالالفاظ الفصحى (٣) انه اوضح كثيراً من أصول الاعجمية كان أصلها مجهولاً أو مهملا (٤) انه أدخل فيه كثيراً من المصطلحات التي حدثت في اللغة بحدوث العلوم الحديثة المنقولة عن اللغات الاعجمية فضلاً عن بسط عبارته وسهولتها . فجاء كتاباً وافياً بغرض طلاب اللغة العربية تفهمه العامة وترضى به الخاصة طبعه في مجلدين كبيرين واستخرج منه مختصراً سماه قطر المحيط اصغر منه حجما خصصه لتلامذة المدارس . فشاع استعمال الكتابين في سائر انحاء سوريا وغيرها . فلما تم طبعهما رفع نسخة من محيط المحيط الى الحضرة الشاهانية ونسخة الى الصدارة العظمى وأخرى الى نظارة المعارف بالاستانة فوقع عمله هذا موقع الاستحسان فاجازته الحضرة السلطانية بالجائزة الاولى التي ينالها المؤلفون وهي مائتان وخمسون ليرة عثمانية وانعمت عليه بالنيشان المجيدي من الدرجة الثالثة وترى في الصفحة المقابلة رسم البستاني والنيشان المشار اليه معلق في أعلى صدره

وفي أول عام سنة ١٨٧٠ انشأ مجلة علمية أدبية سياسية سماها الجنان وعهد بادارتها وانشائها في بادىء الامر الى نجله المرحوم سليم البستاني . وفي أواسط ذلك العام استعان

ابنه سليماً في انشاء صحيفة سياسية سمياها الجنة . فهي من أقدم الجرائد السياسية العربية ببلاد الشام . ثم أصدر جريدة الجنينة وتولى تحريرها ابن عمه سليمان افندي البستاني ناظم الالياذة. والجرائد الثلاث المشار اليها لا تصدر الان

ووعد في آخر قاموسه بتأليف قاموس للاعلام أي مشاهير الناس ولكنه رأى بعدئذ أن يتوسع في مشروعه هذا فعول على تأليف قاموس شامل لسائر العلوم على اختلاف مواضيعها وازمانها فشرع فيه عام ١٨٧٥ يعاونه به ولده سليم وبعض الكتاب وسماه « دائرة المعارف » وهو كتاب فريد لم ينسج على منواله في اللغة العربية. فاصدر منه رحمه الله ستة مجلدات وتوفي وهو في بدء السابع فاتم السابع والثامن ابنه المرحوم سليم ولكنه توفي قبل الشروع في التاسع فاصدر ابناؤه الباقون الجزء التاسع بمعاضدة ابن عمهم سليمان افندي البستاني . ثم حالت موانع ادت الى ايقاف العمل في بيروت ومضت على ذلك بضع سنوات الى ان قدم القاهرة سليمان افندي المشار اليه وأخذ في اتمام الدائرة مع ابني عمه نجيب افندي ونسيب افندي البستاني . فصدر الجزء العاشر ثم الحادي عشر

وكانت وفاته في أول ايار (مايو) سنة ١٨٨٣ فجأة بعلة في القلب فطار خبر منعاه في البلاد فاهتزت له انحاء سوريا لان بفقده فقد الوطن السوري ركناً من أقوى اركانه في نهضته الاخيرة . فبكاه الاهل والاصدقاء وأبنه الخطباء والعلماء ورثاه الكتاب والشعراء

﴿ مآثره وأعماله ﴾ نبغ البستاني في سوريا والعلم لا يزال طفلاً في مهده فاخذ في التعليم والتهذيب علماً وعملاً فالف الكتب وانشأ المدارس والجرائد فهو أول من انشأ مجلة علمية وجريدة سياسية ومدرسة وطنية وأول من أقدم على المشروعات الادبية بعزم ثابت فألف الكتب وسهل طبعها ونشرها وأشهر مؤلفاته دائرة المعارف ومحيط المحيط وقطر المحيط وكشف الحجاب ومسك الدفاتر ومفتاح المصباح في الصرف والنحو وكتب اخرى ورسائل عديدة للتثقيف والتهذيب فضلاً عن ترجمة الكتب الدينية والادبية. وأنشأ ثلاث جرائد الجنان والجنة والجنينة. ومن مشروعاته المدرسة الوطنية وقد رأس مدرسة الاحد في بيروت خمس عشرة سنة وترجم لها عدة رسائل دينية دعا فيها الى تربية الاولاد والامساك عن المسكرات . وسن قانوناً للمدرسة الداوودية التي انشأها داود باشا . وكان كثير الحث على تعليم النساء وهو أول من خطب في هذا الموضوع بالشرق وله خطب كثيرة تلاها على منابر بيروت وفي جمعياتها ومقالات جمة نشرها في جرائده كلها فوائد . وقد وصفنا كتبه في اثناء ترجمة حياته

﴿ صفاته واخلاقه ﴾ كان ربعة ممتلىء الجسم سميناً قوي البنية ولولا ذلك ما استطاع القيام بما عني به من المشروعات العقلية والادارية . وكان حازماً نشيطاً لا يفتر عن التفكر في مشروع يشرع فيه او عمل يعمله لخدمة وطنه . فاذا بدأ بعمل أكب عليه بكليته مواصلاً العمل للقيام به وكانوا اذا افتقدوه ليلا او نهاراً عثروا عليه في مكتبه بين كتبه وأوراقه . وكان ثابت الجنان قادراً على الاعمال لا يأخذه ملل ولا ضجر مع ما يعترض المشروعات العلمية والادبية في بلادنا من العقبات مما يثبط العزيمة ويضعف العزم وخصوصاً في ايامه . فقد نبغ في عصر لم تتوفر فيه معدات الطبع والنشر ولا اعتاد فيه الناس مطالعة الجرائد والاقبال على المؤلفات . ومع ذلك فانه عمل أعمالا يقصر عن القيام بها عدة من الرجال الاقوياء فكان يؤلف ويعلم ويترجم ويدير أعماله ويكاتب عماله وأصدقائه ويضبط حساباته ويدير مدرسته علماً وعملاً ناهيك بما كان يقوم به من المساعدات الادبية لمن يقصده من المستشيرين والمستعينين فيقضي حاجاتهم ويحضر اجتماعات الجمعيات ويقدم الخطب والمواعظ . وهو مع ذلك يستقبل الزائرين بوجه باش فلا يرجع أحدهم من بين يديه الا شاكراً حامداً معجباً بلطفه وغيرته

وكان مخلص الطوية دمث الاخلاق لين العريكة صادق النية محباً لوطنه ودولته كريم الخلق بعيداً عن التعصب كارهاً للتملق والرياء . وكان سخياً على المشروعات الادبية بسيط المعشر حسن المحاضرة يسترضي جليسه شاباً كان او شيخاً ويخاطب كلاً بما يناسب ذوقه وأخلاقه وكان يعتقد ان المصالح العامة أساس كل تقدم فيبذل جهده في تأييدها متخذاً الصدق شعاراً والنشاط عماداً

وكان مع ذلك رفيع الجناب وقوراً محترماً لم يجالسه أحد الا خرج وفي نفسه انعطاف اليه وفي قلبه احترام له فكان حيثما ذكر اسمه قرن بالمدح والثناء والتجلة والوقار فنال مقاماً رفيعاً في نفوس ذوي الوجاهة والمقامات الرفيعة وأهل الفضل على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم . وكان من أشدهم صداقة له استاذنا الخطير المرحوم الدكتور كرنيليوس فان ديك فقد ساكنه وآكله وشاربه زمناً طويلاً كانا معاً اخوين متصافيين ونعم الاخوان . فلما توفي صاحب الترجمة رثاه الاستاذ بلسان الصديق وبكاه بدموع الاخ الشقيق ومما قاله وقد وقف لتأبينه في الكنيسة :

« ان لم يكن لك في نقد الرجال يد   انظر الى الموت كيف الموت ينتقد
يدور في الارض حول الناس ملتمساً   كريم قوم ولا يرضى الذي يجد

« اني لمظلوم بوقوفي هنا اليوم خطيباً لان المقام الذي يليق بي وارغب فيه انما

هو ان اقوم في وسطكم باكياً نائحاً على أخي وحبيبي الذي خطف من بيننا خطفاً بل هو معلمي واستاذي ورفيقي فكم احيينا من الليالي معاً في الدرس والمطالعة والتأليف وحلاوة المعاشر الصادرة عن اتحاد المقاصد والاغراض فكيف اقف فوق جثته خطيباً ولا اركع بجانبه حزيناً كئيباً »

ومما يدل على منزلته الرفيعة بين أهل الادب والفضل انه لما وقع القضاء ومات البستاني تسابق الخطباء والعلماء الى تأبينه ورثائه فملأت الجرائد اعمدتها رثاء وسودت صفحاتها حزناً ووقف الخطباء على ضريحه يرددون ذكراه ويذكرون مآثره وآثاره. وهاك ما قاله في تأبينه المرحوم أديب اسحاق اذ وقف على قبره والناس وقوف خشوع وكنا في جملة السامعين فانتصب الاديب رحمه الله وقد امتقع لونه وابتلت عيناه وأخذ يقول :

« كذا فليجل الخطب وليفدح الامر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

« ان هذا المصاب مصاب جسيم . ان هذا الخطب خطب عميم . انها لمصيبة وطنية يقل في مثلها بذل الدموع انها لنائبة عمومية لا يكثر في نظيرها تمزيق الضلوع . أجل ان المصيبة فيك مصيبة الوطن يا من انفقت العمر في خدمته مقدماً مجتهداً صابراً متجلداً متعففاً مستقيماً . فلا بدع ان تبكيك العيون. ولا غرو ان تنفطر لفقدك القلوب. أو لم تكن فينا مثال الفضل والاجتهاد . ونموذج البراعة والادب . وعنوان التجلد والثبات في خدمة العلم . بذلت في هـذه الخدمة شبابك ووقفت على هذا السبيل اتعابك . وجعلت العلم غايتك القصوى من دنيـاك . فكان لروحك روحاً وكنت لذاته قواماً

« فاي أثر ادبي رأيناه ولم تكن انت البادىء به والداعي اليه . وأي مشروع مفيد شهدناه ولم تكن أنت الشارع فيه أو المعين عليه . أو لست اول من خط على صفحات القلوب ورسم على صحف الجنان « حب الوطن من الايمان » وأول من أقدم على المشروعات الجسيمة العلمية بهمة لا تخاف المصاعب والعقاب ولا تألف الا صدق العزيمة والثبات

« باي آثارك لا تذكر . وبايها اذا ذكرت لا تشكر . واي عين ترى أعمال يديك. ولا تفيض دمعاً بل دماً حزناً عليك . وما الذي نذكره من آثار اجتهادك في استمرار ارتيادك بلا تجده عناءً . أمواظبتك على خدمة العلم والادب اربعين عاماً او تزيد . ام تآليفك وتصانيفك السنية يشهر بها عن الوصف . أمحيط محيطك ام قطر محيطك . ام مدرستك الوطنية التي ملأت بها الوطن انواراً . ورفعت فيها للادب الصحيح مناراً .

ام جنانك التي غرست فيها أغصاناً من العرفان من كل فاكهة زوجان . ام جنتك الزاهرة الدانية القطوف . ام دائرة المعارف التي ... كدنا نخاف ان تدور الدائرة عليها لولا الامل فيمن ابقيت لها خلفاً كريماً . يحقق رجاء المحبين ويتم الامنية ويحقق الرجاء فيكون به للوطن عزاء . في الاثر المأثور يا سادتي « من علمني حرفاً كنت له عبداً » فمن منا لم يعلمه هذا الفقيد حروفاً . من منا لم يستفد منه فوائد صنوفاً . من تصانيفه في كل فن . من مدرسته الوطنيـة . من جرائده الزاهرة . من آثار معارفه في كل موضوع . ومن منـا لم يدفع الملل في اوقات الفراغ . ويغلب الضجر في ساعات الراحة . وينزه الفكر بعد تعب الاشغال . بتلاوة ما كان فقيدنا يحيي لانشائه الليالي الطوال . فكيف لا نرثيه وكيف لا نبكيه . وكيف لا نستعظم المصيبة فيه

« أي هـذا الراقد تحت ظلال الرحمة والرضوان . لقد عشت سعيداً مفيداً . وقضيت حميداً فقيداً . وان كان عموم الاسف وشمول الحزن مما يبرد ثرى ويجلب غفراناً فقد جادتك سحب الرضوان والغفران مسوقة الى ثراك من كل مكان مستمطرة على ضريحك بكل لسان

نم سعيداً يا من قضيت فقيداً بجميل قدّمت بين يديك
انت أحسنت في الحياة الينا أحسن الله في الممات اليك »

« انتهى »



علي باشا مبارك (١)

ولد سنة ١٢٣٩ هـ وتوفي سنة ١٣١١

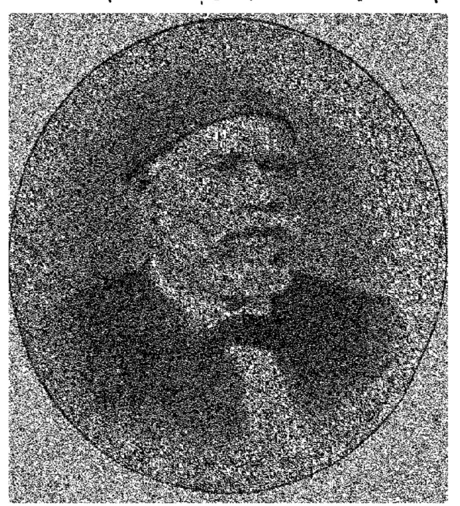
وُلد في قرية برنبال الجديدة من مديرية الدقهلية سنة ١٢٣٩ هـ واسم والده الشيخ مبارك بن مبارك بن سليمان بن ابراهيم الروجي . وابتدأ في تعلم القراءة والكتابة على رجل من أهل القرية أعمى ثم نزحت العائلة الى ناحية الحمادين فلم يطب لهم المقام فيها فارتحلوا الى عرب السماعنة بالشرقية ولم يكن عندهم فقهاء فانزلوا والد صاحب الترجمة منزل الاكرام وصار مرجعهم اليه في الامور الدينية لانه كان صالحاً تقياً متفقهاً . فاعتنى بتربية ولده بنفسه ثم عهد تعليمه الى معلم اسمه الشيخ أبو خضر في مكان قرب برنبال لا يذهب الى والده الا كل يوم جمعة فختم القرآن بسنتين ولكنه ترك معلمه لكثرة ضربه له وجعل يقرأ على والده . على ان كثرة أشغال الشيخ مبارك حملت صاحب الترجمة على اللهو واللعب حتى نسي ما كان قد تعلمه . فاشفق والده عليه لئلا يعيش بغير تعلم فاراد اجباره على العود الى معلمه فأبى خوف ضربه فتوسط له اشقاؤه لدى والده فسأله عما يريد تعلمه ففضل العدول عن الفقه ورغب في الكتابة لما كان يرى من حسن زي الكتاب وهيبتهم . وكان لوالده صديق يتعاطى الكتابة في القسم بناحية الاخيوة فعهد اليه تعليمه فأنس عليٌّ به وألفه حتى اختلط بعائلته فرأى حالته الداخلية غير ما كان يراه منه في الظاهر واتفق انه سأله مرة كم يجمع الواحد والواحد فاجابه « اثنين » فضربه بعقلاة البن فشج رأسه وكان ذلك في محضر من الناس فشق ذلك على علي فغادره وسار الى والده يشكوه اليه فنقم عليه والده ففر من البيت الى المطرية جهة المنزلة ملتجئاً الى خالة له هناك

واتفق انتشار الوباء (الكوليرا) اذ ذاك فاصيب به في الطريق فحمله بعضهم الى بيته في قرية صان الحجر وعالجه حتى شفي وادعى انه يتيم الاب والام ولكن والده واخاه كانا ساعيين في التفتيش عنه . فلما رآها في تلك القرية طلب الفرار ولكنهما أمسكاه بعد ذلك وحملاه على العود الى التعليم فسلمه والده الى كاتب آخر فلم يلبث معه الا قليلاً ثم عاد الى القراءة على والده فجعله مساعداً لاحد الكتاب في القسم ولم يكن يدفع اليه الراتب المعين له وقدره خمسون قرشاً . فاتفق انه أرسل يوماً لقبض حاصل بعض القرى فقبضه وأبقى معه من المقبوض استحقاقه من الراتب وأرسل الباقي فغضب

(١) هذه الترجمة ملخصة عما كتبه عن نفسه في الخطط التوفيقية الجزء التاسع صفحة ٢٧ وما بعدها

عليه الـكاتب حتى اذا اتفق جمع أنفار العسكرية وشي به الى المنوط به جمعهم فامسكوه والقوه في السجن فتوسط له والده امام عزيز مصر اذ ذاك محمد علي باشا فاطلقوا سراحه

ثم سعى له بعضهم في ان يكون كاتباً لدى مأمور زراعة القطن في ابي كبير فحضر بين يدي المأمور واسمه عنبر افندي فاذا هو حبشي اللون لـكنه سمح الوجه ورأى المشايخ والحـكام وقوفاً بين يديه فتأخر حتى انصرفوا . ثم دخل عليه وقبل يده



(ش ٦) علي باشا مبارك

فخاطبه بكلام رقيق عربي فصيح والتمس خدمته عنده على ان يدفع اليه ٧٥ قرشاً شهرياً مع كفاءته من العيش فسر عليّ لذلك ولـكنه عجب لحال هذا المأمور المخالفة لسواد وجهه لاعتقاده ان الحـكام لا يكونون الا من الاتراك .وما زال يتحرى الاسباب التي جعلت ذلك العبد حاكما حتى علم اخيراً انه معلماً في مدرسة قصر العيني وان تلك المدرسة تعلم الخط والحساب واللغة التركية. فسأل اذا كان يجوز للفلاحين الانتظام فيها فقيل له انما يدخلها من ساعدته الوسائط . فاتقدت في قلبه نار الغيرة ومال بكليته الى

الدخول في تلك المدرسة على بعدها عن مقره وقلة وسائطه فاستأذن رئيسه يوماً مدعياً الذهاب الى بيت أبيه فاذن له فغادر البلدة والتقى في قرية بني عياض بطريقه بتلامذة مدرسة الخانقاه فاراد ان يدخلها لعلمه أن تلامذة قصر العيني انما ينتخبونهم من هذه المدرسة . فاخبره والده ان لا يفعل واختطفه قهراً وحمله الى بيته وعهد اليه رعاية الماشية ولكن ذلك لم يحوله عن عزمه ففرّ ذات ليلة حتى جاء المدرسة ودخلها ولم يخرج منها ليلاً ولا نهاراً خوفاً من ان يلقاه والده فيختطفه ويرجع به الى البيت . ولم يكن والده يكره تعليمه ولكنه يود بقاءه قريباً منه . ثم جاء بعد ذلك ناظر تلك المدرسة لانتخاب انجب التلامذة وادخالهم في مدرسة قصر العيني ولم تكن فيها دراسة الطب بعد . فكان عليّ من المنتخبين لذكائه وفطنته فدخل تلك المدرسة سنة ١٢٥١ وسنه ١٢ سنة فقط

وكانت معاملة التلامذة هناك سيئة ومهينة جداً والطعام تافهاً قبيحاً فاوقع صاحب الترجمة في مرض الجرب واشتد عليه فعلم والده بذلك فاراد استخراجه من المدرسة بالحيلة لانهم لم يؤذنوا له باخراجه فلم يرض علي بل فضل البقاء في المدرسة رغبة في اتمام علمه فقبله والده وودعه وهما باكيان

وفي السنة التالية سنة ١٢٥٢ نقه من مرضه وعاد الى دروسه ولكن محمد علي باشا أمر بان تجعل مدرسة قصر العيني لتعليم صناعة الطب فنقل تلامذة العلم منها الى مدرسة ابي زعبل . وكانت العلوم الرياضية لديه الى ذلك الحين كالطلاسم لا يفهم لها معنى لتعقدها وسوء طرق تدريسها فاعتنى ناظر تلك المدرسة المرحوم ابراهيم بك رأفت بالقاء تلك الدروس بنفسه يشرحها للتلامذة بابسط عبارة — قال صاحب الترجمة « وكانت طريقته هذه باب الفتوح عليّ »

وأخذ عليّ من ذلك الحين يذوق لذة العلم على أنواعه ثم انتخب فيمن انتخب لمدرسة المهندسخانة فدرس فيها خمس سنوات

وفي سنة ١٢٦٠ هـ عزم المغفور له محمد علي باشا على ارسال انجاله الى فرنسا للتعلم فانتخب علي في جملة تلك الارسالية فاقاموا في باريس سنتين ثم أرسل بعضهم وفي جملتهم هو الى متس وقد تقلد كل منهم رتبة الملازم فقاموا في هذه ايضاً سنتين درسوا فيها فن الحرب وما يتعلق به

ثم لما توفي المغفور له محمد علي باشا وتولى عباس باشا استقدم الارسالية الى مصر وانعم على صاحب الترجمة ورفاقه برتبة يوزباشي وألحق هو بالجيش المصري وقائده اذ ذاك سليمان باشا الفرنساوي الشهير . ثم انتدبه المغفور له عباس باشا الاول

ليكون في لجنة الامتحان التي عينها لامتحان مهندسي الارياف فقام بتلك المهمة حق القيام

وفي سنة ١٢٦٦ هـ أوعز اليه عباس باشا ان ينظم أسلوباً للمدارس مع الاقتصاد بالنفقة فنظمه وقدمه اليه فاعجبه وأنعم عليه بمقابل ذلك برتبة أميرالاي . ولكنه طلب اليه ان يتولى نظارة تلك المدارس بنفسه فاهتم بذلك اشد الاهتمام ولم يكتف بالادارة ولكنه كان يؤلف بعض الكتب اللازمة للتدريس وأتى الى المدرسة بمطبعة حجر لطبع الكتب وكان يراقب سير المدارس جيداً من النظافة والترتيب وطرق التعليم والف في العمارة كتاب للتعليم (لم يطبع)

وما زالت الحال كذلك حتى تولى المغفور له سعيد باشا فوشي اليه به ففصله من نظارة المدارس وبعث به في الحملة التي سارت لمحاربة روسيا مع الدولة العلية سنة ١٢٧٠ فسافر وقاسى اهوالا كثيرة وعاد سالماً وعند عودته كان في جملة من اخلي سبيلهم من العسكرية فعاد الى مسكن حقير أوى اليه لا يملك شيئاً ولم يلتفت اليه أحد ممن كانوا له اصدقاء وقت الرخاء . مكث سنين في هذه الحال حتى انف المناصب والرتب والف العزلة والسكنى بعيداً عن الناس وعزم على العود الى بلدته . وفيما هو في ذلك صدر الامر بفرز ضباط الجهادية لانتقاء الصالحين منهم للخدمة فكان هو من المختارين فتقلد منصب معاون في نظارة الجهادية ثم تعين وكيلا لمجلس التجار ثم مفتشاً لنصف الوجه القبلي . ثم اقيل من هذه المناصب وتبرع بتعليم الضباط والصف ضباط القراءة والكتابة والهندسة . وفي أثناء ذلك الف كتاباً في الهندسة سماه « تقريب الهندسة » وكتاباً آخر في الاستحكامات وآخر سماه تذكرة المهندسين . ثم رفت فضاقت ذات يده حتى عزم على معاطاة التجارة فاشترى جانباً من الكتب كانت الحكومة عرضتها للمبيع بأثمان بخسة فاشتراها وباعها فربح منها ربحاً حسناً ولكنه ما زال قانطاً مما كانت تطمح اليه انظاره من المناصب بسبب تغير سعيد باشا عليه بما وشي به اليه كما قدمنا . فلما توفي سعيد باشا سنة ١٢٧٩ وخلفه الخديوي الاسبق اسماعيل باشا تجددت آماله وألحقه اسماعيل باشا بمعيته ثم عينه في نظارة القناطر الخيرية وكانت لا تزال في حاجة الى المهندسين فاجرى فيها عدة اجراءات . وفي سنة ١٢٨٢ بعث به للنيابة عن الحكومة الخديوية في المجلس الذي تشكل لتقدير الاراضي التي هي حق شركة خليج السويس على مقتضى القرار المحكوم به من أمبراطور فرنسا فقام بتلك المأمورية حق القيام فاحسن اليه برتبة المتمايز وأنعمت عليه الدولة الفرنساوية اثناء ذلك برتبة (أوفيسيه ليجيون دونور)

وفي سنة ١٢٨٤ هـ عهدت اليه وكالة ديوان المدارس . ثم انتدبه الخديوي للسفر

الى باريس في مهمة مالية فاستفاد من سفره هذا فوائد جمة واجتلى أهم المتاحف والآثار والمدارس . وبعد عودته بقليل انعم عليه برتبة مير ميران واحيلت الى عهدته ادارة السكك الحديدية المصرية وادارة ديوان المدارس وديوان الاشغال العمومية ونظارة الاوقاف مع بقائه على نظارة القناطر الخيرية. ولا يخفى ما يقتضي للقيام بكل هذه الاعمال من الهمة والنشاط والقدرة فكان يعمل ليله ونهاره حتى لا تفوته فائتة . وفي اثناء ذلك سعى في نقل المدارس من العباسية الى درب الجماميز في القاهرة حيث لا تزال الى اليوم وأسس دار الكتب المصرية وانشأ كثيراً من المدارس الاميرية المنظمة في البنادر الكبيرة بالوجهين القبلي والبحري . وأنشأ مدرسة دار العلوم يتخرج فيها المعلمون ويتعلمون طرق التعليم والعلوم العالية . ومعرضاً للآلات الطبيعية وغيرها من أدوات العلوم الرياضية لكي يتمرن عليها التلامذة فتكون معارفهم مبنية على المشاهدة والاختبار . ووجه التفاته الى الاوقاف فاصلح كثيراً فيها ودبر أملاكها ورتب حساباتها

وأما أعماله مما يتعلق بديوان الاشغال فكثيرة منها تنظيم شوارع القاهرة وتوسيعها كما هي عليه الآن . ومن الشوارع التي فتحت على يده شارع محمد علي وميدانه وشوارع الازبكية وميدانها وما يحيط بهابدين من الشوارع ونحوها وباب اللوق وكانت جهات الفجالة والاسماعيلية تلالا وآكاماً قذرة فانعم بها الخديوي الاسبق على الناس فهدوها وبنوا فيها القصور والحدائق حتى صارت كما نراها الآن . وفي عهده بني كبري قصر النيل الباذخ المتين وتنظمت الجزيرة وانشئت فيها الشوارع المحفوفة بالاشجار . وجلبت المياه الى القاهرة بواسطة الشركة وانشيء كثير من الجسور والترع في جهات القطر كترعة الابراهيمية والاسماعلية . وفي عهد توليه الاشغال ايضاً تم فتح قنال السويس رسمياً ودعي الملوك لحضور الاحتفال بذلك فكانت الاعمال اللازمة للقيام بمعدات ذلك الاحتفال منوطة به فأهدي اليه بعد الاحتفال نشان غران كوردون من النمسا ونيشان كوماندور من فرنسا والغران كوردون من روسيا

وبقيت عهدة تلك الادارة بيده الى سنة ١٢٨٨ ﻫ ثم فصل عنها لخلاف حدث بينه وبين ناظر المالية اذ ذاك وتعين ناظراً للمكاتب الاهلية . ثم استقل ديوان الاشغال فتعين وكيلاً له ثم تعين في مناصب أخرى حتى سنة ١٨٧٧ م عند ما ترتب مجلس النظار وصارت ادارة أعمال الحكومة منوطة به فتألف المجلس تحت رئاسة نوبار باشا وتعين صاحب الترجمة ناظراً على المعارف والاوقاف فبذل جهده في توسيع نطاق المعارف فانشأ مدارس كثيرة في الوجه البحري . حتى كانت حادثة تذمر الجهادية ثم

سقوط الوزارة النوبارية وتألف وزارة أخرى لم تدم طويلا لانفصال الخديوي الاسبق وتولي المرحوم الخديوي السابق وفي مدته هذه ايضاً أجرى اصلاحات كثيرة وخصوصاً في الريّ

وعقب تولي المغفور له الخديوي السابق الحادثة العرابية وكان فيها صاحب الترجمة من المحافظين على ولاء الجناب الخديوي وطالما حث الناس على الرضوخ والاذعان ولم تنجح مساعيه . فلما انقضت تلك الازمة بالاحتلال الانكليزي سنة ١٨٨٢ وعاد الى اهتمامه في الري وما يتعلق به من بناء الجسور والحيضان وحفر الترع وتوزيع الماء . وفي أواخر تلك السنة سقطت تلك الوزارة الرياضية فعهدت فيها نظارة المعارف الى صاحب الترجمة فاجرى في المعارف هذه المرة ايضاً اصلاحات جمة ثم اعتزل الاعمال وما زال حتى توفاه الله

(مؤلفاته) لصاحب الترجمة مؤلفات مفيدة تقدم ذكر بعضها وأشهر ما بقي منها كتاب « الخطط التوفيقية » طبع بمصر في عشرين جزءًا وهو تكملة لخطط المقريزي ومؤلف على مثالها . ومنها كتاب علم الدين وهو عبارة عن رواية أدبية عمرانية في عدة أجزاء



الدكتور كرنيليوس فان ديك

ولد سنة ١٨١٨ م وتوفي سنة ١٨٩٥ م

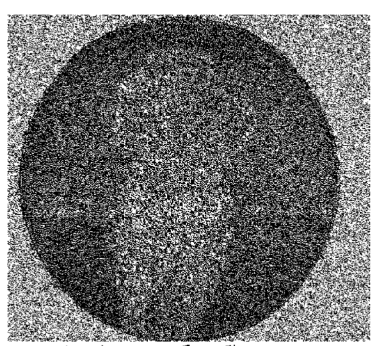
﴿ ترجمة حياته ﴾ وُلد الدكتور فان ديك في قرية كندرهوك من أعمال ولاية نيويورك باميركا في ١٣ اوغسطس (آب) سنة ١٨١٨ ووالداه هولانديا الاصل من عائلة هاجرت الى اميركا منذ مئتي سنة . وولد لهما سبعة بنين هو اصغرهم وسمياه كرنيليوس فتلقى مبادىء العلم في مولده فظهرت عليه مخائل النجابة والذكاء واتقن اللغتين اليونانية واللاتينية فضلا عن اللغتين الانكليزية والهولاندية اللتين رضعهما مع اللبن . وحاز قصب السبق على رفاقه وكلهم اكبر منه سناً وكان والده يتعاطى مهنة الطب في تلك القرية وله فيها صيدلية (اجزاخانة) فكان كرنيليوس يعمل ساعات الفراغ في صيدلية والده وهو مع ذلك مغرم بالعلم عامل على اكتسابه بكليته حتى جمع من تلقاء نفسه منبتة فيها كل النباتات البرية التي تنمو في تلك النواحي وتعلم تجفيفها وتقسيمها وترتيبها بنفسه على نظام لينيوس وسماها باسمائها وهو صبي صغير فكان ذلك دليل على ميله الفطري الى العلم

ثم اخنى الدهر على والده فنكب بحادثة اذهبت كل ماله — ذلك انه كفل صديقاً له على مال فخان زمن الدفع فغدر الصديق فاضطر هو الى دفع المال فاستغرق كل ما كان يملكه من متاع وعقار فاصبح صفر اليدين ولم يعد في وسعه تعليم اولاده في المدارس العالية . أما صاحب الترجمة فكان لشدة ميله الى العلم لا يفتر لحظة عن تدبير الوسائل للحصول على الكتب وهو في البيت اما بالاستعارة أو بالاستئجار بدريهمات يجمعها بشق الانفس أو ان يحفظ مضمونها بالسماع . وكثيراً ما كان يتزلف الى بعض اصحاب الكتب التماساً لمطالعة كتبهم . وكان في تلك القرية طبيب كريم الاخلاق في داره مكتبة فلما آنس في الغلام ذلك الاجتهاد أخذته الحمية فدعاه اليه واباح له مطالعة كل ما يريده من الكتب فاكب على المطالعة يغترف العلم اغتراف الظمآن للماء الزلال وكان في تلك المكتبة كتاب في علم الحيوان للعالم كيفيه الشهير فدرسه حتى تفهمه جيداً ثم درس بنفسه كل ما تيسر له الوصول اليه من حيوان بلاده

ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره حتى بلغ من العلم مبلغاً حسناً وصار يلقي خطباً في فن الكيمياء على صف البنات . ولا يستغرب بلوغ مثله هذا المقدار من العلم ولكن الغريب انه ناله بالرغم عن ضيق ذات يده وقلة وسائل التعليم ثم عكف على دراسة

الطب على والده وكان قد اتقن فن الصيدلة علماً وعملاً فرأى بعض ذوي قرباه ما خصه الله به من المواهب الثمينة فخافوا ان يحول الفقر بينه وبين خدماته لبني الانسان فادخلوه مدرسة سبرنكفيلد ثم مدرسة فيلادلفيا وهناك نال الدبلوما الطبية مع لقب دكتور وكانت مساعدة هؤلاء له أساساً لافضال هذا الرجل العظيم على بلادنا جزاهم الله خيراً

ثم اختاره مجمع المرسلين الامريكانيين مرسلاً وطبيباً للديار السورية ففارق الاهل والوطن وهو في الحادية والعشرين من عمره وجاء مدينة بيروت فوصلها في ٢ أفريل نيسان) سنة ١٨٤٠ وكان في بيروت عند وصوله حجر صحي على واردات اوربا

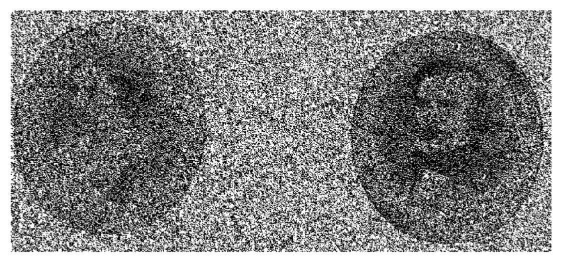


(ش ٧) الدكتور كرنيليوس فان ديك

فاقام في الحجر (الكرنتينا) أربعين يوماً حفظ في اثنائها مئتي كلمة من اللغة العربية . ولم تطل مدة اقامته في بيروت فأوعز اليه ان يسير الى القدس لتطبيب عائلات بعض المرسلين . ثم عاد الى بيروت وشرع في تعلم اللغة العربية فتعرف بالمرحوم المعلم بطرس البستاني وكانا عزبين فأقاما معاً في غرفة واحدة وائتلف قلباهما وتمكنت بينهما ربط المودة وما برحت الصداقة بينهما متينة يتحدث بها أهل الشام حتى الآن . ونذكر اننا شهدنا الصلاة على المرحوم البستاني يوم وفاته وقد طلب من الدكتور فان ديك تأبينه فوقف وقد تلعثم لسانه وارتعشت شفتاه وخنقته العبرات ولم يقو على الكلام ما خلا قوله « يا صديقي ورفيق صباي » كررها مراراً بصوت ممتزج بالبكاء فابكى كل من حضر

فتناول مبادىء القراءة العربية اولا من لياس فوار البيروتي ثم قرأ على ابي بشاره طنوس الحداد الكفرشيمي وأخذ شيئاً عن صديقه البستاني ثم أتقن الفنون العربية على الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ يوسف الاسير فبرع فيها حتى صار من المعدودين في معرفتها وحفظ أشعارها وامثالها وشواهدها ومفرداتها وكل علومها واتقن التلفظ بها اتقاناً لم يسبقه اليه أحد قبله من جالية الافرنج على اختلاف أصولهم ولغاتهم فاذا نطق لا تميز نطقه عن نطق أهل الشام مطلقاً فضلا عما وعاه في حافظته من الامثال الفصيحة والعامية حتى صار يضرب المثل بضربه الامثال واتقن أيضاً اللغة العبرانية والسريانية

وفي خريف سنة ١٨٤٢ انتقل الى عيتات بلبنان واقترن هناك بالسيدة جوليا بنت المستر بطرس آبت قنصل انكلترا في بيروت المشهورة بلطفها وحسن اخلاقها . وهاك رسماهما بعيد الزفاف سنة ١٨٥٢



(ش٨) الدكتور فان ديك سنة ١٨٥٢ (ش ٩) قرينته

وكان اقترانه هذا عوناً كبيراً له على اتقان اللغة العامية وحفظ أمثالها فقد كان لقرينته خادمة تدعى اسماء كانت نابغة في حفظ الامثال العامية أشبه بقاموس حيّ لها فكان الدكتور يأخذ عنها الامثال والالفاظ العامية ويحفظها حتى تمكن منها كما تقدم

ومما حكاه لنا أعرف الناس باحواله انه لم يكن في منزله عند زفافه الا ستة كراسي قش وثلاث حلل ومائدتان من خشب غير مدهون وكانون من طين غير ان ذلك كله لم يحط من منزلته ولا قلل شيئاً من قدر خدماته

ثم انتقل من عيتات الى قرية عبيه وهناك انشأ مدرسة عبيه الشهيرة بمعاضدة صديقه البستاني وكانت اللغة العربية قليلة الكتب التعليمية في الفنون الحديثة فأخذ في تأليف الكتب اللازمة للتدريس فألف كتاباً في الجغرافية وآخر في الجبر والمقابلة

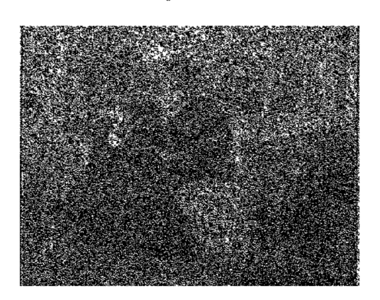
وآخر في الهندسة وآخر في اللوغرتمات والمثلثات البسيطة والكروية وسلك البحار والطبيعيات ومعظم هذه الكتب مطبوع

وبعد أن قضى في عبية أربع سنوات بالتدريس والتأليف دعاه مجمع المرسلين الى صيدا وعهد بمدرسة عبيه الى المرحوم سمعان كلهون المشهور بالفضل والاستقامة والتقوى وبقي الدكتور فان ديك مع صديقه الدكتور طمسن في صيدا وتوابعها معلماً واعظاً ومبشراً جائلا من مكان الى مكان حتى توفي المرحوم عالي سميث سنة ١٨٥٧ فانتدب الدكتور فان ديك لترجمة التوراة والانجيل مكانه

وعالي سميث المذكور من أفاضل المرسلين الاميركانيين. وكان قد باشر ترجمة الكتاب المقدس من اللغتين الاصليتين بمعاونة المعلم بطرس البستاني واتم ترجمة سفر التكوين وسفر الخروج الا الاصحاح الاخير منه وراجعهما وصححهما وترجم أسفاراً أخرى لم يراجعها . فلما انتدب الدكتور فان ديك مكانه أبقى السفرين الاولين على حالهما وترجم وراجع ما بقي وعانى في غضون الترجمة أتعاباً جزيلة في التفتيش عن أصل كل لفظة باللغات الاصلية وتطبيقها على العربية ما جعل الترجمة الاميركانية كما وصفناها في كلامنا على ترجمات التوراة في السنة الثانيـة من الهلال . وتولى مع الترجمة ادارة المطبعة الاميركانية المشهورة وحسن فيها وزاد الحركات على الحروف حتى صارت من أحسن مطابع المشرق وأشهرها واتم الترجمة سنة ١٨٦٤ وبعثه مجمع المرسلين الى الولايات المتحدة سـنة ١٨٦٥ ليتولى أمر طبعها وتصفيح صحائفها بالكهربائية هناك فاقام في الولايات المتحدة سنتين حتى اتم هذا العمل وعاد الى سورية سنة ١٨٦٧

وكان أثناء اقامته في اميركا هذه المرة يدرّس العبرانية في مدرسة يونيون اللاهوتية وكثيراً ما كان الطلبة يعافون درس هذه اللغة ويأبون الحضور في ساعة تدريسها لصعوبتها وعدم مناسبة أسلوب القائها . اما هو فغير أسلوب التـدريس وجعل يعلمهم اياها كلغة حية فصار الطالب يجد في درسها معنى ولذة ويرغب في تحصيلها فتقاطر الطلبة الى صفه وتكاثر عددهم . فلما رأت عمدة المدرسة ذلك عرضت عليـه ان يبقى استاذاً للعبرانية فيها وعينت له راتباً كبيراً فاعتذر عن قبوله قائلا « قد تركت قلبي في سورية فلا لذة لي الا بالعودة اليها » وتم في ذلك الاثناء انشاء المدرسة الكلية السورية في بيروت على نفقة جماعة من أهل البر في الولايات المتحدة باميركا فعرضت عليه عمدة تلك المدرسة الكبرى في اميركا ان يكون استاذاً فيها فاجابها الى ذلك ثم طلبت اليه ان يعين راتبه السنوي بنفسه فكتب ٨٠٠ ريال مع ان راتب أصغر اساتذتها لا يقل عن ١٥٠٠ ريال وانما فعل ذلك حباً بخير البلاد ونفع أهلها

ولما وصل بيروت باشر تأسيس المدرسة الكلية الطبية مع صديقه الدكتور يوحنا ورتبات . ووضعا وحدهما نظاماً لدروسها وشرعا في التعليم لا يحاسبان على اتعاب ولا ينظران الى مكافأة أو مدح . ولما رأى الدكتور فان ديك ان المدرسة تفتقر الى استاذ يدرس الكيمياء فيها اقبل من فوره على تدريسها وهو انما عين استاذاً لعلم الباثولوجيا لا لغيره . ولم يكن في المدرسة حينئذ من أدوات الكيمياء الا قضيب من زجاج وقنينة عتيقة فانفق مئتي ليرة انكليزية من ماله لاستحضار ما يلزم من الادوات . والف كتابه المشهور في مبادىء الكيمياء لتدريس التلامذة وطبعه على نفقته وهو يعلم انه لا يسترجع نفقات طبعه قبل مماته . وما زال يدرس هذا الفن ست سنوات متوالية ينفق على لوازم التدريس من جيبه . وعينت عمدة المدرسة استاذاً للكيمياء فجاء وبقي سنتين يتعلم العربية ويقبض اجرته والدكتور فان ديك يدرّس مكانه مجاناً حباً بمصلحة المدرسة وخير ابناء البلاد . ولما تولج استاذ الكيمياء اشغاله ترك الدكتور فان ديك للمدرسة كل ما انفقه عليها ولم يأخذ مقابله الا مئة ليرة انكليزية



(ش ١٠) الدكتور فان ديك بلباسه الشرقي

ولم يقتصر الاستاذ على ذلك ولكنه تولج منصباً ثالثاً لتعليم علم الفلك لان المدرسة لم يكن في وسعها القيام بنفقة تدريسه فتبرع هو بتدريس هذا الفن مجاناً والف له كتاباً وطبعه على نفقته ايضاً كما طبع كتاب الانساب والمثلثات والمساحة والقطوع المخروطية وسلك البحار . ولم يكن في المدرسة آلات فلكية يعتد بها فما لبثت ان شرعت في بناء مرصدها حتى ابتاع له آلات بقيمة سبعمائة ليرة انكليزية من ماله الخاص . وأثثه وفرش فيه على نفقته واشتهر ذلك المرصد باسمه في المشارق والمغارب . ولما خلفه معاونه في

تدريس علم الفلك الوصفي ألف كتاباً في الفلك العملي وجمل يعلم به العناية على الآلات وكان مع تدريسه الباثولوجيا والكيمياء والفلك يتولى ادارة المطبعة الاميركانية فينتقد ما يطبع فيها من الكتب ويهتم بتأليف النشرة الاسبوعية ويطبب في المستشفى البروسياني وكانت المرضى يتقاطرون عليه افواجاً حتى بلغ عددهم الالوف في السنة فضلاً عن تآليف الكتب العلمية والطبية والدرس والمطالعة والامتحانات العلمية وحضور الجمعيات النافعة ومراسلة العلماء في سائر اقطار الارض مما يعجز جماعة من الرجال عن القيام به

وفيما هو لاه باشغال التأليف والتدريس والرصد والمراسلات العلمية عما سواها من مطامع البشر نكبت المدرسة الكلية بحادث شوّه تاريخها ولا نريد ذكره لان فيه اثارة الاحقاد وتكدير الخواطف . ولكننا نقول بالاجمال ان الدكتور فان ديك أظهر في ذلك الحادث شهامة وغيرة وشرفاً ومروءة تذكر له مدى الدهر لانه ضحى مصلحته الخصوصية انتصاراً للحق والعدل فاعتزل عن المدرسة محتملاً آلام فراقها وملام ذوي الاغراض محافظة على مبادئه . فعوضته المدرسة عما ترك في مرصدها خمسمائة ليرة انكليزية دفعتها له اقساطاً . وما زال يطبب في المستشفى البروسياني على جاري عادته حتى سعى البعض في صد فؤاده عن بني الوطن فترك المستشفى على غير رضى منه . لكنه اعا تركه ليحيي في الوجود مستشفى مار جرجس لطائفة الروم الارثوذكسيين فكان له في تأسيسه وانشائه ايادٍ تذكر . وما زال يطبب المرضى فيه ويبذل ما في وسعه في تنشيطه ادبيًّا وماديًّا الى أواخر ايامه والطائفة الارثوذكسية لا تنسى فضله في ذلك

وفي ٢ افريل سنة ١٨٩٠ احتفل أهل سوريا بمرور خمسين عاماً على اقامته بينهم فاقاموا له يوبيلا شاركهم فيه افاضل المشارقة في مصر والعراق وغيرهما بالاكتتاب وتقاطرت عليه الرسائل والقصائد وكتب التهنئة من وجهاء سوريا وامرائها وجمعياتها وبطاركتها واساقفتها ومجامعها على اختلاف المذاهب والنحل وملأت جرائد القطرين السوري والمصري أعمدتها بذكر مآثره وافضاله وأعماله ولولا ضيق المقام لجئنا ببعض ما قيل فيه ولكن ذلك مجموع في كتاب مطبوع على حدة بمطبعة الاميركان ببيروت فمن أراد التفصيل فليطالعه

« اليوبيل الخمسيني » لما دنى اليوم الثاني من افريل سنة ١٨٩٠ وهو الذي وطئت به قدم الدكتور ارض الشام منذ خمسين عاماً اجتمعت فئة من وجوه بيروت على اختلاف مذاهبهم والفوا لجنة تجمع ما تيسر من المال لتبذله في تقديم هدية لحضرته

دليلا على اقرارهم بفضله واعترافهم بمقدار خدماته

وقبل مباشرة العمل سارت اللجنة الى دولة الوالي اذ ذاك (عزيز باشا) واستأذنته فنشطها كثيراً ومما قاله لها « يسرني ان أرى السوريين يعترفون بالجميل ويقدرون خدم الرجال حق قدرها وهو دليل على تمدنهم ورقة عواطفهم ولا ريب ان سيدنا ومولانا الخليفة الاعظم يشترك مع رعيته الامينة في مكافأة الرجل الذي خدم الانسانية في بلاد جلالته خمسين عاماً »

فعادت اللجنة وقد اشتد عزمها وباشرت العمل بالاكتتاب فآنست من السوريين وغيرهم رغبة شديدة في تنشيط مشروعها وانعم جلالة السلطان الاعظم في أثناء ذلك على الدكتور بالنيشان المجيدي من الرتبة الثالثة مشاركة لرعيته في اكرامه . وما زالت اللجنة تكاتب الجهات وتنشر اعمالها في الجرائد والمجلات حتى جاء يوم اليوبيل فاذا في صندوقها خمسمائة ليرة فتفاوضت في ماذا تعمل بها واستشارت دولة الوالي فاجمع الرأي على أن تقدم اليه نقداً على شريطة ان لا يبذلها في سبيل الخير كعادته بل يبقيها في يده بالوجه الذي يختاره علامة دائمة لما عند اهل الوطن من الشكر والمحبة له

ولما كان صبح الاربعاء ٢ افريل (نيسان) سنة ١٨٩٠ سار اعضاء اللجنة الى دار الاستاذ للقيام بفروض التهنئة وتقديم الهدية فاذا بتلك الدار قد غصت بالوفود من المهنئين على اختلاف الاديان والنحل والدكتور وقرينته جالسان في صدر القاعة يقابلان المهنئين بما جبلا عليه من اللطف والانس فدخل أعضاء اللجنة وقدموا له عريضه مكتوبة على رق غزال تتضمن أحساسات السوريين نحوه واقرارهم بفضله وتلاها الرئيس وهاك نصها :

« ايها السيد الجليل الفاضل

« روت عنك اخبار المعالي محاسناً كفت بلسان الحال عن ألسن الحمد »

« لما علم السوريون بلوغكم نهاية السنة الخمسين منذ حضوركم الى سورية وعرفوا انكم شغلتموها بخدمة الوطن رأوا مما توجبه خدمة الانسانية اشعاركم بما في افئدتهم من عواطف الشكر على ما لكم من الايدي البيضاء عندهم في كل هاتيك السنين ولم يفتهم انكم منذ وطئتم أرضهم نهجتم المنهج السوري حتى صرتم كاحد ابناء سورية وشربتم حبها ورغبتم في نفعها وجعلتم غاية حياتكم افادة سكانها . فالفتم كثيراً من مفيدات الكتب على اختلاف صنوفها من أدبية وعلمية وطبية وسعيتم في تشييد صروح العلم ونوادي الخير وعلمتم الفقراء والمرضى فنشأ من مساعيكم واتعابكم عظيم الفوائد لشبان هذا القطر وقد صار كثيرون من تلامذتكم فيه كهولا وشاركتكم بعضهم

في الشيخوخة . وهم جميعاً موقنون انه ما حملكم على ذلك سوى حب الانسانية بخلوص اثبتته شواهد السنين . وعلى ما ذكر اختاروا لجنة تنوب عنهم في التهنئة لكم بادرا ككم هذا اليوم الموافق ليوم دخولكم سورية في سنة ١٨٤٠ . وفي التصريح باطيب الثناء عليكم لما سبق بيانه من مناقبكم ومآثركم وفي سؤال المثيب الكريم ان يطيل بقاكم ويجعل سائر ايامكم زمن راحة وسلام. وتقديم هدية منهم على اختلاف الملل والمذاهب وهي وان تكن أمراً يسيراً لا تقصر عن ان تكون آية ما في قلوبهم من خالص الشكر لجنابكم . وفي الختام نسأله تعالى ان لا يضيع لكم اجراً وان يجزيكم خير الجزاء . آمين »

فاجابهم الدكتور والدموع تتلألأ في عينيه من الفرح قائلاً :

« ليس لديَّ الفاظ تعرب عما في قلبي فالاجدر بي قبول اكرامكم بالسكوت الا بكم وهو شاهد لا تحتاج شهادته الى تزكية ومن أقوى حاسياتي اليوم اني لم افعل شيئاً يستحق من حضراتكم كل هذا الالتفات واذا كان الله سبحانه وتعالى قد فسح في أجلي حتى انفي في هذه الديار ٥٠ سنة فلست أرى ان ادعي انفسي جميلا . على اني اصرح قدام الله والناس اني اقمت بين أهل الشرق بكل نية صافية ولم أقصد غير نفع جيلي وترقيته وتخفيف الاثقال على قدر الاستطاعة وهذا من فضل الله يؤتيه من يشاء » الى أن قال « فاقدم لحضراتكم الشكر الجزيل من صميم القلب وارجو ان تنوبوا عني في ابلاغ شكري وامتناني لكل من شارككم في هذا الاكرام ولا سيما أصحاب الجرائد الذين سعوا في المعونة على ما اجريتموه أي من الجرائد المصرية الاهرام والمقتطف والشفاء واللطائف والمقطم . أما الجرائد السورية أعني لسان الحال وبيروت والثمرات والصفاء والمصباح والتقدم فلا اتجاسر ان اتفوه من جهتها لان (القاق في الجوزة) جزاكم واياهم الله عني كل خير في الدنيا والآخرة وادام لنا مليكا رتعنا تحت ظله بالامن والسلام »

ثم نهض جماعة من العلماء والشعراء وأرباب المناصب العالية وغيرهم من وجهاء البلاد وتلو القصائد والخطب في تهنئة حضرته وتقديم الهدايا ومن جملة ما قدم اليه منها صورته الفوتوغرافية مرسومة كبيرة على صفيحة من البلور يحيط بها برواز شرقي جميل . ومكتبة ثمينة مصنوعة من خشب الجوز وفيها تآليفه مجلدة تجليداً متقناً قدمها اليه المرسلون الاميركان في سورية . وطاقم قهوة فضي قدمته عمدة مستشفى ماري جرجس للروم الارثوذكس . وكتاب فوتوغرافي (البوم) من عمدة المستشفى البروسياني وغير ذلك

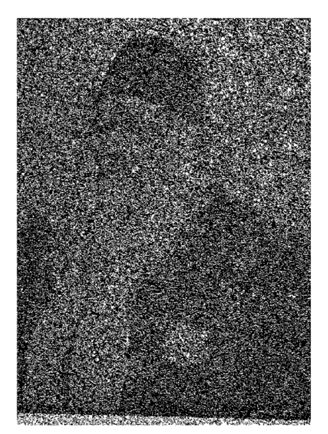
(أعماله ومؤلفاته) قضى الاستاذ العلامة رحمه الله نيفاً وخمساً وخمسين عاماً في سوريا وهو (كما وصفته جمعية الروم الارثوذكس) لا تنفتح في الصبح عيناه الا عن لائذ بجنابه ولا تسير في النهار قدماه الا الى معونة اعدائه وأصحابه . ولا يغلق في المساء بابه الا على منصرف مرتض واقف في بابه . ولا يأوي في ليلته غرفة الا لينكب على مكتوباته وكتابه — حياة امتلأت بطاعة الحداثة ونشاط الصبا ومروءة الفتوة واقدام الشباب ومقدرة الكهولة وحكمة الشيخوخة . وهي في كل أدوارها ذكاء وفطنة ودرس ومعرفة وعلم وعمل واستفادة وافادة وعبادة لله وحب للقريب وخدمة للانسانية

وزد على ذلك قيامه بتنشيط المشروعات العلمية والادبية فلم تقم جمعية علمية أو ادبية الا كان هو المنشط في انشائها ولا انشأت مدرسة الا كانت له يد بيضاء فيها وهكذا قل عن المستشفيات والكنائس . ولا يقتصر في مساعدته على التنشيط الادبي ولكنه يجود بالبذل والعطاء والخدمة الشخصية علماً وعملاً لا ينظر في كل ذلك الى مذهب دون آخر أو طائفة دون أخرى فهذا مستشفى القديس جاورجيوس للطائفة الارثوذكسية ببيروت فان الدكتور أول من فتح جيبه لتنشيطه وقضى بضعة عشر عاماً يطبب مرضاه ويخفف اسقامهم ويلطف احزانهم برقته وايناسه وهذه الجمعية السورية لا يذكر اسمها الا مقروناً باسمه فانها أول جمعية تأسست في بلاد الشام وهو الواضع لاساسها . اسأل جمعية شمس البر والمجمع العلمي الشرقي. اسأل المجامع الدينية الانجيلية . ناهيك عما افاده بمقالته وخطبه ومراسلاته بل ما قولك عما أثره بقدوته فان من يجاوره أو يعاشره لا تلبث ان تراه قد اكتسب شيئاً من اخلاقه وهو لا يدري فيعكف على اكتساب العلم وخدمة الوطن . ومما نذكره له ونعده خدمة كبرى ايعازه الى أحد منشئي المقتطف ان ينقل كتاب سر النجاح الى اللسان العربي فان نشر هذا الكتاب النفيس بين قرائه أثر تأثيراً كبيراً في بثه العلم والعمل بينهم لانه كتاب لم يكتب علماء الاخلاق والاعمال على مثاله . ولا ريب عندنا انه كان سبباً كبيراً في انهاض الذين قرأوه وخصوصاً الشبان فان مطالعة ما فيه من سير الرجال العلم والعمل تثير في انفس الاحرار رغبة في الاقتداء بهم والنسج على منوالهم . على ان في سيرة استاذنا رحمه الله ما يغني عن مطالعة ذلك الكتاب

ومن أعماله انه كان اكبر مساعد في تأسيس المدرسة الكلية السورية والمرصد الفلكي والمتريولوجي وكان دعامة أعمال المرسلين الاميركانيين في سوريا . ومن اقوى اركانهم في نشر تعاليمهم وبث روح العلم والعمل بغير أن يمس كرامة طائفة من الطوائف

ند ولم يبق قارىء من قرائهم لا يعرف اسم السيد احمد خان فهو من هـذا القبيل
بيه باستاذنا الدكتور فان ديك في سوريا . واليك ترجمة حاله

(ترجمة حياته) يتصل نسب السـيد احمـد خان بارومة عريقة في الشرف .
كان اجداده الاولون من اهل المناصب الرفيعة في بلاط امبراطوري المغول . اولهم
سيد هادي أصله من هرات ثم نزح الى هندستان وأقام فيها وحفيده جد صاحب
رجمة نال من دولة الهند على عهد الامبراطور الاخير لقب جواد علي خان وجواد
ولة . واما جده لامه فهو خوجه فريد الدين احمد وكان رجلا فاضلا تقلد منصباً



(ش ١٣) السيد أحمد خان

سياسيا كبيراً وانفذ سفيراً الى شاه الفرس انفذه اللوزد ولسلي (غير ولسلي مصر) .
فاما والد السيد احمد خان فهو السيد محمد تقي وكان تقياً ورعاً اعتزل الدنيا وانقطع الى
الصلاة والعبادة . ولما غلب الانكليز على الهنود وآلت حال امبراطور المغول (أكبر
الثاني) الى الضعف انحصر في دهلي وبعث الى السيد محمد تقي ان يتولى الوزارة فأجابه
معتذراً شاكراً وأوعز اليه ان يوليها حماه خوجه فريد الدين لانه اهل لها وكان مقيما
في كلكتة فاطاعه واستقدم خوجه فريد الدين وقلده منصب الوزارة ولقبه بدبير الدولة

وامين الملك خان بهادر . وبالجملة فان صاحب الترجمة شريف الاصلين ورث الهمة والذكاء من الجدين

﴿ نشأته الاولى ﴾ وُلد السيد احمد خان في دهلي من أعمال الهند سنة ١٨١٧ وربي في كنف والده معززاً مكرماً لما علمت من منصب جده خوجه فريد الدين ومقام والده السيد محمد تقي ولكنه كان في حداثته خجولا جباناً — ويغلب في من يكونون كذلك في طفولتهم ان يشبوا على التعقل والدراية كأن قواهم العقلية تنمو بنمو اجسادهم وتبلغ ببلوغها فيعملان معاً بقوة متعادلة . وكان الذين تظهر فيهم حدة الذهن في صغرهم تنمو القوى العاقلة فيهم قبل سائر الجسد فلا يبلغ الجسد أشده حتى تكون القوى العقلية قد مالت الى التقهقر فلا تستطيع العمل معه . وأما الاخلاق فيغلب ان تظهر في المرء واضحة منذ نعومة اظفاره — فالصادق يتبين صدقه من ابسط المسائل واحقرها وكذلك سائر الاخلاق كالاخلاص والرياء والبخل والكرم والحقد والحلم وغيرها . وعلى هذا المبدأ يقال في السيد احمد خان لانه كان حر الضمير منذ حداثته . ومما يروى عنه ان قيم البلاط الامبراطوري نادى السيد احمد وكان بين جملة احداث آخرين اجتمعوا هناك لغرض فلم يجب وكان والده واقفاً بجانب الامبراطور فذكر له الامبراطور ذلك فاجاب والده ان الغلام حاضر هناك فاستقدمه فوقف بين يدي الامبراطور فسأله لماذا لم يجب عند ذكر اسمه فقال « اني كنت غارقاً في النوم » فعجب ارباب المجلس لجسارته واوعزوا اليه ان يحتال في الجواب ويعتذر عن نفسه فاجاب انه انما يقول الصدق وليس عنده عذر آخر يقوله . فضحك الامبراطور وأنعم عليه بعقد من اللؤلؤ يضعونه اكليلاً على الرأس

تلقى مبادىء العلم منذ الثانية عشرة وكانت والدته تستعيده كل ليلة ما تعلمه في النهار حتى نبغ بين اقرانه — ما اجمل هذه العناية من الوالدات

وفي سنة ١٨٣٦ توفي والده فانعم عليه الامبراطور بهادر شاه آخر ملوك دهلي برتب والده ونعوته مع لقب « عريف يونغ » اي « استاذ حرب » وفي سنة ١٨٣٧ انتظم في خدمة الحكومة بادارة الانكليز بالرغم عن اقاربه . وفي السنة التالية تولى منصباً قضائياً في دهلي وفي السنة الخامسة والعشرين من عمره تقلد منصب « منصف » في قضاء فتح بور وبعد سنوات اخر انتقل الى دهلي وبعد عودته أكبّ على المطالعة وذاق لذة العلم فألف كتاباً في « آثار دهلي » فانتخبته الجمعية الاسيوية الملوكية عضواً فيها

وفي سنة ١٨٥٧ كانت ثورة اهل الهند في دهلي وغيرها ففتكوا بالانكليز فتكا ذريعاً وكان السيد احمد خان يومئذ في منصب نائب قاضي في بجنور فرأى تلك الثورة

في غير أوانها وتحقق انها آيلة الى الضرر بوطنه فنصح لبعض زعمائها فلم يصغوا اليه بل تهددوه بالاذى اذا ساعد الانكليز فلم يطق ان يرى النساء والاولاد تقتل بلا ذنب فجمع رجاله حول مكان ضم فيه كل انكليز تلك المقاطعة واحاطهم برجاله وبالغ في المدافعة عنهم حتى عرض نفسه للخطر وكاد العصاة يقتلونه مرة لو لم يلجأ الى غابة شائكة هناك . فلما انقضت الثورة وفاز الانكليز اكرموه براتب مستديم مقداره ٢٠٠ روبية في الشهر يرثه بكره من بعده فضلاً عن هدايا كثيرة قدموها له

وفي اثناء ذلك كتب كتاباً في اللغة الاوردية (الهندستانية) في « اسباب الثورة الهندية » ترجم الى الانكليزية سنة ١٨٧٣ انتقد فيه كثيراً من اعمال الانكليز وكشف الغطاء عن بعض مقاصدهم وبين الاسباب التي حملت الهنود على الثورة على كيفية اثبتت فيها وطنيته ولم تبهره هدايا الانكليز ولا رواتبهم . على انه لم يغفل ذكر الخطأ الذي ارتكبه الهنود في تلك الثورة فبنى اقواله كلها على جهل الشعب الهندي احتياجه الى العلم قبل كل شيء وبناء على ذلك عاهد نفسه على الانقطاع الى هذه الخدمة . وجعل دأبه السعي في تعليم الشعب الهندي من المسلمين بأي وسيلة كانت . وهو مع ذلك مستخدم في مصالح الحكومة فكان فضلاً عن قيامه بواجبات مصلحته لا تفوته فرصة للسعي في هذا السبيل وكتب في اثناء ذلك شرحاً للتوراة في ثلاثة مجلدات وهو اول مسلم الف مثل هذا الكتاب فكان له وقع حسن لدى الهنود والانكليز معاً

﴿ خدمته في العلم ﴾ نظر هذا الرجل العاقل بنير بصيرته في ما يرجو منه النفع لترقية شؤون ابناء وطنه فلم يرَ خيراً من نزع التعصب الاعمى من بين ظهرانيهم واقناعهم ان الانكليز وغيرهم من الامم الافرنجية بشرٌ مثلهم وان العلوم الحديثة كالطبيعيات ونحوها لا تخالف الحقائق الدينية في شيء فضلا عن نفعها الجزيل فانشأ في بادىء الرأي « جمعية للترجمة » (وصارت الآن الجمعية العمومية في علي كده) جعل موضوعها تقريب علوم الغربيين وآدابهم من اذهان الشرقيين . فآنست تلك الجمعية تنشيطاً من الحكومة فجملها دوق اركيل تحت حمايته فتمكنت من نقل كثير من مؤلفات الانكليزية الى اللسان الهندي ونشرها بين العامة فنال السيد احمد خان من الحكومة الانكليزية سنة ١٨٦٦ وساماً ذهبياً ونسخة من مؤلفات ماكولي المؤرخ الانكليزي المشهور مكافأة له على تلك الخدمة

وفي سنة ١٨٦٧ انتقل الى بنارس من اعمال الهند وكان ابنه السيد محمود قد بلغ أشده فعول على ارساله الى بلاد الانكليز لتلقي العلم في مدرسة كمبريدج الشهيرة وسار

هو معه لعله يرى هناك اسباباً يستطيع الاستعانة بها في خدمة بلاده فلاقى ترحاباً عظيماً وتعرف بجماعة كبيرة من اهل العلم والسياسة فأجلوه واكرموه وكان دوق اركيل حينئذ وزيراً للهند فمنحه عضوية كوكب الهند وانتخبه عضو شرف في نادي الاثينيوم

وكانت سفرته هذه بما شاهده في بلاد الانكليز من اسباب التمدن ووسائل التعليم كأنه نور انبثق لديه بغتة فكشف له عن حقيقة حال الشعب الهندي وما يحتاج اليه واتضح لديه جيداً ان التمسك بالقديم من عادات الآباء وتقاليد الاجداد والنفور من العلوم الحديثة وتجنب الامم الاخرى انما هو السبب الاكبر في استيلاء الجهل على ابناء جلدته . فعاد في اواخر سنة ١٨٧٠ الى بنارس وتولى مهام وظيفته وفي نفسه انشاء مدرسة في بلاد الهند على مثال مدرسة كمبريدج ولكنه أدرك خشونة ذلك المركب فلبث متربصاً بنتظار الفرص

فبدأ في تمهيد السبيل لذلك المشروع فانشأ جريدة سماها « مصلح الهيئة الاجتماعية الاسلامية » نشر فيها مقالات ضافية بين فيها خطأ الذين يطعنون في العلوم الحديثة ا يحرمون من يقتبسها وأورد لهم الادلة الدينية والشواهد الشرعية المؤيدة لاقواله وقضى في هذا الجهاد تسع سنوات متوالية . قال الكولونيل غراهم وقد كتب ترجمة الرجل « ان كتابته هذه أثرت في الهيئة الاجتماعية الاسلامية الهندية تأثيراً غريباً وكانت خير وسيلة لتقريب الهنود من حكامهم » ولكنه بلي بغضب كثيرين من المسلمين فجاءه التهديد والوعيد من البيت الحرام واتهمه بعضهم بالضلال . ولكنه ما انفك يجادلهم بالحسنى حتى افنعهم بصدق اسلامه وفي جملة ما مكن اقتناعهم رد شديد اللهجة دافع فيه عن المسلمين ضد كتاب ألفه السير وليم هنتر وموضوعه « مسلمونا بالهند وهم يعتقدون وجوب نبذ طاعة المملكة »

على ان ما لاقاه من امثال هذه العقبات لم يثن عزمه عن الغرض الذي اوقف بقية حياته لاتمامه وهو انشاء مدرسة كلية اسلامية فألف أولا لجنة سماها « لجنة رأس مال المدرسة الهندية الانكليزية الاسلامية » على ان تكون تلك المدرسة في بنارس ثم اقرو على ان تكون في مدينة علي كده لانها في وسط العالم الاسلامي هناك فيسهل قدو الطلاب اليها من البنجاب والاود والبهار وراجبوتانا وغيرها

ولكن تأسيس تلك المدرسة لم يكن بالامر الهين لان في سبيلها فضلاً عن النفقات الطائلة عقبة وعرة هي عقبة التعصب فقام لمصادرة المشروع جماعة يرون بقاء القديم على قدمه ويعدون الخروج عنه بدعة . ولكن صاحب الترجمة تصرف بالحكمة والدراية وعدّل في بروغرام المدرسة وقوانينها تعديلاً اقنع الجميع ان الغرض منها تعليم المسلمين

وتثقيفهم على ما توجبه ديانتهم وان التعليم فيها يكون باللغات الشرقية والعلوم الشرقية . وساعده في هذا الجهاد جماعة من رجال الانكليز المشهورين فاخذوا في جمع الاكتتاب من مسلمي الهند فلاقوا مشقة كبرى فمضت مدة ولم يجتمع من المال ما يقوم بالنفقة اللازمة . اما السيد احمد ولجنته فلم ينتظروا اجتماع المال كله مخافة ان تطول المدة فتفتر همم مع ما يتخلل ذلك من ضعف الثقة فتناولوا ما اجتمع لديهم من النقود وانشأوا به مدرسة صغيرة في علي كده سنة ١٨٧٥ وكان انشاؤها داعياً الى وثوق الناس في تلك اللجنة ومشروعها فاقدموا عليه ولم تمض سنتان اخريان حتى انهالت عليهم الهبات والمساعدات فأنشأوا المدرسة الكبرى وهي المدرسة الكلية في علي كدة . وظلت المدرسة برآسة بعض رجال الانكليز حتى انتقل هو الى علي كدة فصارت اليه فاستقال من منصبه في القضاء وانقطع اليها منذ عام ١٨٨٠ وعكف على التعليم والتأليف والخطابة حتى توفاه الله في مارس سنة ١٨٩٨ وله من العمر ٨١ عاماً وقد جلله الشيب فزاده وقاراً ونال كثيراً من علامات الشرف مع لقب سير وألقاب اخرى

« صفاته الشخصية » كان رحمه الله عظيما في كل شيء جسماً وعقلاً وخلقاً كان عظيم الرأس واضح الملامح كبير العينين كبير اللحية غليظ الشعر كما يتضح ذلك من النظر الى رسمه في هذه الترجمة وكان عظيم الهيبة مع رقة ووداعة عالي الهمة حازماً مقداماً كثير الصبر على المشروعات الوطنية وما برح الى آخر نسمة من حياته مستهلكاً في خدمة وطنه ساعياً في تأييد جامعة الاسلام ورفع شأن المسلمين . ومما ذكره لنا بعض معارفه انه لما عزم على انشاء كلية علي كدة المتقدم ذكرها واحتاج الى جمع المال طاف البلاد بنفسه متنقلاً من مدينة الى اخرى ومن بلد الى آخر وكانت شهرته قد طارت في الآفاق فكان اذا نزل مدينة هم اهلها باعداد الاحتفالات وايلام الولائم احتفاء به فكان يقول لهم « لم آت لآكل ولا لاشرب وانما جئت استحثكم على مشروع وطني فما تنوون انفاقه على الاحتفال ادفعوه اليَّ نقداً لان المدرسة أحوج اليه » فبلغ مقدار ما جمعه في هذا السبيل ٤٠٠٠٠٠ روبية (نحو ٧٠٠٠٠٠ فرنك) انفقها كلها على المدرسة وقضى نحو عشرين سنة في خدمتها ليلا ونهاراً لا يلتمس أجراً ولا شكوراً . وانما كان ينفق على نفسه من راتب استحقه من خدمته في القضاء مقداره ٤٠٠ روبية في الشهر وابنه السيد محمود الآن قاضي قضاة المسلمين في مدينة الله آباد

(كلية علي كدة) هي أعظم مدرسة كلية اسلامية في الهند تعلم فيها اللغات الهندية والفارسية والعربية والانكليزية . عدد أساتذتها نحو خمسة عشر استاذاً كان في جملتهم

صديقنا شمس العلماء الشيخ شبلي النعماني استاذ العربيـة فيها وهو من كبار العلماء المحققين . وعدد تلامذتها نحو ٥٠٠ تلميذ يفدون اليها من انحاء الهند بعيـدها وقريبها وهي المدرسة الوحيدة الـكبرى التي أنشئت على نفقة الوطنيين واقتدى بها أهل لاهور منذ بضعة عشر عاماً فأنشأوا مدرسة سموها « مدرسة لجنة حماية الاسلام » وفي كلية علي كدة مكتبة نفيسة وجامع ومطبعة تصدر منها جريدة أسبوعية في اللغتين الاوردية والانكليزية اسمها (اليكار انستيتوت غازت) أي جريدة كلية علي كدة . ويقدرون نفقات تلك المدرسة بستة آلاف روبية في الشهر

فالسيد أحمد خان قد مات ولـكن فضله لم يمت وهيهات ان يغيب ذكره عن أذهان أهل الهند . وبالحقيقة انهم قدروه حق قدره فألفوا بعد وفاته جمعية سموها « جمعية احياء ذكر السيد احمد خان » فقررت ان افضـل عمل يحيا به ذكره انشا مدرسة جامعة مثل مدرسته الاولى تسمى باسمه وتجمع لهـا الاموال من المسلمين في أقطار الهند وقدروا ما يقتضي لها من ذلك فبلغ نحو نصف مليون جنيه وفق الله مسعاهم

*

*

اركان النهضة العلمية

الدكتور كلوت بك

مؤسس الاصلاحات الطبية في الديار المصرية

ولد سنة ١٧٩٣م وتوفي سنة ١٨٦٨ م

(الطب القديم) كانت مصر الى آخر القرن الثامن عشر في حوزة الامراء المماليك ولا يخفى عليك ما كان من امرهم في دولتهم واماتة العلم والصناعة واستنزاف اموال الناس حتى لقد كان القطر يئن من شدة عتوّهم . فلم يكن للعلم باب يدخل فيه أو تربة ينمو فيها وخصوصاً علم الطب فانه كان من جملة العلوم الدائرة . وكان الاطباء في الغالب من جالية بلاد المغرب يطببون بالحجامة والكي والفصد وغير ذلك مما لا يزال جارياً في اماكن كثيرة من هذه الديار وغيرها من بلاد المشرق

أما المدارس الطبية فلم يكن لها صورة في أذهان أولئك الحكام أو رعاياهم على ان بعض هؤلاء الاطباء المغاربة كانوا يلقون دروساً من تلقاء انفسهم على من يرغب في تلك الصناعة من أهل البلاد أو غيرهم . وكان الغالب في القائها في البيمارستان المنصوري بالنحاسين أو في أروقة الجامع الازهر أو في بيوت اولئك الاطباء . واما كتب التعليم فكانت مما كتب في الاعصر الاسلامية القديمة كعصر العباسيين أو الفاطميين أو غيرهما . ولذلك كان طب القرن الثامن عشر طب القرون الاولى في صدر الاسلام أو هو طب قدماء اليونان والرومان كابقراط وجالينوس لان المسلمين اخذوا الطب عنهم

وما زالت حال الطب في هذه الديار على ما تقدم الى زمن الحملة الفرنساوية التي أغار بها نابليون بونابرت على هذا القطر السعيد سنة ١٧٩٨ م فدخلت الجنود الفرنساوية مصر واوغلوا في مدنها . وكان في جملة تلك الحملة جماعة من العلماء الذين اشتهروا في العلم ولا تزال اسماؤهم مشهورة في سائر انحاء العالم جاء بهم بونابرت اتماماً لمعدات الاستعمار ظناً منه بطول مكثه واستعماره الديار المصرية . وقد بحثت هذه الجمعية في الآثار المصرية وتربة البلاد وحللوها ودرسوا طبائع الحيوان والنبات فيها وكان في عزمهم ان ينشروا لواء العلم بين اهلها لو لم تفاجئهم طوارىء الحدثان بالانسحاب الى ديارهم بعد ثلاث سنوات من احتلالهم (سنة ١٨٠١ م) ولم يتموا شيئاً مما كانوا شرعوا فيه في

﴿ علومه ﴾ كان واسع الاطلاع في العلوم العقلية والنقلية وخصوصاً الفلسفة وفلسفة تاريخ الاسلام والتمدن الاسلامي وسائر أحوال الاسلام . وكان يعرف اللغات الافغانية والفارسية والعربية والتركيه والفرنساوية جيداً مع المام باللغتين الانكليزية والروسية . وكان كثير المطالعة لم يفته كتاب كتب في آداب الامم وفلسفة اخلاقهم الا طالعه . واكثر مطالعاته في اللغتين العربية والفارسية

﴿ آماله وأعماله ﴾ يؤخذ من مجمل أحواله ان الغرض الذي كان يصوب نحوه اعماله والمحور الذي كانت تدور عليه آماله توحيد كلمة الاسلام وجمع شتات المسلمين في سائر اقطار العالم في حوزة دولة واحدة اسلامية تحت ظل الخلافة العظمى . وقد بذل في هذا المسعى جهده وانقطع عن العالم من أجله فلم يتخذ زوجة ولا التمس كسباً ولكنه مع ذلك لم يتوفق الى ما اراده فقضى ولم يدون من بنات أفكاره الا رسالة في نفي مذهب الدهريين ورسائل متفرقة في مواضيع مختلفة قد تقدم ذكرها ولكنه بث في نفوس أصدقائه ومريديه روحاً حية حركت هممهم وحددت أقلامهم فانتفع الشرق وسوف ينتفع باعمالهم

الادارة أو العلم أو الصناعة ولكنهم تركوا آثاراً من التمدن الحديث كانت بمنزلة جراثيم ضعيفة لو طال الامد عليها كامنة لعفت آثارها وبادت . ولكن الله قيض لها رجل الاصلاح والحزم المغفور له محمد علي باشا فبعد أن قبض على أزمة الادارة والسياسة ودانت له الرقاب اخـذ في تنظيم الاحوال واحياء المعالم المصرية — أراد بذلك أن ينشىء دولة عربية وقد علم ان الوسيلة الوحيدة لنجاح الامة انما هي العلم والصناعة وحسن الادارة.



ش ١ : الدكتور كلوت بك

اما حسن الادارة فكان هو الكافل لها مع من كان حوله من ذوي شواره من المصريين وغيرهم . واما العلم فعلم انه لا مندوحة له عن استخراجه من معدنه فبعث الوفود الى اوربا يستقدمون رجال العلم والصناعة وارسل جماعة من اذكياء شبان هذا القطر الى اوربا يتلقون العلوم عن اهلها حتى يعودوا ويبثوها بين أبناء جلدتهم وكان ذلك أول الارساليات العلمية

يحب الدعوات الى الافراح ولا يأنس باللهو والطرب

ومنها النفور من الدَّين فهو يكره الدَّين كرهاً شديداً وقد بالغ في ذلك حتى كان لا يلبس لباساً قبل ان يدفع ثمنه . وقد سمعناه مرة يلوم خياطه لانه أرسل الثوب اليه ولم يرسل من يقبض ثمنه قائلاً « الملك تريد ان لا البس هذه البدلة » ومن أمثاله « الحلاقة بالفاس ولا جميل الناس »

ومنها حبه للامثال العامية والفصحى فلا يرد في حديثه معنى الا أيده بمثل عامي ولا تسأله عن لفظ فصيح الا أورد عليه شعراً فسئل كيف حفظ ذلك فقال انه اقتبسه من المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي

ومن أهم أوصافه تخلقه باخـلاق المشارقة والتزيي بزيهم واكتساب عوائدهم في الطعام والشراب واللباس . وكان اثناء اقامتـه في عبيه يلبس اللباس السوري الخاص بالامراء في ذلك العهد وهو السراويل من البفتا البيضا (القمبركيس) والمنطقة الحريرية الطرابلسية وكبران من الجوخ الازرق عليه تطاريز بالقيطان الاسود وعلى رأسه طربوش مغربي ذو زر طويل (شرابة) . فكان اذا مشى أو ركب تحسبه من الامراء ولـكنه اضطر الى العدول عنـه الى اللباس الافرنجي كرهاً . وسبب ذلك انه دعي مرة لتطبيب أحد وجهاء عبيه فركب وسار بركابه خادم ذلك الوجيه فاتفق في أثناء عودته الشروع في الثورة التي حصلت قبل حادثة سنة ١٨٦٠ بين النصارى والدروز فرآه بعض الدروز بذلك اللباس فظنوه من امراء بني شهاب فهموا بقتله ولم ينج من بين أيديهم الا بعد الجهد وعول من ذلك الحين على اللباس الافرنجي . على انه ما انفك ميالا الى لباس المشارقة فيلبس في منزله طربوشاً من المخمل الاسود أو الازرق مطرزاً بالقصب تتدلى منه شرابة من القصب ويلتف بعباءة واسعة كما تراه في الشكل الماثر وهو يدخن النارجيلة في منزله أمام غرفة المطالعة . وقد تخلق باخلاق المشارقة وأحب السوريين فالسوريون على اختلاف طوائفهم ومشاربهم يعتبرونه أباً لهم . أما هو فقد برهن على حبه لهم ببذل عمره وصحته في خدمتهم وما كسبه من أغنيائهم انفقه على فقرائهم فخدم الفئتين جسداً ونفساً وعقلاً

وكان تقياً حسن العقيدة عن روية وحسن نظر لا عن تسليم وسذاجة . ومن أثمن ما نطق به وصيته لنجله المستر ادوار اثناء زيارته له في أواخر ايامه وهي « احذر أن يخدعك أحد فيسلبك اعتقادك في مبادىء الديانة المسيحية فانها الركن الوحيد الذي يمكننا الاعتماد عليه في مصائبنا وامراضنا وشيخوختنا أما ما وراء تلك المبادىء مما هو موضوع اختلاف اللاهوتيين فكله ابهام وظلمة »

السيد أحمد خان

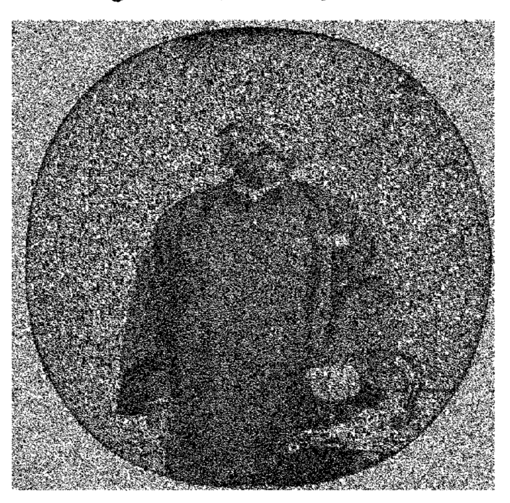
ركن النهضة العلمية الاخيرة في بلاد الهند

ولد سنة ١٨١٧ وتوفي سنة ١٨٩٨

« النهضة العلمية الاخيرة في الشرق » من يطالع تاريخ الشرق في القرن التاسع عشر وهو عصر النهضة العلمية الحديثة يرى تشابهاً بين سائر أصقاعه . فقد دخل هذا القرن والشرق من اقصائه الى اقصائه في ظلمات من الجهل تغشاه جنود التعصب وقد لعبت به عوامل الشقاق — كذلك كانت الهند والعراق والشام ومصر . وكان الغرب قد بزغت فيه شمس العلم فاستنار أهله بالاختراع والاكتشاف ثم اقتضت مصالحهم ارتياد بلاد الشرق اما فاتحين او معلمين او مبشرين أو مكتشفين او تجاراً او صناعاً او نحو ذلك . فانبهر المشارقة في بادىء الرأي لما رأوه من مستحدثات التمدن ثم ما لبثوا ان اخذوا يقلدونهم على قدر ما بلغ اليه امكانهم فأنشأوا المدارس والجرائد والمطابع وغيرها . على ان كل امة منهم سارت في خطة اقتضتها احوالها . فالمصريون نهضوا نهضتهم الاخيرة بمساعدة حكومتهم فهي التي انشأت لهم المدارس لتعليم اللغات والعلوم وهي اول من انشأ جريدة عربية وهي التي باشرت ترجمة الكتب وتأليفها وغير ذلك . واما اهل الشام والعراق فالفضل في ما ادركوه من العلم انما هو عائد الى اهل الفضل من النزالة الاميركانية والفرنساوية والانكليزية وغيرهم من المبشرين او الرهبان كالآباء اليسوعيين والفرير والعازريين والفرنسيسكانيين

واما اهل الهند فان الفضل في نهضتهم راجع معظمه الى رجل منهم خصه الله بهمة واقدام وغيرة يندر اجتماعها في رجل واحد مع اخلاص وحسن نظر . نعني به السيد احمد خان صاحب الترجمة فقد نشأ في عصر نقم فيه الهنود على الانكليز وهم في اول عهد الفتح — ولا تلام امة كرهت قوماً فتحوا بلادها وغلبوها على ما في ايديها فما زال الهنود الى اواسط القرن الماضي يكرهون الانكليز كرهاً شديداً لا يؤاكلونهم ولا يشاربونهم ولا يعاشرونهم ولا يقرأون كتبهم ولا يتعلمون لغتهم ولا يمسون شيئاً من اشيائهم بل كانوا لا تفوتهم فرصة في شق عصا الطاعة جهاداً في سبيل الاستقلال فادرك السيد احمد خان انهم انما يحاولون عبثاً طالما كان عامتهم جهالاً . فأخذ على عاتقه ترقية شؤونهم وتهذيب ابنائهم بالعلم فأنشأ المدارس واستحث الناس على اقتباس العلم فقضى في ذلك خمسين عاماً لا يألو جهداً في هذا السبيل حتى ذاع صيته في اقطار

(١٨٣٩ م) ويتصل نسبه بالسيد علي الترمذي المحدث المشهور ويرتقي الى الامام الحسين بن علي بنْ أبي طالب . وآل هذا البيت عشيرة كبيرة تقيم في خطة كنر ولها منزلة عليا في قلوب الأفغانيين لحرمة نسبها . وكانت تملك جزءاً من أرض الأفغان حتى سلب الملك منها دوست محمد خان جد الامير عبد الرحمن وامر بنقل والد السيد جمال الدين وبعض أعمامه الى مدينة كابل وجمال الدين لا يزال في الثامنة من عمره . فعني والده في تربيته وتثقيفه فتلقى مبادىء العلوم العربية والتاريخ وعلوم الشريعة من



(ش ١١) السيد جمال الدين الحسيني الافغاني

تفسير وحديث وفقه وأصول وكلام وتصوف والعلوم العقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية وتهذيبية وحكمة نظرية طبيعية والهيئة والعلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة افلاك ونظريات الطب والتشريح . وكانت ملامح النجابة والذكاء ظاهرة فيه منذ نعومة أظفاره . فاتم هذا كله وهو في الثامنة عشرة من عمره

ثم عرض له سفر الى بلاد الهند فاقام بها سنة وبضعة أشهر ينظر في بعض العلوم الرياضية على الطريقة الافرنجية الحديثة . وقدم بعد ذلك الى الاقطار الحجازية لاداء

السيد جمال الدين الحسيني الافغاني

ولد سنة ١٢٥٤ هـ وتوفي سنة ١٣١٤ هـ

قد تمرّ القرون وتتوالى الاجيال والناس على ما ساقهم اليه الحاجة من شؤون معائشهم لا يفقهون غنها من سمينها ولا يدركون مبدأها ولا مصيرها حتى تتمخض الطبيعة فتلد من أبنائها أفراداً يميطون عن أسرارها اللثام فيرى الناس من ورائه شرائع ونواميس كانوا عنها غافلين — أولئك هم أقطاب العلم وأنوار العالم ومنهم الفلاسفة الطبيعيون الذين مزقوا أستار الجهل وكشفوا غوامض الطبيعة فمهدوا سبل الاختراع والاكتشاف . ومنهم الفلاسفة العقليون الذين استطلعوا أسرار الحكمة المستترة وراء تلك النواميس وبينوا ما أودعه الخالق في خليقته من القواعد العقلية والروابط الادبية

ولكن الطبيعة لا تجود بواحد من أولئك الافراد الا كل بضعة قرون فيسير الناس على خطواته أجيالا حتى اذا كادوا يرجعون الى غيهم جادت عليهم بآخر ينفث فيهم روحاً حية فيهبون من رقادهم ويعودون الى رشدهم ريثما يأتيهم ثالث

هكذا كان شأن العالم من بدء عمرانه . ومن أولئك الفلاسفة سقراط وافلاطون ومن تقدمهم وجاء بعدهم من فلاسفة اليونان والرومان والفرس والعرب وغيرهم من علماء المعقول والمنقول ممن لا نزال نستضيء بنبراسهم

ولكن لله في خلقه حكمة لا تدركها العقول فقد ينبغ في بعض الاجيال أفراد توفرت فيهم قوى الفلاسفة ومواهب رجال الاعمال فتحيط بهم بيئات لا تصلح لنماء ما يغرسون فيذهب سعيهم هباء منثوراً

ولما كان الانسان لا يقدّر العمل الا بنسبة ما يترتب عليه من الفائدة كان نصيب كثيرين من عظماء الارض جهل الناس حق قدرهم وإغفال التاريخ ذكرهم كما هو شأننا بفقيد الشرق الفيلسوف الخطيب السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله فقد كان قطباً من أقطاب الفلسفة وعاش ركناً من أركان السياسة ولكنه مات ولم يترك اثراً ولا ألف كتاباً . على ان ذلك لا يحط من مقامه وقد رأينا أعظم فلاسفة اليونان (سقراط) مات ولم يدون شيئاً من كلامه ولكن تلامذته حفظوا فلسفته ودوّنوها فتوارثها الاجيال خلفاً عن سلف . فعسى أن لا يحرم من مريدي الاستاذ وتلامذته من يفعل مثل ذلك

(ترجمة حاله) هو السيد محمد جمال الدين بن السيد صفتر وُلد في بيت شرف وعلم بقرية أسعد اباد من قرى كنر من أعمال كابل ببلاد الافغان سنة ١٢٥٤ هـ

فريضة الحج فقضى سنة ينتقل من بلد الى آخر حتى وافى مكة المكرمة في سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م) فوقف على كثير من عادات الامم التي مرَّ بها في سياحته ثم رجع الى بلاده وانتظم في سلك رجال الحكومة على عهد الامير دوست محمد خان المتقدم ذكره ولما زحف هذا الأمير الى هراة ليفتحها ويملكها على سلطان أحمد شاه صهره وابن عمه سار السيد جمال الدين معه في جيشه ولازمه مدة الحصار الى أن توفي الامير وفتحت المدينة بعد معاناة الحصر زمناً طويلا . وتقلد الأمارة ولي عهدها شير علي خان سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٤ م) وأشار عليه وزيره محمد رفيق خان ان يقبض على اخوته ويعتقلهم فان لم يفعل سعوا بالناس الى الفتنة وألبوهم للفساد طلباً للاستبداد بالامارة . وكان في جيش هراة من اخوة الامير ثلاثة محمد أعظم ومحمد أسلم ومحمد امين فانتصر السيد جمال الدين لمحمد اعظم فلما أحسوا بتدبير الامير ومشورة الوزير اسرعوا الى الفرار وتفرقوا في الولايات فذهب كل منهم الى ولايته التي كان يليها من قبل ابيه وطاشت بهم الفتن واشتعلت نيران الحروب الداخلية . وبعد مجادلات عنيفة عظم أمر محمد اعظم وابن أخيه عبد الرحمن وتغلبا على عاصمة المملكة وأنقذا محمد أفضل والد عبد الرحمن من سجن قزنة وسمياه أميراً على أفغانستان ثم أدركه الموت بعد سنة وقام على الامارة بعده شقيقه محمد أعظم خان فارتفعت منزلة جمال الدين عنده فأحله محل الوزير الاول وعظمت ثقته به فكان ملجأ لرأيه في العظائم وما دونها وكادت تخلص حكومة الافغان لمحمد أعظم بتدبير السيد جمال الدين لولا سوء ظن الامير بالاغلب من ذوي قرابته مما حمله على تفويض مهمات الاعمال الى أبنائه الاحداث وهم خلو من التجربة عراة من الحنكة فساق الطيش أحدهم وكان حاكما في قندهار على منازلة شير علي في هراة ولم يكن له من الملك سواها وظن الفتى انه يظفر فينال عند ابيا حظوة فيرفعه على سائر اخوته . فلما تلاقى مع جيش عمه دفعته الجرأة على الا عن جيشه في مائتي جندي اخترق بها صفوف أعدائه فأوقع الرعب في قلوبهم وكا يهزمون لولا ما التفت يعقوب خان قائد شير علي فوجد ذلك الغلام منقطعاً عن جـ فكرَّ عليه وأخذه أسيراً فتشتت جند قندهار وقوي الامل عند شير علي فحمل ـ قندهار واستولى عليها وعادت الحرب الى شبابها وعضد الانكليز شير علي وبذلوا له قناطير من الذهب ففرقها في الرؤساء والعاملين لمحمد أعظم فبيعت أمانات ونقضت عهود وجددت خيانات . وبعد حروب هائلة تغلب شير علي وانهزم محمد اعظم وابن أخيه عبد الرحمن فذهب عبد الرحمن الى بخارى وذهب محمد اعظم الى بلاد ايران ومات بعد اشهر في مدينة نيسابور

أما السيد جمال الدين فبقي في كابل لم يمسسه الامير بسوء احتراماً لعشيرته وخوف انتقاض العامة عليه حمية لآل البيت النبوي . الا انه لم ينصرف عن الاحتيال للغدر به والانتقام منه بوجه يلتبس على الناس حقه بباطله ولهذا رأى السيد جمال الدين خيراً له أن يفارق بلاد الافغان فاستأذن في الحج فاذن له على شرط ان لا يمر ببلاد ايران كيلا يلتقي فيها بمحمد أعظم وكان لم يمت بعد فارتحل عن طريق الهند سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٩ م) بعد هزيمة محمد أعظم بثلاثة أشهر . فلما وصل الى التخوم الهندية تلقته حكومة الهند بحفاوة واجلال الا انها لم تسمح له بطول الاقامة في بلادها ولا أذنت للعلماء في الاجتماع عليه الا تحت مراقبة رجالها فلم يقم هناك الا شهراً ثم سيرته من سواحل الهند في أحد مراكبها الى السويس فجاء مصر وأقام بها نحو اربعين يوماً تردد على الجامع الازهر وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين ومالوا اليه كل الميل وسألوه ان يقرأ لهم شرح الاظهار فقرأ لهم بعضاً منه في بيته ثم تحول عن الحجاز عزمه وتعجل بالسفر الى الاستانة

وبعد أيام من وصوله الاستانة قابل الصدر الاعظم عالي باشا فنزل منه منزلة الكرامة وعرف له الصدر فضله وأقبل عليه بما لم يسبق لمثله وهو مع ذلك بزيه الافغاني من القباء والكساء والعمامة العجراء وحومت عليه لفضله قلوب الامراء والوزراء وعلا ذكره بينهم وتناقلوا الثناء على علمه وأدبه وهو غريب عن ازيائهم ولغتهم وعاداتهم ولم يمض ستة أشهر حتى سمي عضواً في مجلس المعارف فأدى حق الاستقامة في آرائه ولكنه أشار الى طرق لتعميم المعارف لم يوافقه عليها رفقاؤه وبينها ما ساء شيخ الاسلام ذلك لانها كانت تمس شيئاً من رزقه فارصد له العنت حتى كان رمضان سنة ١٢٨٧هـ (١٨٧١ م) فرغب اليه مدير دار الفنون ان يلقي فيها خطاباً للحث على الصناعات فاعتذر اليه بضعفه في اللغة التركية فالح عليه فأنشأ خطاباً طويلاً كتبه قبل القائه وعرضه على نخبة من اصحاب المناصب العالية فاستحسنوه

فلما كان اليوم المعين لاستماع الخطاب تسارع الناس الى دار الفنون واحتفل له جم غفير من رجال الحكومة وأعيان اهل العلم وأرباب الجرائد وحضر في المجمع معظم الوزراء فصعد السيد جمال الدين على منبر الخطابة والقى ماكان أعده ببلاغة سحرت عقول السامعين . فأنكر مشائخ العلم شيئاً من آرائه واتصل الامر بشيخ الاسلام وكان متغيراً عليه كما علمت فالتمس من الدولة ابعاده عن الاستانة فصدر له الامر بالجلاء عنها بضعة أشهر حتى تسكن الخواطر ويهدأ الاضطراب ثم يعود ان شاء ففارقها وحمله بعض من كان معه على التحول الى مصر فجاء اليها في أول المحرم سنة ١٢٨٨ هـ (٢٢ مارس ١٨٧١ م)

قدم السيد جمال الدين الى مصر على قصد التفرج بما يراه من مناظرها ومظاهرها ولم تكن له عزيمة على الاقامة بها حتى لاقى صاحب الدولة رياض باشا فاستمالته مساعيه الى المقام وأجرت عليه الحكومة راتباً مقداره الف قرش مصري كل شهر نزلاً أكرمته به لا في مقابلة عمل . واهتدى اليه بعد الاقامة كثير من طلبة العلم واستوروا زنده فأوري واستفاضوا بحره ففاض درًّا وحملوه على التدريس فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام الأعلى والحكمة النظرية من طبيعية وعقلية وفي علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم أصول الفقه الاسلامي . وكانت مدرسته بيته فعظم أمره في نفوس طلاب العلوم واستجزلوا فوائد الأخذ عنه وأعجبوا بعلمه وأدبه وانطلقت الالسن بالثناء عليه وانتشر صيته في الديار المصرية . ثم وجه عنايته لتمزيق حجب الاوهام عن انوار العقول فنشطت لذلك ألباب واستضاءت بصائر وحمل تلامذته على العمل في الكتابة وانشاء الفصول الادبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظره وبرعوا وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيه وكان القادرون على الاجادة في المواضيع المختلفة قليلين

فنبغ من تلامذته في القطر المصري كتبة لا يشق غبارهم ولا يوطأ مضمارهم وأغلبهم أحداث في السن شيوخ في الصناعة وما منهم الا من أخذ عنه أو عن أحد تلامذته أو قلد المتصلين به . هذا ما حسده عليه أقوام واتخذوا سبيلاً للطعن عليه من قراءته بعض الكتب الفلسفية أخذاً بقول جماعة من المتأخرين في تحريم النظر فيها فتمكنوا من نسبة ما أودعته كتب الفلاسفة الى رأي هذا الرجل وأذاعوا ذلك بين العامة ثم أيدهم أخلاط من الناس من مذاهب مختلفة . غير ان هذا كله لم يؤثر في نفس من نفوس العارفين بحاله

وكان رحمه الله على علمه وفضله ميالا الى السياسة فنظر في حال مصر وما آلت اليه من التداخل الأجنبي فعلم ان لا بد من تغير احوالها وكان قد انتظم في سلك الجمعية الماسونية وتقدم فيها حتى صار من الرؤساء فانشأ محفلا وطنياً تابعاً للشرق الفرنساوي دعا اليه مريديه من العلماء والوجهاء فصار أعضاؤه نحواً من ثلاثمائة عدًّا وكان شديد الكره للدولة الانكليزية كما تقدم من حاله معها في الهند وما كان من اعتدائهم على أبناء أبيه فجهر بذلك غير مرة ونشر فصولا ناطقة به ترجموها الى جرائد انكلترا واهتموا بها كثيراً حتى تولى المستر غلادستون نفسه أمر الجدال في موضوعها . فلما عظم أمر محفله داخل الخوف فتصل انكلترا فوشي به الى الحكومة وبث الرقباء في المحفل فسعوا فيه فساداً . وفي خلال ذلك بلغت أحوال مصر نهاية الارتباك فصرح

بأمور توت حجة الساعين، وكان تولى مصر المرحوم الخديوي السابق توفيق باشا فأصدر أمره باخراجه من القطر المصري هو وتابعه أبو تراب ففارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) وأقام بحيدر آباد الدكن وفيها كتب رسالتـه في « نفي مذهب الدهريين »

ولما كانت الحوادث العرابية بمصر دعي من حيدر آباد الى كلكتة والزمته حكومة الهند بالاقامة فيها حتى انقضى أمر مصر وفثأت الحرب الانكليزية ثم أبيح له بالذهاب الى أي بلد فاختار الشخوص الى أوربا . وأول مدينة نزلها مدينة لوندرا أقام بها أياماً قلائل ثم انتقل الى باريس فوافاه اليها صديقه الشيخ محمد عبده المصري . وكانت في مصر جمعية وطنية اسمها جمعية العروة الوثقى فكلفته على بعد الدار ان ينشيء جريدة تدعو المسلمين الى الوحدة الاسلامية فأنشأ « العروة الوثقى » وكان صديقه المشار ليه بتحريرها وكان لها وقع حسن في العالم الاسلامي فنشر منها ١٨ عدداً ثم قامت لموانع دون استمرارها حيث أقفلت أبواب الهند عنها وشددت الحكومة الانكليزية في اساءة من يقرأها

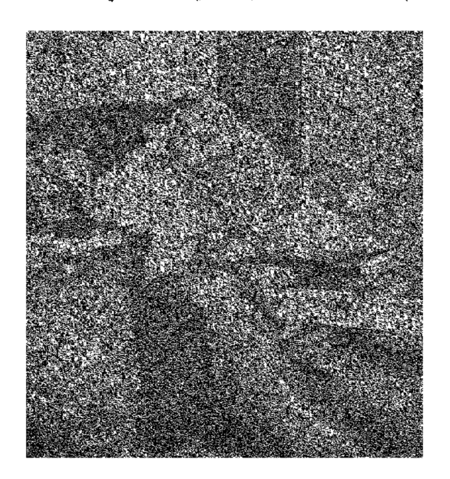
وقضى جمال الدين في باريس ثلاث سنوات نشر في أثنائها مقالات في جرائدها ث في سياسة روسيا وانكلترا والدولة العلية ومصر ترجمت جرائد انكلترا كثيراً نها وجرت له ابحاث فلسفية مع الفيلسوف الفرنساوي رينان في « العلم والاسلام » شهد له هذا بسعة العلم وقوة الحجة ثم شخص الى لندرا بايعاز اللورد شرشل واللورد السبري ليسألاه عن رأيه في المهدي وظهوره اذ ذاك ثم عاد الى فرنسا وتعرف كثيرين من علمائها وفلاسفتها فاحلوه مكاناً علياً

ثم عزم على نجد فاستقدمه شاه الفرس اذ ذاك المرحوم ناصر الدين شاه على أن البرق ايراء فسار قاصداً طهران فالتقى في اصفهان بالامير ظل السلطان فلاقى منه ى اماً حتى اذا وصل طهران استقبله الشاه احسن استقبال واكثر من الثناء عليـه يما ذكره حتى في بلاطه وبين اهله واولاده وولاه نظارة الحربية على ان يرقيه بعد ' ''، منصب الصدارة

وكان جمال الدين قد درس اخـلاق الامم وعرف تواريخ الدول وتدبر احوال سياسة على اختلاف الامكنة والازمنة مع بلاغته وقوة برهانه . فنال لدى امراء س وعلمائها منزلة قل أن ينالها غيره في مثل حاله فاصبح منزله حلقة علم يؤمها سراة د ووجهاؤها يتسابقون الى سماع حديثه فخامر الشاه ريب من امره مخافة أن

مكرماً وجيهاً محترماً حتى داهمه السرطان في فكه أواخر سنة ١٨٩٦ وامتد الى عنقه فتوفاه الله في ٩ مارس سنة ١٨٩٧ واحتفل بجنازه ودفنه في مدفن «شيخلر مزارلغي» قرب نشان طاش

﴿ صفاته الشخصية ﴾ كان اسمر اللون بما يشبه اهل الحجاز ربعة ممتلىء البنية اسود العينين نافذ اللحظ جذاب النظر مع قصر فيه فاذا قرأ أدنى الكتاب من عينيه ولكنه لم يستخدم النظارات . وكان خفيف العارضين مسترسل الشعر بجبة



(ش ١٢) : السيد جمال الدين الافغاني في حال مرضه

سوداء تنطبق على الكاحلين وعمامة صغيرة بيضاء على زي علماء الاستانة

، كان قانتاً قليل الطعام لا يتناوله الا مرة في النهار ويعتاض عما يفوته يشربه من منقوع الشاي مراراً في اليوم . والعفة في الطعام لازمة لمن ، أعمالاً عقلية لان البطنة تذهب الفطنة . وكان يدخن نوعاً من السيكار الافرنجي ليد ولشدة ولعه بالتدخين وعنايته في انتقاء السيكار لم يكن يركن الى أحد من خدمه ، ابتياعه فيبتاعه هو بنفسه

يكون وراء ذلك ما يخشى منه على سلطانه فابدى تغيره عليه فادرك جمال الدين ما في نفسه فاستأذنه في السفر لتبديل الهواء فاذن له فسار الى موسكو في روسيا فلاقاه اهلها بالتجلة والاكرام لما سبق الى مسامعهم من شهرته . ثم شخص الى بطرسبورج وتعرف باعاظم رجالها من العلماء والسياسيين ونشر في جرائدها مقالات ضافية في سياسة الافغان والفرس والدولة العلية والروسية والانكليزية كان لها دوي شديد في جو السياسة

واتفق اذ ذاك فتح معرض باريس لسنة ١٨٨٩ فشخص جمال الدين اليها فالتقى بالشاه في مونيخ عاصمة بافاريا عائداً من باريس فدعاه الشاه الى مرافقته فاجاب الدعوة وسار في معيته الى فارس فلم يكد يصل طهران حتى عاد الناس الى الاجتماع به والانتفاع بعلمه والشاه لا يرتاب من امره كان سياحته في اوربا محت كثيراً من شكوكه . فكان يقربه منه ويوسطه في قضاء كثير من مهمات حكومته ويستشيره في سن القوانين ونحوها فشق ذلك على اصحاب النفوذ وخصوصاً الصدر الاعظم فاسر الى الشاه ان هذه القوانين وان تكن لا تخلو من النفع فهي لا توافق حال البلاد فضلاً عما ستأول اليه من تحويل نفوذ الشاه الى سواه . فأثر ذلك في الشاه حتى ظهر على وجهه فاحس جمال الدين بالامر فاستأذنه في المسير الى بلدة شاه عبد العظيم على ٢٠ كيلو متراً من طهران فاذن له فتبعه جم غفير من العلماء والوجهاء وكان يخطب فيهم ويستحثهم على اصلاح حكومتهم فلم تمض ثمانية أشهر حتى ذاعت شهرته في اقاصي بلاد الفرس وشاع عزمه على اصلاح ايران فخاف ناصر الدين عاقبة ذلك فانفذ الى شاه عبد العظيم خمسمئة فارس قبضوا على جمال الدين وكان مريضاً فحملوه من فراشه وساقوه يخفره خمسون فارساً الى حدود المملكة العثمانية فعظم ذلك على مريديه في ايران فثاروا حتى خاف الشاه على حياته —

اما جمال الدين فمكث في البصرة ريثما عادت اليه صحته فشخص الى لندرا وقد عرفوه الانكليز من قبل فتلقوه بالاكرام ودعوه الى مجتمعاتهم السياسية وانديتهم العلمية ليروه ويسمعوا حديثه وكان اكثر كلامه معهم في بيان حال الشاه وتصرفه في المملكة وما آلت اليه حالها في عهده مع حث الحكومة الانكليزية على السعي في خلعه . فبينما هو في ذلك ورد عليه كتاب مع المابين الهمايوني بواسطة المرحوم رستم باشا سفير الدولة العلية في لندرا اذ ذاك ان يقدم الى الاستانة فاعتذر لانه في شاغل وقتي لاصلاح بلاده فورد عليه كتاب آخر وفيه ثناء وتحريض فاجاب الدعوة تلغرافياً على ان يتشرف بمقابلة جلالة السلطان ثم يعود . فقدم الاستانة سنة ١٨٩٢ فطابت له فيها الاقامة لما لاقاه من التفات الحضرة السلطانية واكرام العلماء ورجال السياسة وما زال معززاً

﴿ مسكنه ﴾ كان يقيم في أواخر أيامه بقصر في نشان طاش بالاستانة أنعم عليه به جلالة مولانا السلطان وفيه الأثاث والرياش وعربة من الاصطبل العامر يجرها جوادان وأجرى عليه رزقاً مقداره خمس وسبعون ليرة عثمانية في الشهر . فكان قبل مرضه الاخير يقيم معظم النهار في منزله فاذا كان الاصيل ركب العربة لترويح النفس في متنزه كاغدخانة بضواحي الاستانة وكان كثير القيام لا ينام الا الغلس الى الضحى

﴿ مجلسه وخطابه ﴾ كان أديب المجلس كثير الاحتفاء بزائريه على اختلاف طبقاتهم ينهض لاستقبالهم ويخرج لوداعهم ولا يستنكف من زيارة أصغرهم على امتناعه من زيارة أكبرهم اذا ظن في زيارته تزلفاً . وكان ذا عارضة وبلاغة لا يتكلم الا اللغة الفصحى بعبارات واضحة جلية . واذا آنس من سامعه التباساً بسط مراده بعبارة أوضح فاذا كان السامع عامياً تنازل الى مخاطبته بلغة العامة . وكان خطيباً مصقعاً لم يقم في الشرق أخطب منه . وكان قليل المزاح رزيناً كتوماً قد يخاطب عشرات من الناس في اليوم فيبحث مع كل منهم في موضوع يهمه فاذا خرج جليسه كان خروجه آخر عهده بذلك الموضوع حتى يعود هو اليه بشأنه

﴿ اخلاقه ﴾ كان حر الضمير صادق اللهجة عفيف النفس رقيق الجانب وديعاً مع انفة وعظمة ثابت الجأش قد يساق الى القتل فيسير اليه سير الشجاع الى الظفر . وكان راغباً عن حطام الدنيا لا يدخر مالاً ولا يخاف عوزاً . ومما رواه المرحوم أديب اسحاق ان جمال الدين لما أبعد من مصر انزل في السويس خالي الجيب فأتاه الـ[illegible] النقادي قنصل ايران في ذلك الثغر ومعه نفر من تجار العجم قدموا له مقداراً من المال على سبيل الهدية أو القرض الحسن فرده وقال لهم « احفظوا المال فانتم اليه أحوج ان الليث لا يعدم فريسة حيثما ذهب » وكان مقداماً حاثاً على الاقدام فلا يخرج جليسه من بين يديه الا وقد قام في نفسه محرض على العلى منشط على السعي في سبيلها . ولكنه كان على فضله لا يخلو من حدة المزاج ولعلها كانت من أكبر الاسباب لما لاقاه من عواقب الوشاية

﴿ عقله ﴾ كان ذكياً فطناً حاد الذهن سريع الملاحظة يكاد يكشف [illegible] الضمائر ويهتك السرائر دقيق النظر في المسائل العقلية قوي الحجة ذا باشا سفير الدولة على جلسائه فلا يباحثه أحد في موضوع الا شعر بانقياد الى برهانه وربما لا يلاح بلاده بما يجد ذاته مقنعاً . وكان مع ذلك قوي الذاكرة حتى قيل انه تعلم اللغة الفرنساوية في بعضها وصار يقدر على الترجمة منها ويحفظ من مفرداتها شيئاً كثيراً في أقل من ثلاثة أشهر بلا استاذ الاّ من علمه حروف هجائها يومين

الا ما قد سيق اليه سوقاً مما يعد من قبيل المناظرة أو المسابقة — وهذا هو سبب اجماع الناس على اختلاف طوائفهم على احترامه وحبه

اما مؤلفاته فتشمل أهم العلوم الحديثة وهو أول من نشر تلك العلوم بالعربية في سوريا فألف فيها واجاد فضلاً عما كان ينشره من قلمه في النشرة الاسبوعية ومما صححه او ترجمه من الكتب الدينية وخصوصاً التوراة وأما مؤلفاته المطبوعة فهي :

(١) الباثولوجية الداخلية الخاصة وتبحث في مبادىء الطب البشري النظري والعملي في مجلد ضخم

(٢) محيط الدائرة في العروض والقوافي

(٣) المرآة الوضية في الكرة الارضية طبعت غيرة مرة

(٤) الروضة الزهرية في الاصول الجبرية

(٥) الاصول الهندسية

(٦) التشخيص الطبيعي

(٧) الانساب والمثلثات المستوية والكروية ومساحة السطوح والاجسام والاراضي وسلك الابحر

(٨) أصول الكيمياء

(٩) رسالة الجدري للرازي مع ملحق بقلم الدكتور

(١٠) أصول الهيئة في علم الفلك

(١١) محاسن القبة الزرقاء

(١٢) النقش في الحجر في تسعة مجلدات صغيرة كل منها يبحث في علم من العلوم الحديثة كالفلسفة الطبيعية والكيمياء والجغرافية الطبيعية والنبات والفلك والجيولوجيا وغيرها — يراد بها تعليم هذه العلوم في المدارس العالية أو نشرها بين الذين شبوا وتعاطوا التجارة او الصناعة ولم يدرسوا شيئاً منها

(١٣) النفائس لتلامذة المدارس

(١٤) قصة شونبرج وبركا . وهما دينيان

﴿ صفاته واخلاقه ﴾ كان ربع القامة مع ميل الى القصر خفيف العضل سريع الحركة وقد أمسى في أواخر أيامه شيخاً هرماً طويل اللحية والشاربين أشيبهما خفيف الشعر ولكنه ما انفك على شيخوخته طلق المحيا باشه وديعاً لطيف الحديث رقيق الجانب لطيف المشر او كما قيل فيه قد جمع الى حكمة الشيخوخة مقدرة الكهولة واقدام الشباب ومروءة الفتوة ونشاط الصبا وطاعة الحداثة

ومنها انه كان مغرماً بامرين الاول اشغاله وتآليفه والثاني اهله وأولاده ولم يكن ومن اخلاقه، حسن الطوية والاخلاص في عمله وهو السبب الرئيسي في ما ناله من الشهرة وملكه من قلوب السوريين . وفي اعتقادنا ان المرء لا يفوز في عمله ولا يجمع الناس على مدحه الا اذا اخلص النية في خدمتهم ولا يفلح المراؤون

ومنها اقتداره على العمل وقد علمت مما تقدم انه عمل اعمالا لا يستطيعها جماعة من الرجال وكان ذلك من اكبر أسباب نجاح الارسالية الاميركانية في بلاد الشام فانها قامت باربعة من افاضلهم امتاز كل منهم بصفات لا بد منها في قيام مشروعهم وهم عالي سميث ووليم طمسن وسمعان كلهون والدكتورفان ديك فامتاز الاول بالتأني والتدقيق والثاني بالسياسة والتدبير والثالث بالتقوى والورع وامتاز أستاذنا رحمه الله بالعلم والعمل وكان يحب كل العلوم وخصوصاً علم الفلك

ومنها حرية الضمير قولاً وعملاً فهو ابعد الناس عن المدالسة والمواربة لا يحتمل الحق ولا يطيق الاجحاف . ومن أقرب الادلة على ذلك انه ترك المدرسة الكلية واحتمل ضيم فراقها وانكر ذاته وتنازل عن مصلحته الخصوصية اذعاناً لحرية ضميره فانه لم يستطع المشاركة في الحكم على شبان لم يطلبوا الا العدل والحق ومن هذا القبيل حدة طبعه في شبوبيته — وحرّ الضمير يغلب ان يكون حاد الطبع لعدم صبره على المدالسة والمماطلة . ومن قبيل ذلك ايضاً استنكافه من المدح وتحاشيه كل ما تشتم منه رائحة الفخر

ومنها الاقدام والانجاز فانك لا تكاد تلتمس منه أمراً حتى تراهُ قد باشره حالا وهي خلة لا بد منها في قيام الاعمال ونجاح المشروعات . فالاستاذ رحمه الله كان مقصداً للطلاب وملجأ للسائلين والمستفيدين لا يخلو منزله من مستشير أو مستفيد أو ملتمس فضلا عن مراسلات الادباء ومكاتبات تلامذته المتفرقين في أربعة اقطار المسكونة . ومن أكره الامور لديه التأجيل فهو لا يؤجل الى الغد ما يستطيع عمله اليوم . ويبكر في عمله فيستيقظ باكراً ويقضي طول نهاره عاملاً وقد قال انه اعتاد ذلك منذ صباه لان والدته غرست في ذهنه « ان من استيقظ باكراً ساق عمله أمامه ومن استيقظ متأخراً ساقه عمله »

ومنها رباطة الجأش فهو لا يهاب الاهوال وقد ربى انجاله على ذلك فكان يرسل أولاده للصيد أو ركوب الخيل منفرداً وهو حوالي العاشرة من عمره وقد يبعث به الى بلد آخر ليلاً ولا يخاف عليه شراً فاذا لامته والدتهم على ذلك اجابها « أتريدين ان يشب أولادك على الجبن والضعف » وكان في شبوبيته يحب الخيل ويقتني الجيادمنها

المنشؤن وكتاب الجرائد

أديب اسحق

ولد سنة ١٨٥٦ وتوفي سنة ١٨٨٥

(ترجمته) وُلد في دمشق في ٢١ يناير سنة ١٨٥٦ وتلقى مبادىء العلم في مدرسة الآباء العازريين فتناول شيئاً من العربية والافرنسية وكان على حداثته ظاهر النباهة ممتازاً على أقرانه وكان استاذه في العربية يقول لابيه « ان ابنك سيكون فولاً » أي شاعراً . ونظم الشعر قبل أن يتجاوز العاشرة وهو لم يتعلم العروض . واتفق ان أسرته أصيبت بنكبة اضطر هو معها الى اعالتها فزايل المدرسة في الحادية عشرة وتولى الكتابة في الكمرك بمئتي قرش في الشهر ودرس في أثناء ذلك مبادىء التركية فحصل على الكفاية منها في بضعة أشهر وأصبح قادراً على التعبير بها عما يجول بخاطره تكلماً و[illegible] . ثم تمكن منها حتى ترجم قصيدة كمال باشا في مقتل السلطان عبد العزيز ملتزماً فيها الروي والقافية والبحر واللفظ التركي بعينه وهاك مثالا من الاصل التركي :

دين ودولت خائني برقاج ملاعين يزيد ايلمشر حضرة عبد العزيز خاني شهيد

وتعريبه :

خانة للدين وللدولة من قوم يزيد قتلوا عبد العزيز المرتضى فهو شهيد

ودعت نجابته في التركية ومهارته في الكتابة الى سرعة ترقيه ولم يكن ذلك ليشغله عن الادب والشعر فكان يغتنم ساعات الفراغ فينظم القصائد والموشحات ويطالع كتب الانشاء في العربية [illegible]
السنين الاو[illegible]

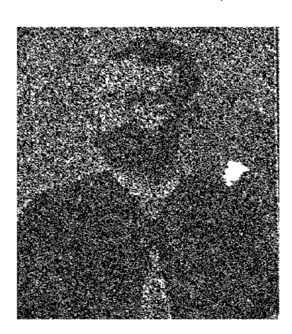
فجاء القاهرة وفيها يومئذ السيد جمال الدين الافغاني فلزم حلقته وأخذ عنه دروساً في الفلسفة الادبية والعقلية والمنطق فتاقت نفسه الى انشاء جريدة عربية فأنشأها في مصر وسماها « مصر » وأصدرها حالاً ولم يكن عنده من معداتها الا عشرون فرنكا . ولكنها لم تكد تظهر حتى أعجب الناس بها وتسابقوا الى اقتنائها وكلهم معجبون بطلاوة انشائها وبلاغتها . فنقلها الى الاسكندرية واشترك في تحريرها مع المرحوم سليم نقاش فلقيت نجاحاً عظيما وطارت شهرتها في الآفاق وكثر مريدوها وأصبح الناس يحدثون بعبارة أديب ومزاياها ويحفظون أقواله كما يحفظون الحكم والامثال لما حوته من بلاغة التركيب والتطبيق بين الاسلوب الافرنجي والعربي . فتنشطا وأنشأا جريدة أخرى يومياً سمياها « التجارة » وظلت مصر أسبوعية وكانتا من أعظم أركان النهضة الانشائية في الجرائد وتحداها الكتاب ونسجوا على منوالها من أساليب التحرير البسيط الخالي من التعقيد أو التقييد . فأحدث ذلك حركة في الافكار وحرية في الاقوال لم تكن معروفة من قبل فأصدرت الحكومة أمرها بالغائهما جميعاً

فغادر صاحب الترجمة الاسكندرية الى باريس وأعاد فيها جريدة مصر لا يبالي بما يتهدده في سبيل ذلك من الخطر على حياته وسماها « القاهرة » وكتب فيها فصولا متناهية في البلاغة . وألف هناك أيضاً كتاباً في تراجم رجال مصر في هذا العصر سرق أيضاً في جملة ما سرق . وعرف في باريس عدة من رجال الاقلام من الفرنساويين والاتراك والتقى بجماعة من رجال السياسة وحضر في مجلس النواب جلسات كثيرة فرادته خطب البلغاء اقداماً على الخطابة وطالع كثيراً من المخطوطات العربية في مكتبة باريس وكانت صحته قد تعرضت للمؤثرات لنحافة بدنه بالنظر الى سرعة نمائه بدناً وعقلاً مع اجهاد عقله في ما تطلبه نفسه من المطالب العالية رغم ما كان في سبيله من العقبات — فلما نزل باريس كان بردها قارساً جداً في ذلك العام ولم يكن مهتما بصحته فأصيب هناك بعلة الصدر وتألم منها مدة الشتاء وعاد الى بيروت مصدوراً فعهد اليه صاحب التقدم بتحرير جريدته فتولى تحريرها للمرة الثانية أقام على ذلك نحو سنة

فلما انقلبت الوزارة المصرية أواخر عام ١٨٨١ عاد الى مصر فودعه أصدقاؤه آسفين على فراقه ثم جاء القاهرة فعين ناظراً لقلم الانشاء والترجمة بنظارة المعارف وأذنت له الحكومة في اصدار جريدة مصر فاصدرها في شكل كراس ثم اعادها الى مظهرها الاول . وعين في الوقت نفسه سكرتيراً لمجلس النواب ونال في خلال ذلك الرتبة الثالثة ثم أحال امتياز الجريدة الى شقيقه ليتفرغ لمهام منصبه وظل مع ذلك يحرر القسم الاكبر منها

جريدة التقدم بعيد نشأتها الاولى . ولم يمض عليه زمن وهو يكتب المقالات الرنانة حتى تحدث الناس بطلاوة عبارته ورشاقتها وهو لم يتجاوز السابعة عشرة وترجم في أثناء ذلك قسماً من كتاب المعاصرين الفرنساوي لم يطبع والف كتاباً سماه نزهة الاحداق طبعه وقدمه الى أحد وجهاء الثغر . وترجم لصاحب التقدم أيضاً كتاباً في الاخلاق والعادات وكتاباً صحياً طبعا يومئذ وليس عليهما اسمه

ثم دخل جمعية زهرة الآداب وقام فيها عضواً مهماً ثم تولى رئاستها وكان يلقي فيها الخطب البليغة والمباحثات وينظم القصائد



(ش ١٤) اديب اسحق

مع المرحوم سليم الخوري

١٠ . ذلك رواية

جها

امى

ولما طرأت الحوادث العسكرية بمصر عاد أديب الى بيروت في من هاجر الى القطر السوري . وبعد احتلال الانكليز اسكندرية عاد اليها مرة أخرى في التماس شأنه الاول فلم يحصل عليه وابعد الى بيروت بعد ان أوقف في السجن بضع ساعات نظم في خلالها ابياتاً ذيل بها قصيدة في مدح سلطان باشا

وتولى في بيروت تحرير التقدم للمرة الثالثة وطبع في خلال ذلك رواية الباريسية الحسناء وكان قد عربها في ايام الصبا وهي مشهورة . ثم اشتدت عليه علة الصدر فأشار عليه الاطباء بالذهاب الى مصر للاستشفاء بهوائها فاستأذن من المغفور له الخديوي السابق فأذن له فأتاها واقام فيها اياماً ثم عاد الى الاسكندرية فقضى بضعة ايام في الرمل فلم ير فائدة فعاد الى بيروت وانصرف توًّا الى مصيفه في الحدث بلبنان ولم يمض على عودته ثلاثين يوماً حتى توفاه الله سنة ١٨٨٥ وله من العمر تسعة وعشرون عاماً

« صفاته واعماله » كان رحمه الله طويل القامة والعنق مع انحناء قليل ابيض اللون براق العينين عريض الجبهة بارزها جهوري الصوت طلق اللسان ثبت الجنان لطيف الحديث ذكياً نبيهاً جريئاً مقداماً حاد الذهن ابي النفس سليم القلب وقد ابنه الخطباء فعددوا مناقبه ووصفوا قلمه ورثاه الشعراء والكتاب وقد جمعت اقوالهم في مقدمة كتاب الدرر الذي جمعوا فيه منتخبات اقواله

واشتهر رحمه الله خصوصاً في الخطابة والانشاء فاذا خطب تدفق تدفق السيل يهتز له المنبر وتنقاد اليه الكلمات آخذة بعضها برقاب بعض واذا كتب سحر الالباب بحسن البيان مع السلاسة والبلاغة . وكان قدوة المنشئين وعمدة الكتاب ولو امد الله بعمره لخدم الاوطان خدمات قلّ ان يستطيع الناس مثلها

وكان مع ذلك شاعراً بليغاً نظم القصائد الرنانة في جملتها قصيدة طويلة نظمها بعد حوادث مصر سنة ١٨٨٢ وصف فيها تلك الحوادث أحسن وصف وهي طويلة اليك مقتطفات منها :

عج بي على تلك الطلول وناد	أنى تحمل اهل هذا النادي
يا وارد الاسكندرية طامعاً	بمنافع الاصدار والايراد
أقصورها خفيت عن الانظار ام	آثار تقصر في القفار بواد
ام تدمر قد دمرت ومعمورة	ما عمرت ام دار ذي الاوتاد
فابادها جهل خفيّ ما بدا	مثل له من حاضر او باد
جهل الذي رام الاماني وهي في	قمم الجبال وكان دون الوادي

شقيت بزلته الجموع وطالما أشقت جموعاً زلة الافراد
وتلاه في سبل الغواية معشر زلوا وضلوا حيث ضل الهادي
فأتاهم رعـــد المدافع مبرقاً فنبوا عن الابراق والارعاد
يا هولها من ساعة مرت بما زهقت به الأرواح في الاجساد
كم حامل خرجت به محمولة فوق الكواهل أو على الاعواد
ومصونة نفساً تقول لصحبها يا ليتني قد مت قبل ولادي
ومبأباً يدميه لمس حريره طفل قريب العهد بالميلاد
ومعمر لم يبق في الدنيا له غير السكينة من منى ومراد
والنار موقدة مرت من خلفهم فكأنها حيات بطن الوادي
والجند شردهم فنال عدوهم فرقاً فلم يتجلدوا لجلاد
ونضوا على أهل السبيل بواتراً في الحرب ما نضيت من الاغماد
وبلادهم قد نالها من عارهم ما لم يحق في عهدنا ببلاد

ومنها في التخلص

عيبت فلولا السابقون ومجدهم وبقاء من ولدوا من الامجاد
ومؤيدٌ ملك أمير عادل اربى بمفرده على الاعداد
وعصابة كانت قلائد فصلهم أبهى من الاطواق في الاجياد
لم تلق في مصر ومصر عزيزة من قائل هذه البلاد بلادي

وله رسائل كثيرة تدل على حسن بيانه في مخاطبة الاصدقاء قد نشر بعضها في بقية منتخباته في الدرر

أحمد فارس الشدياق

ولد سنة ١٨٠١ وتوفي سنة ١٨٨٧ م

﴿ ترجمة حياته ﴾ هو فارس بن يوسف بن منصور بن جعفر شقيق بطرس الملقب بالشدياق من سلالة المقدم رعد بن المقدم خاطر الحصروني الماروني الذي تولى جبل كسروان في سوريا سبعاً وثلاثين سنة في أوائل القرن السابع عشر للميلاد

وُلد في عشقوت من أعمال لبنان سنة ١٨٠٤ م ثم انتقل والداه الى الحدث بلبنان سنة ١٨٠٩ فربي فيها وقد ظهرت عليه مخائل النجابة منذ نعومة أظفاره فتعلم القراءة في مدرسة عين ورقة بلبنان وتناول شيئاً من اللغة والنحو على يد اخيه أسعد . وبدأ بنظم الشعر وهو في حدود العاشرة وكان فيه ميل غريزي لقراءة الكلام الفصيح والتبحر في معاني الالفاظ الغريبة التي يعثر عليها في ما يقرأه من الكتب التي في مكتبة والده لان والده كان قد احرز كتباً عديدة في فنون مختلفة ثم توفي والده وهو صبي فاصبح يتيماً فعلم انه يجب عليه أن يعتمد على نفسه في التعيش فاتقن صناعة الخط وجعل ينسخ الكتب لنفسه أو لغيره بالاجرة ولكنه لم يرَ فيها فائدة تذكر وكانت نفسه تحدثه من ذلك الحين بالاسفار والجد في طلب العلى ولم يكن يرى في ما حوله ما ينشطه على ذلك وينهض به من حضيض الفقر لقلة الوسائل واستبداد القوي بالضعيف

فلما انه تلقى بعض العلم عن أخيه أسعد وكان أخوه هذا نابغة عصره ذكاء وفطنة فاتفق انه خلع مذهب والديه وتمذهب بالمذهب الانجيلي فغضب عليه البطريرك وما زال يتهدده ويسومه العذاب ألواناً حتى يرجع عن رأيه فلم يزدد الا تمسكاً واصراراً الى أن آل ذلك الى موته بدير قنوبين في عنفوان شبابه شر موتة . ولا يزال أهل سوريا ولبنان يتحدثون بقصته الى هذه الغاية . وكان صاحب الترجمة شديد التعلق باخيه هذا فعظم عليه أمره حتى كره الاقامة في بلاد الشام جملة فغادرها ناقماً عليها وعلى الذين كانوا سبباً في موت أخيه أسعد وطلب الاغتراب فجاء الديار المصرية في عهد المغفور له محمد علي باشا . وكان مجيئه اليها بصفة أستاذ للمرسلين الاميركان لتعليم اللغة العربية وقواعدها وأشياء أخرى . وقد أرسله لذلك المرسلون الاميركان ببيروت لانهم شعروا بأن موت أخيه اسعد إنما كان دفاعاً عن مذهبهم وكان أسعد مضطهداً من أكثر اعضاء عائلته الا جماعة منهم لم يكونوا يستطيعون المجاهرة في الدفاع عنه خوفاً من سطوة الحكام لانهم كانوا موافقين للاكليروس بما أتوه بشأن المرحوم أسعد . أما فارس فانه

لم يكن يكتم ما في نفسه من استصواب عمل أخيه فاصبح في خطر على حياته فحماه الاميركان ثم ارسلوه الى مصر كما قدمنا

ولبث في مصر بين تعليم وتعلم حتى أتمَّ دروسه في العلوم العربية وغيرها وقد قرأ بعضها على الفاضلين نصر الله افندي الطرابلسي الحلبي والشيخ محمد شهاب الدين وطالع كتاب صحاح الجوهري وديوان المتنبي وغيرهما من كتب اللغة والادب . وكان كثير الرغبة في قراءة الشروح التي تبين مآخذ الكلام من اللغة شديد الولع بالشعر



(ش ١٥) احمد فارس الشدياق

ونظمه فخاض عبابه حتى بلغ منه مبلغاً عظيماً ونظم شيئاً كثيراً بين غزل وحماسة ومدح وهجاء وتمكن من سائر علوم اللغة كالنحو والصرف والاشتقاق والمنطق . وتقرب من خيرة علماء المصريين ومعية عزيز مصر حتى تولى كتابة الوقائع المصرية وكانت في أول نشأتها تكتب باللغة التركية فقط فكتب فيها زمناً بالعربية

وتعرف في مصر بعائلة الصولي من وجهاء السوريين فصاهرهم وولدت له امرأته هذه ولدين هما فائز وسليم أما الاول فتوفي بعد ذلك في ضواحي لندرا أثناء اقامته فيها

كما سيجيء وبقي سليم وحيداً وهو سليم افندي فارس نزيل بلاد الانكليز

وفي سنة ١٨٣٤ سافر الى جزيرة مالطة واقام فيها زهاء اربع عشرة سنة يدرس في مدارس المرسلين الاميركان وقد تولى تصحيح ما يطبع في مطبعهم هناك واخذ في التأليف والتصنيف ولا يكاد يوجد كتاب مطبوع في مطبعة مالطة الا كان هو مؤلفه أو مترجمه أو مصححه . ومن جملة ما الفه كتاب للتدريس وآخر سماه « الواسطة في معرفة احوال مالطة » لم يغادر شيئاً عن تلك الجزيرة وسكانها الا ابانه وانتقده فيه

وفي سنة ١٨٤٨ بعثت جمعية ترجمة التوراة في لندرا تطلبه من حاكم مالطة على يد وزير خارجيتها للمساعدة في ترجمة التوراة الى العربية . وكانت هذه الجمعية قد عهدت بترجمتها الى الدكتور لي فبعثت الى صاحب الترجمة لتنقيحها وضبطها فسار الى لندرا ومرَّ في طريقه بمدن كثيرة من اوربا ثم عاد بعد انتهاء الترجمة الى باريس اقام فيها زمناً وقد كتب سياحته هذه في كتاب سماه « كشف المخبا في احوال اوربا » وصف به تلك البلاد وصفاً دقيقاً بعبارة رقيقة تأخذ بمجامع القلوب لا يعل القارىء من قراءتها فضلا عما يستفيده منها عن احوال امم اوربا وخصوصاً لندرا واخلاق اهلها وعلومهم وآثارهم وكل ما يتعلق بهم . اما باريس فاوجز في وصفها اعتماداً على ما كان قد كتبه عنها العلامة المرحوم رفاعة بك الشهير . وقد طبع كشف المخبا الطبعة الاولى في تونس والثانية في الاستانة سنة ١٢٩٩ هـ وهي مشهورة ومتداولة . والف اثناء سياحته هذه ايضاً كتاباً سماه « الساق على الساق فيما هو الفارياق » والفارياق لفظ مقتطع من اسمه (فارس الشدياق) وسيأتي وصف هذا الكتاب عند الكلام عن مؤلفاته

قضى في سياحته هذه بضع عشرة سنة متجولا في انحاء اوربا يتردد الى مالطة وهو لم يغير شيئاً من لباسه التركي ولا بدَّل طربوشه على انه اتقن اثناء ذلك ايضاً اللغة الانكليزيه وتعلم الفرنساوية وتزوج سيدة انكليزية لم تلد له اولاداً ونال الحماية الانكليزية بعد سعي لانهم لم يكونوا يمنحونها الا لمن استحقها ولا تتوقف على مدة سني الاقامة فنالها وحلف اليمين المتعلقة بها وهاك نص بعضها

« انا فلان اعد واقسم صادقاً بأني اكون اميناً ومخلصاً في الطاعة لجلالة الملكة فكتوريا واحامي عنها بغاية جهدي وطاقتي ضد جميع من يتحالف عليها او يهم بسوء عليها سواء كان على شخصها او تاجها او شرفها وابذل غاية جهدي في ان اكشف لجلالتها ولورثتها ولمن يخلفها جميع الخيانات والخائنين والمتفاوضين عليها او عليهم واعد بأمانة اني ابذل غاية استطاعتي في ان احفظ واسند واجير خلافة التاج المعبر عنه في الاحكام بحكم كذا » الخ

واتفق في غضون ذلك ان احمد باشا باي ولاية تونس اذ ذاك زار مدينة باريس وفرق على فقراء مرسيليا وباريس وغيرهما اموالا طائلة ثم رجع الى مقامه فنظم قصيدة يمتدحه بها وبعثها على يد من بلغها اليه فحازت حسن قبوله وفتن الباي بها حتى بعث اليه يستقدمه على سفينة حربية وقد عجب صاحب الترجمة لتلك الدعوة وذلك الاكرام وقال « لعمري ما كنت احسب ان الدهر ترك للشعر سوقاً ينفق فيها ولكن اذا اراد الله بعبد خيراً لم يعقه عنه الشعر ولا غيره » فجاء تونس واقام فيها مدة على الرحب والسعة وحرر في جريدة الرائد التونسي وهي جريدتهم الرسمية الى الآن

وكان في اثناء اقامته بباريس قد نظم قصيدة امتدح بها المغفور له السلطان عبد المجيد على اثر الحرب بين الدولة العلية والروسية وبعث بها على يد سفير الدولة العلية بباريس والقصيدة تزيد ابياتها على المئة والثلاثين نكتفي منها بما يأتي مثالاً لما جادت به قريحة المترجم من النظم

قال في مطلعها

الحق يعلو والصلاح يعمرُ   والزور يمحق والفساد يدمرُ

ومنها   يامؤمنون هو الجهاد فبادروا   متطوعين اليه حتى تؤجروا

ومنها   في لن تنالوا البر حتى تنفقوا   مما تحبون الدليل الاظهرُ

وتمسكوا بالعروة الوثقى من الصـ   ـبر الجميل على القتال وذمروا

يغنيكم التكبير والتهليل عن   ان تعملوا فيهم سلاحاً يبتر

ومنها   لو لم يكن منكم سوى نفر لما   غلبوا فكيف بكم وانتم اكثر

ومنها   انتم عباد الله حقاً فاعبدوا   لمدن فهو بكم يعز ويجبر

ومنها   ما ان يقاويكم من عسكر   لو ان ملء الارض طرا عسكر

قد قال في الذكر المفصل ربكم   حقاً علينا نصرهم فتذكروا

ومنها   غاروا على حرم مخدرة لكم   قد طالما احصنّ عمن يبهر

الصبر محمود ولكن حين تنـ   ـتهك المحارم لا ارى ان تصبروا

ومنها   والله قد وعد المجاهد منكم   فتحاً مبيناً في الكتاب فابشروا

ويبوّئ الشهداء خير مبوّء   جنات عدن ملكها لا يغبر

الحرب بينكم سجالٌ فاثبتوا   والنصر عقبى امركم فاستبشروا

ومنها   ولعل نصرهم المدوم واقع   قرن الهلال علاه ضوء يبهر

ومنها   من كان من بين الورى سلطـ   ـانه عبد المجيد فانه لمظفر

ومنها   كفر المبايع غيره والمعتدي   بغياً وطغياناً عليه اكفر

ومنها من جوهر الاخلاص صور ذاته رب قدير كيف شاء يصور
ولآء أمر الدين والدنيا معاً فهو الامام الحاكم المتأمر
ومنها وهو الذي بين العباد محبب ومعظم ومبجل ومعزر
يستدفعون الضر فيهم باسمه وعلى المنابر حمده المتكرر
ومنها ايه أمير المؤمنين ومن دعا ايه أمير المؤمنين فقد سروا
سد بالمعالي فائقاً كل الورى مجداً وشانئك البغيض الابتر
ومنها ليست فروق لغير عرشك وهي ما بقيت عن الفرقان ليست تقفر
أنت الذي بمديح وصفك تنجلي عنا الهموم وأفقنا يتعطر

وقال في ختامها

حرس الاله جنابك الاعلى ولا زالت عبادك في حماه تخفر
وادام دولتك العلية ما سرى نجم وما زخرت كجودك ابحر
انشدت تاريخين هجريين في ختمي مديحك وهو حظي الاوفر
عبد الحميد الله ازكى ضده سلطاننا خير بجد ينصر
(١٢٧٠) (١٢٧٠)

وكان لهذه القصيدة وقع حسن لدى الجلالة الشاهانية فورد عليه بسببها ايعاز بالقدوم الى الاستانة لمكافأته وكان قد همَّ بالمسير فخبب اليه بعض الصدور العظام الاقامة في تونس فسار اليها كما تقدم . ووجه اليه حضرة الباي احسن منصب لديه وهناك اعتنق الديانة الاسلامية على يد شيخ الاسلام وسمي احمد فصار اسمه احمد فارس الشدياق . وأخذ صيته ينتشر في سائر الانحاء الاسلامية وخصوصاً الاستانة العلية فطلبته الصدارة العظمى من الباي فقدم الى الاستانة وتولى تصحيح الطباعة بضع سنوات

وفي سنة ١٢٧٧ هـ انشأ جريدة الجوائب الشهيرة في الاستانة وأجاد في انشائها وسبكها فولع الناس بمطالعتها وذاع صيتها في الآفاق الشرقية فبلغت الهند وفارس والعراق وسائر بلاد العرب ومصر والشام والمغرب وأجاد في اتقانها حتى لم يغادر أسلوباً من اساليب الكتابة لم يطرقه بين لغة وسياسة ومدح ورثاء وجد وهزل ولوم وعتاب وحزن وطرب وسائر فنون الادب فضلا عن القصائد الرنانة والمقالات العديدة في العلم والاخلاق كما تراه محفوظاً في « منتخبات الجوائب »

ولم تنحصر منزلة الجوائب في المشرق ولكنها دخلت المغرب حتى كانت جرائد باريس ولندرا تأتي بذكرها وذكر محررها في الكلام عن سياسة الشرق مستشهدة

باقواله وكانت تلقبه بالسياسي الشهير والاخباري الطائر الصيت . وقد خاطبه الملوك والامراء والعظماء في سائر اقطار العالم ووجدوا بين اوراقه بعد وفاته مئات من الكتب واردة عليه من عظماء العالم وملوكهم

وقد نال الالتفات الشاهاني بنوع خاص فانعم عليه بالرتب والنياشين ونال مثل ذلك ايضاً من الدول الاخرى

وما زال عاملا على التأليف والتحرير الى اواخر ايامه فعهد بتحرير الجوائب الى ولده سليم افندي فارس فقام بذلك خير قيام الى ان قضت الحوادث بعطلتها سنة ١٨٨٤ على أثر الحوادث السودانية في الديار المصرية

وفي سنة ١٨٨٦ قدم صاحب الترجمة الى هذه الديار وقد شاخ وهرم وأتيح لنا مشاهدته وقد علاه الكبر واحدق بحدقتيه قوس الاشياخ واحدودب ظهره ولكنه لم يفقد شيئاً من الانتباه أو الذكاء وكان الى آخر ايامه حلو الحديث طلي العبارة رقيق الجانب مع ميل الى المجون

وقد لاقى اثناء اقامته بمصر هذه المرة حسن الوفادة فزاره الوزراء والعظماء وتشرف بالمثول بين يدي الخديوي السابق فاكرمه ولاطفه وذكر خدمته للشرق

ثم عاد الى الاستانة العلية واقام هناك حتى وافته المنية وقد شبع من الايام فتوفي في مصيفه بقاضي كوي وكان لوفاته في الاستانة رنة ودوي فرثاه الكبراء والعظماء وبعثت الحضرة السلطانية سماحتلو رشادتلو الشيخ محمد ظافر افندي لحضور الاحتفال ونقلت جثته الى سوريا عملا بوصايته قبل وفاته ودفنت في سفح لبنان في محلة الحازمية قرب مدينة بيروت

وكان لتشييع جنازته في بيروت احتفال شائق مشى فيه كبار المأمورين واعيان البلاد وعلماؤها وافاضلها الى ان واروه التراب واستمطروا عليه صيب الرحمة والرضوان

وترى في هذه المقالة رسمه منقولا عن اصل فوتوغرافي دقيق الصنعة وهو آخر رسم نقل عنه على ما نعلم وترى فيه ظواهر الشيخوخة واضحة ولكنها كانت اوضح كثيراً عند قدومه القاهرة المرة الاخيرة . وكان رحمه الله ربع القامة كبير الانف واسع العينين مع بروز وحدة . وكان طلي الحديث مع ميل الى المجون وترى هذه الصفة واضحة كل الوضوح في ما كتبه فان من يطالع كتبه يتحقق ذلك فيها

وقد رثته الجرائد على اختلاف لغاتها ونزعاتها وابنه العلماء والامراء ورثاه الشعراء

في سائر انحاء المملكة العثمانية وخصوصاً في مصر وسوريا . وقد عني بجمع تلك المراثي من نظم ونثر حضرة يوسف افندي آصاف صاحب جريدة الحاكم وطبعها في مطبعة المحروسة في كتاب سماه « هو الباقي » وقد علمنا انه وردت كتابات اخرى في رثائه بعد ان تم طبع المجموعة وبالحقيقة ان الرثاء وان كثر قليل في جانب ما يليق بمقام هذا الفقيد

﴿ مؤلفاته ﴾ ويجمل بنا قبل الشروع في وصف مؤلفاته ان نصف قلمه اي ان ننظر في مؤلفاته نظراً عاماً ونذكر ما اختص به من اوصاف الكتاب فنقول

امتاز المترجم باتقان فني النظم والنثر والاجادة في كليهما فتراه اذا نظم أو نثر انما يفعل ذلك عن سعة وارتياح كأنه وعى الفاظ اللغة في صدره وأخذ عليها عهداً ان تأتيه صاغرة حالما يحتاج اليها فاذا خطر له معنى سبكه في قالب من اللفظ لائق به بغير ان يتكلف في ذلك مشقة او تردداً . فترى كتاباته طلية طبيعية ليس فيها شيء من التكلف او التقعر على كونها بليغة فصيحة والسبب في ذلك حدة ذهنه وقوة ذاكرته وسعة اطلاعه وكثرة محفوظه مع حرية قلمه . وكان يطلق لقلمه العنان غير محاذر واظنه السبب فيما نراه ببعض مؤلفاته من المجون الذي تنفر منه طباعنا وتمجه اذواقنا . على ان المجون اذا لم يتجاوز حده كان احماضاً او هو بمثابة الملح للطعام وذلك كثير في كتابات المترجم مما يرغب المطالع في المطالعة فلا يمل منها وان طالت

ومن خصائص كتابة الشيخ احمد فارس السلاسة وارتباط المعاني بعضها ببعض وانتساقها مع التوسع في التعبير وتتبع الموضوع الى جزئياته مع مراعاة الموضوع الاصلي والعود اليه وترى ذلك واضحاً في كتابه كشف المخبا فاذا اراد وصف عادة من عادات اهل باريس مثلاً فانه يتطرق منها الى ما يماثلها من عادات العرب أو الاتراك فيذكر وجه الخطأ هنا أو هنالك وما هو سبب هذه العادة وربما جاء بتاريخها ومن جاء بها حتى يخال لك انه خرج عن الموضوع ثم لا تشعر الا وقد عاد بك اليه بغير تكلف . وكل ذلك بغاية السلاسة والطلاوة مع البلاغة . وترى في مؤلفاته كثيراً من الالفاظ العربية جاء بها للتعبير عن معان حديثة افرنجية لم تكن عند العرب وهي في الغالب تدل على حسن اختياره

ومن الادلة على اقتداره في التعبير انه مغال فاذا مدح بلغ ممدوحه عنان السماء واذا هجا انزل مهجوه دركات الجحيم . وترى كتاباته على بلاغتها وحسن سبكها تتجلى فيها البساطة والسهولة كأن كاتبها كان يكتب كل ما يعرّ بذهنه على غير تكلف أو مراعاة لخطة الكتاب قبله وهو استقلال في الرأي واعتماد على النفس . فمن ذلك في بداية

فصل يصف به مصر في كتاب الفارياق قوله « قد قمت حامداً لله شاكراً فاين القلم والدواة حتى أصف هذه المدينة السعيدة الجديرة بالمدح الخ » وفي هذا الاسلوب من الطلاوة ما لا يخفى ولكل مقام مقال

فلنشرع اذاً في وصف مؤلفاته

(١) سر الليال في القلب والابدال : وهو كتاب لغوي تحليلي كتبه في الاستانة العلية لثلاثة مقاصد . أولاً لسرد الافعال والاسماء التي هي أكثر تداولا وأشهر استعمالا وتنسيقها بالنظر الى التلفظ بها لايضاح تناسبها وابداء تجانسها وكشف اسرار معانيها وأصل مدلولاتها . ثانياً استدراك ما فات صاحب القاموس من لفظ او مثل او ايضاح عبارة او نسق مادة . والكتاب يشتمل على نحو ستمئة صفحة بقطع كبير طبع بالاستانة سنة ١٢٨٤ هـ

(٢) الساق على الساق في ما هو الفارياق : وقد تقدم ذكر هذا الكتاب في ترجمة حياته وهو كبير الحجم يشتمل على نحو ثمانمئة صفحة كبيرة كتبه اثناء سياحته في اوربا . ويظهر لمن طالعه ان مؤلفه أراد به ثلاثة أمور . الاول وصف أسفاره وأحواله الخصوصية وما قاساه في اوائل حياته . والثاني التنديد بجماعة من الاكليروس لم يذكر اسماءهم الا رمزاً وتقبيح ما ارتكبوه في مقتل اخيه أسعد . وأما الامر الثالث وهو الاهم فهو ايراد الالفاظ المترادفة في اللغة في مجموعات كل موضوع على حدة كأسماء الآلات والادوات وأصناف المأكول والمشروب والمشموم والمفروش والمركوب والحلي والجواهر وأوصاف الرجال والنساء وغير ذلك مما لا يتيسر وجوده في كتاب واحد وعلى أسلوب لم نشاهد مثله في العربية

على اننا لا نستطيع الانتقال من وصف كتاب الفارياق قبل الاشارة الى أمر وددنا لو كفانا رحمه الله مؤونة النظر فيه — وذلك انه أورد في ذلك الكتاب ألفاظاً وعبارات أراد بها المجون ولكنها تجاوزت حدوده حتى لا يتلوها أديب الا ودّ لو أنها لم تمر في ذهن شيخنا ولا دوّنها في كتابه تنزيهاً لاقلام الكتاب عما يخجل من قراءته الشاب فضلاً عن العذراء . وقد طبع الفارياق في باريس سنة ١٢٧٠ هـ

(٣) الجاسوس على القاموس : ألفه في الاستانة ينتقد فيه معجم القاموس المحيط للفيروزابادي وهو يشتمل على مقدمة وأربعة وعشرين نقداً . أما المقدمة فهي ملاحظات كثيرة لغوية من جملتها ترتيب الافعال بحسب ما نسقه الكوفيون ثم ترجمة صاحب القاموس وصاحب العباب وصاحب الصحاح وصاحب المحكم وصاحب لسان العرب

وهم من فطاحل علماء اللغة . أما الاربعة والعشرون نقداً فهي انتقاده ما ورد في القاموس من عبارته وخطئه ومعاني الفاظه واشتقاقها وما شاكل ذلك . وعدد صفحات الكتاب زهاء سبعمئة صفحة

(٤) كشف المخبا عن فنون اوربا : وهو سياحته في أوربا وصف فيه عوائد أهل اوربا وخصوصاً الانكليز والفرنساويين ومتاحف لندرا وباريس وآثارها وقد قال انه اختصر في وصف باريس لان المرحوم رفاعه بك قد سبقه الى وصفها مطولا وقد طبع هذا الكتاب غير مرة

(٥) الواسطة في احوال مالطة : وفيه وصف جزيرة مالطة جغرافياً وتاريخياً ومدنياً وعوائد أهلها وأخلاقهم ولغاتهم وكل ما يتعلق بهم

(٦) اللفيف في كل معنى ظريف : جمع فيه كلمات مفيدة وحكماً مأثورة وأمثالا أدبية وحكايات تهذيبية ونكاتاً لغوية

(٧) غنية الطالب ومنية الراغب : وهو كتاب مدرسي في علم الصرف والنحو

(٨) الباكورة الشهية في نحو اللغة الانكليزية وتليها المحاورة الانسية في اللغتين العربية والانكليزية : وهو كتاب مدرسي لتعليم اللغة الانكليزية

(٩) السند الراوي في الصرف الفرنساوي : وهو كتاب لتعليم اللغة الفرنساوية

هذا عدا جريدة الجوائب التي حررها زهاء ثلاثين سنة وقد تقدم ذكرها في ترجمة حاله وجمع نجله سليم افندي فارس نخباً منها في كتب سماها منتخبات الجوائب

وهناك كتب ألفها ولم تطبع منها كتاب النفائس في انشاء احمد فارس والتقنيع في علم البديع والروض الناضر في ابيات ونوادر وتليه رسائل ومحررات أدبية . وديوان شعري من نظمه يشتمل على اثنين وعشرين الف بيت

وقد الف كتاباً مطولا في اللغة سماه « منتهى العجب في خصائص لغة العرب » قضى في تأليفه سنين عديدة نحا فيه نحواً حديثاً لم يسبقه اليه غيره على أسلوبه وقد أسهب فيه حتى بلغ مجلدات كثيرة وموضوعه البحث في خصائص الحروف الهجائية العربية مثال ذلك قوله ان من خصائص حرف الحاء السعة والانبساط أي ان الالفاظ التي تنتهي بحرف الحاء يكون في معناها شيء من خصائص هذا الحرف نحو الابتحاح والبندح والبراح والابطح والابلنداح والرحرح والمسفوح والمفرطح والمسطح وما شاكل . ومن خصائص حرف الدال اللين والنعومة والغضاضة نحو البرخداة والثيد والثأد والخود والرادة والرهادة والفرهد والاملود والقشدة والملد وغيرها . ومن خصائص حرف الميم القطع والاستئصال والكسر نحو أرم وترم وجزم وجلم

وخسم وحطم وما جرى مجراها وقس عليها. ولو نظرنا في ما أورده من الامثال لرأينا منه تساهلاً في تطبيقها على ما أراده على اننا لا ننكر ما كان يرجى منه من الفوائد الجزيلة لو طبع الكتاب ونشر ولكنه فقد حرقاً على أثر حريق أصاب منزله في الاستانة فأسف هو لذلك أسفاً شديداً. وأخبرنا صديق انه رأى بين أوراق الشيخ احمد فارس تأليفاً في تراجم مشاهير العصر لم يطبع. وربما كان له مؤلفات أخرى لم نقف على خبرها

وما لا يليق بنا الاغضاء عنه ان مطبعة الجوائب طبعت كتباً عربية كثيرة كانت نادرة الوجود فأحيتها ونشرتها بين المتكلمين بالعربية وسهلت تناولها وهي مأثرة حسنة تضاف الى مآثره الاخرى

*

محمد نامق كمال بك

أكتب كتاب الاتراك وأشعر شعرائهم في القرن الماضي

ولد سنة ١٢٥٦ هـ وتوفي سنة ١٣٠٦ هـ

هذه الترجمة ملخصة من رسالة كتبها رفيق صباه صاحب السعادة ابو الضيا توفيق بك الكاتب التركي

«وُلد كمال بك المشار اليه في قصبة (تكفور طاغي) سنة ١٢٥٦ هـ وكان جده (ابو امه) محصلاً هناك والمحصل لقب لمنصب قديم في الدولة يقابله في الفرنساوية (Percepteur) فأرّخ عارف افندي احد شعراء تلك الايام مولده بهذا المصراع «ايردي شرف بودهره محمد كمال ايله» ومعناه بالعربية «فقد تشرف هذا الدهر بمولد محمد كمال» . وقد تسلسل كمال بك من بيت عريق في الحسب والنسب فوالده مصطفى عاصم بك وجده شمس الدين بك القرين الاول لجلالة السلطان سليم الثالث ووالد جده القبطان أحمد راتب باشا من نوابغ الشعراء ووالد هذا طوبال عثمان باشا الصدر الاعظم المشهور . ومن أقوال صاحب الترجمة في فضل النسب «ان مزايا الحسب والنسب من الامور التي لا يستطاع القول أنها مما لا يرغب فيه او يسعى اليه فان من خالط الناس واختبر أخلاقهم تحقق ان المولود من نسب رفيع افضل من المولود من أصل دنيء»

« على أن طيب ارومة هذا الرجل لا تزيد شيئاً في تعريف فضله ولو فرضنا انه من أصل دنيء لكان كفؤاً لا كتساب الفخر والمجد بجده واجتهاده وايراثهما لاعقاب أعقابه

« فلما ترعرع دخل في مدرسة بايزيد فقضى فيها بضع سنين ثم انتظم في سلك تلامذة مدرسة « الوالدة » لكنه لم يمكث فيها الا بضعة أشهر فخرج منها سنة ١٢٦٨ هـ وهو في الثانية عشرة من عمره فقضت الاحوال أن يسير والده بمهمة الى « قارصه » فلم يعد يستطيع مزاولة الدرس وذلك دليل على ان ما اشتهر به بعد ذلك من العلم والفضل انما بلغ اليه بالجد والاجتهاد من تلقاء نفسه لا بواسطة المدارس

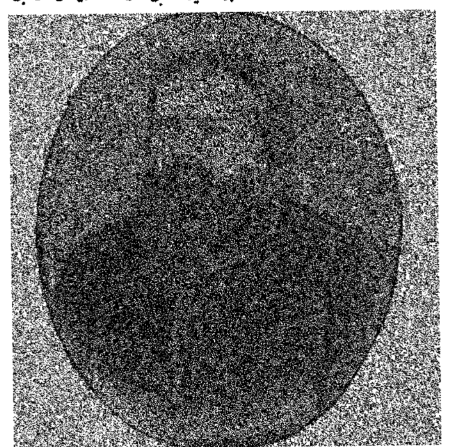
«وأول ما جال بخاطره وأخذ بمجامع قلبه في ابان شبابه الشعر فنظم القصائد الحسان وكان اهل الاستانة يتناقلون أقواله ويتمثلون بها ويتحدثون به وبذكائه وظرفه حتى لقبوه « نامق » وأول شعر اشتهر به قصيدة نظمها وهو في السابعة عشرة من عمره قال في مطلعها

ظهورانك كثرت برتونور خداوندر   تلون هيأت اشياده تأثير ضيا دندر

معناه « ان للكثرة (ربما يريد الجماعة أو الاتحاد) لوناً أو شكلا حاصلا من انعكاس نور الله كما أن الوان الاشياء في الطبيعة ناتجة عن انعكاس نور الشمس »

«وسار كمال بك في نسق شعره على خطوات الشاعرين التركيين المفلقين « نفعي وفهيم » فبلغ من ذلك شأواً عظيما ونبغ بالاشعار الحماسية والفخرية ومن قوله في الفخر

بزا أول عالي همم أرباب جد واجتهاد ز كيم
جهانكيرانه بر دولت جيقاردق برعشيرتدن



(ش ١٦) محمد نامق كمال بك

معناه « نحن الاولى نشأنا من أمة حقيرة وبجدنا واجتهادنا انشأنا دولة عظمى فتحت العالم »

« وفي سنة ١٢٧٧ هـ تولى تحرير جريدة « تصوير افكار » وكان مع ذلك يزاول الترجمة في الباب العالي ومن هذا التاريخ أخذت أفكاره وآراؤه في الظهور فلم يغادر موضوعاً أدبياً أو فلسفياً الا طرقه واجاد فيه فلقبوه « كمال » بدلا من « نامق » وكانت جريدة « تصوير أفكار » هذه فاتحة النهضة التركية الحديثة من حيث الانشاء

والادب فهي أول جريدة تركية خاضت في المناظرات الادبية التي استلفتت انتباه أهل اللسان التركي وأهم تلك المناظرات ما قام بينها وبين جريدة « روزنامه جريدة حوادث » وكانت حداً فاصلا بين الانشاء التركي القديم والانشاء الحديث ومن ذلك الحين أخذت الآداب الحديثة في الانتشار هناك وكثر أشياعها ومدعوها. واتفق اذ ذاك سفر العلامة شناسي مؤسس جريدة « تصوير افكار » الى باريس لدواع اقتضت ذلك فعهد بادارة جريدته الى كمال بك (سنة ١٢٨١ هـ) وكان في ريعان الشباب فاعتزل العلم. والشعر وانقطع الى السياسة بالرغم عنه ولا يخفى ما في ذلك من التكاف والمشقة مما لا يفلح فيه الا نوابغ الرجال القادرون على تكييف مواهبهم حتى تطابق وظائفهم. ولو اقتصر صاحب الترجمة على نظم الشعر لبلغ منه مبلغاً فاق به (نفعي) الشاعر الشهير ولكنه لو فعل ذلك ما استطاع ما استطاعه من خدمة ملته ووطنه خدمة كان يسعى في سبيلها ليله ونهاره — لا نقول ذلك امتهاناً للشعر فاننا نقدره حق قدره ولكننا لا نرى له ما نرى للنثر من التأثير في ترقية شأن الاداب. ومن الشواهد على ذلك (هيكو وتيرس) العالمان الفرنساويان الشهيران فهيكو أشعر شعراء الفرنسيس في القرن التاسع عشر ولكنه لم ينفع أمته بنظمه كما افادها تيرس بأدبه وسياسته

« وجملة القول ان كمال بك اندفع بكليته الى السياسة وعلم الاخلاق وهما ركنا الادبيات فبث بين أبناء لغته روحاً عصرية نشطتهم وفتحت عيونهم وقلوبهم وبعد ان كنت لا ترى بين الاتراك عشرين كاتباً أصبح كتابهم يعدون بالمئات والالوف والفضل في ذلك لصاحب الترجمة فانه هو الذي احيا فيهم حب العلم وحبب اليهم الادب بما كان ينشره بين ظهرانيهم أو يشنف به آذانهم من المقالات الرنانة في « تصوير أفكار » وغيرها مما قد البس اللغة التركية حلة عصرية جديدة

« وأول ما نشر من نفثات اقلامه رسالة « دوراستيلاء » طبعت سنة ١٢٨٣ هـ قال أبو الضياء « وقد أملى عليّ هذه الرسالة في الساعة الثالثة من الليل في اليوم الحادي عشر من رمضان المبارك سنة ١٢٨٢ هـ نخبرت بها مقدرته على الانشاء فانه أوعز اليّ أن اتناول القلم والورق ثم أخذ يملي عليّ فقال (وقتا كه مقدما) فلم أتمالك عن التوقف محتاراً فقال ما بالك لا تكتب فقلت لا أعرف حتى الان عبارة تبتدىء بلفظ (وقتا كه) وكنت أظن انك تخاطبني في شأن من الشؤون فتبسم وقال (اكتب ما أقوله لك وستعلم) . وما زال يملي عليّ وهو يخطر ذهاباً واياباً تارة يقف وطوراً يطوف غرف المنزل حتى انتهت الرسالة في الساعة العاشرة فجاءت كما قيل « كالفاتحة مكتوبة على أرز » وما زال ذكرها متغلباً على كل ما كتبه بعد ذلك

« ومن مواهبه الخصوصية حدة اللسان وقوة الحجة فانه لم يناظر كاتباً أو خطيباً الا ظهر عليه والحمه . ومن آثار فضله انه أدخل الآداب التركية في دور جديد فقد كان كتاب الاتراك منذ ستمائة سنة سائرين على خطة واحدة في آرائهم وانشائهم فجاء كمال بك فنوّع الانشاء تنويعاً هو أساس النسق التركي الحديث

« ومما يذكر له انه لم يستخدم قلمه للهجو ولا أدخل في انشائه الفاظاً بذيئة أو معاني مخجلة . وكان اذا كتب في المواضيع الدينية مثّل الحقيقة تمثيلاً واضحاً يفتن المطالع ولو كان من المعطلين . وكان يستخدم الفاظاً لغوية لم يألفها العامة لكنه كان يسبكها في قالب يسهل عليهم فهمها

« وكان كثير المطالعة دقيق التنقيب والبحث حتى قيل انه لم يغادر كتاباً تركياً أو فارسياً مطبوعاً أوغير مطبوع من مؤلفات الاتراك أو ما ترجموه عن الالمانية والفرنساوية والانكليزية الا طالعه وتبحر فيه وكان قوي الذاكرة الى حد يفوق التصديق حتى يكاد لا ينسى شيئاً نظره أو سمعه فقد يتلو عليك الوفاً من الاشعار الفارسية والتركية والعربية والافرنسية . وكان متمكناً من الفقه وعلم الكلام مدركاً لاكثر المسائل الغامضة المتعلقة بهما وقد طالع علم الحقوق على العلامة الفرنساوي الشهير (أميل اقولا) ودرس فني الاقتصاد والسياسة . أما التاريخ فقد كان من اكبر علمائه . وهاك أشهر مؤلفاته وترجماته

﴿ تراجم الاحوال ﴾ ترجمة صلاح الدين الايوبي — والسلطان سليم — والفاتح — وأمير نوروز

﴿ حكايات وروايات ﴾ وطن (وهي رواية ترجمت الى اللغات الالمانية والروسية والفرنساوية) وكل نهال — وعاكف بك — ووزوالى جوجق — وانتباه — وجزمى

﴿ رسائل ﴾ دور استيلاء — وبارقهٔ ظفر — وقانبزه — وحكمة الحقوق ومكتوب الى عرفان باشا — وبه برزون مؤاخذه سي — وتخريب — وتعقيب — ومقدمة جلال — وبهاردانش — ومنتخبات تصوير أفكار

﴿ مقالات متنوعة ﴾ تصوير افكار — ومخبر — وحريت — وعبرت وبصيرة — وحديقة — واتحاد — وصداقت — وغير ذلك من المقالات التي كان يكتبها الى أصدقائه وفيها الحكم الفلسفية والادبية

﴿ ترجماته عن اللغات الافرنجية ﴾ شرائط الاجتماع (تأليف روسو) وروح الشرائع (تأليف مونتسكيو) وبعض كتابات باكون وفولني وغيرها — وقسم كبير

من كتابات كوندرسه تحت عنوان (تاريخ ترقيات افكار بشر)

« وكان في أثناء اعماله هذه مشتغلاً بتأليف التاريخ العثماني وهو تاريخ مطول بحث فيه عن عظمة هذه الدولة وما مرت به من الادوار من اول عهدها الى الآن له مقدمة يصح أن تسمى وحدها تاريخ الاسلام لانها حوت كل ما وقع من المسلمين من البعثة الى ظهور السلطة العثمانية وكل ما رافق ذلك من الحوادث في آسيا وافريقيا وأوربا . والمقدمة المشار اليها مكتوبة على نحو الف وخمسمئة طلحية من الورق ولكن من موجبات الاسف أن مطالعها منعت ثاني يوم ظهورها لوشاية بعض ذوي الاغراض فحفظاً لآثار هذا الفاضل نرجو ان يعاد نشرها مع ما تم تأليفه من هذا التاريخ وهو اربعة أجزاء تنتهي بوقائع السلطان سليمان القانوني

« وكانت وفاته بعلة الخناق الصدري فلم تمهله الا عشرة ايام فقضى بعد ظهر الثامن من ربيع الاول سنة ١٣٠٦ هـ » اهـ

*

سليم بك تقلا

مؤسس جريدة الاهرام

ولد سنة ١٨٤٩ وتوفي سنة ١٨٩٢

في سفح لبنان مما يلي ساحل مدينة بيروت قرية حسنة الموقع جيدة الهواء والماء كثيرة البساتين والغياض اسمها كفرشيما نبغ فيها جماعة كبيرة من العلماء ملأت شهرتهم الاسماع منهم اللغوي المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي وسائر آل اليازجي والعلماء الافاضل آل شميل الكرام ومنهم المرحوم امين شميل وشقيقه المرحوم الدكتور شبلي شميل وغيرهم من الاطباء والشعراء والادباء . ومن هذه القرية نبغ صاحب الترجمة المرحوم سليم بك تقلا مؤسس جريدة الاهرام

وُلد رحمه الله في أواسط سنة ١٨٤٩ وربي في حجر والديه على الصلاح والتقوى وحسن السيرة وظهرت عليه مخائل النجابة منذ نعومة اظفاره فتلقى مبادىء العلوم في مدرسة تلك القرية ففاق اقرانه فلما رأى والده فيه ذلك سعى في ادخاله مدرسة عبيه بلبنان ولكن المدرسة لم تكن تقبل في صفوفها من كان دون الخامسة عشرة من عمره فاستنجد الدكتور فان ديك فانجده وتوسط في ادخاله فقبلته المدرسة واغتفرت صغر سنه بما توسمته من توقد ذهنه واستعداده فاقام في المدرسة يتلقى علومها ومعارفها حتى أعجب اساتذتها بذكائه وتعقله على صغر سنه مع سهولة في خلقه ولين في طبعه وهمة في الدرس واجتهاد في مسابقة أقرانه

وما زال مكباً على كتابه وكتابته حتى كانت سنة ١٨٦٠ فانتشبت في ربوع الشام الثورة المعلومة فاتصل لهيبها بعبيه وما جاورها فبرح المدرسة ونزل مدينة بيروت ودخل المدرسة الوطنية التي أنشأها الطيب الذكر المرحوم المعلم بطرس البستاني وعكف على الدرس والمطالعة مجداً ساهراً حتى أصبح مثالاً بين أقرانه التلامذة بالثبات والاجتهاد لانه كان يعمل ساعات الفراغ أعمالا يستعين بها على نفقات التعليم شأن من يلتمس العلى بجده واجتهاده

فلما أتم دروسه تعين استاذاً في المدرسة البطريركية في بيروت يعلم بها ما اتقنه ويتقن ما فاته وخصوصاً الفنون العربية فانه كان يتلقاها على الشيخ ناصيف اليازجي وكان الشيخ رحمه الله معجباً بذكائه وحدة ذهنه وكان يعتمد عليه أحياناً في شرح

بعض الدروس على طلبته دلالة على ثقته به وركونه الى صحة مباديه وسمو مداركه . ولم يمض عليه في المدرسة البطريركية مدة حتى صار رأس اساتذتها ووكيل أعمالها ومدبر شؤونها والف في أثناء ذلك كتاباً في النحو والصرف على أسلوب مبتكر طبع ونشر . وكان الاعتماد عليه في تلقي هذين العلمين في المدرسة البطريركية

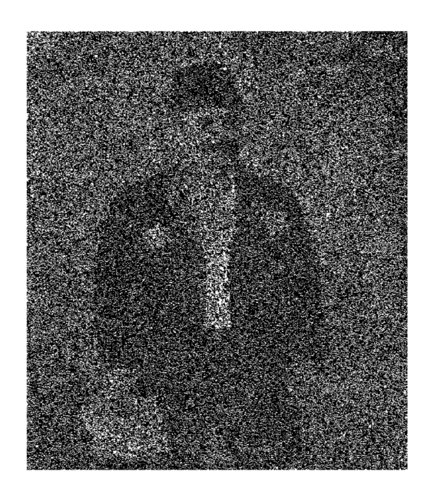
وكان رحمه الله مفطوراً على حب الرفعة والسعي في طلب العلى فلما رأى انه بلغ من مهنة التدريس أعلى درجاتها مال الى التماس مهنة تروي مطامعه فلاح له ان يقدم الى الديار المصرية وهي اذ ذاك في عصر المغفور له الخديوي الاسبق اسماعيل باشا الذي كان يحبب الى السوريين وغيرهم من جالية الافرنج الاقامة في مصر لما يبذله في صلاتهم



(ش ١٧) : سليم بك تقلا

وتنشيط مشروعاتهم وخصوصاً المشروعات الادبية . فنظم قصيدة تاريخية رنانة في مدح
١٠٠ وغادر ربوع الشام قاصداً القطر المصري حتى جاء القاهرة فرفع
الخديوي الاسبق وتعرف بجماعة من أهل الفضل وذوي المناصب
ىء جريدة عربية والجرائد العربية لا تزال الى ذلك العهد
جنينها والناس لا يعرفون من الجرائد الا اسمها مع تردد
ها فقضى سنة يتردد بين مصر والاسكندرية يجاهد في الحصول
ته الحكومة امتياز جريدة الاهرام سنة ١٨٧٥ فاصدرها

بالاسكندرية وليس لديه من معدات التحرير والتحبير والنشر والطبع الا ما فطر عليه من الثبات وحسن التصرف والاستقامة وما اكتسبه من العلم والاختبار مع شيء يسير من المعدات المادية فقاسى في سبيل نشر الاهرام مشقات جسيمة مع علمك باستهجان الناس اذ ذاك للجرائد لحداثة عهدها مع قلة وسائل النشر لديه . ولكنه ذلل كل تلك الصعاب بثباته وحسن سياسته ومما قاله لنا مرة في سياق حديث دار بيننا عن الجرائد العربية وتاريخ نشأتها قوله « انشأت الاهرام وانا عالم بما يحول دون نشرها



(ش ١٨) : بشاره باشا تقلا

من المصاعب. فكنت اقضي النهار والليل عاملا بدناً وعقلاً فكنت احررها وادبرها والاحظ عملتها واكتب أسماء مشتركيها واتولى معظم أعمالها مما لا يقوم به الآن عشرة من العمال »

وصدرت الاهرام أولا مرة في الاسبوع ولم يستطع نشرها يومية الا بعد زمن طويل — وذلك انه بعد اصدار الاهرام ببضع سنوات أصدر جريدة يومية سماها صدى الاهرام والاهرام تصدر أسبوعية كالعادة فلاقى في اصدار الصدى فوق ما لاقاه

في اصدار الاهرام ومما يحكى من هذا القبيل وفيه دليل على ثباته انه طبع من صدى الاهرام لعدده الاول أربعة آلاف نسخة وزعها على نخبة أهل القطر واعيانه كجاري العادة في الجرائد عند أول صدورها فرجعت اليه الا بضع عشرات منها . على ان ذلك لم يثن عزمه بل ما انفك مواظباً على اصداره حتى صدر أمر الحكومة بالغائه واقفال المطبعة لانه درج أمراً ساء الخديوي الاسبق فاستتر صاحب الترجمة من وجه الحكومة مدة وسجن أخوه المرحوم بشاره باشا ثم توسط بعض أهل النفوذ فافرج عن المطبعة وأصحابها فأصدر رحمه الله جريدة الوقت يومية ولكنها لم تمش طويلاً فصدر الامر باقفالها ثم عادت فظهرت حالا واخيراً استبدلها بجريدة الاهرام فصارت من ذلك الحين يومية

وما زالت الاهرام آخذة في العمل لا تزداد الا انتشاراً ورفعة حتى كانت الحوادث العرابية سنة ١٨٨٢ فاضطر رحمه الله للمهاجرة الى سوريا كما فعل سائر نزالة هذا القطر غير المصريين . فلما احترقت الاسكندرية أصابت النيران مطبعة الاهرام فاحرقت شيئاً كثيراً من أعماله وكتاباته ومؤلفاته فلما انقشعت غياهب تلك الثورة عاد الى الاسكندرية واعاد اصدار الاهرام وعوض عما فات . وما زالت تصدر الى الآن

وفي سنة ١٨٨٦ سافر الى دمشق واقترن بسيدة من كرام الدمشقيين اشتهرت بالجمال واللطف ثم عاد الى الاسكندرية يمارس أعمال الجريدة ويعاني تحريرها وفي سنة ١٨٩١ سافر الى فرنسا فزار عاصمتها وكثيراً من مدنها وقراها وكان يكاتب الاهرام منها وفي السنة التالية (١٨٩٢) أصيب بألم في القلب فاشار عليه الاطباء بالذهاب الى سوريا لتبديل الهواء فسار ولكن القضاء المبرم كان في انتظاره هناك فقضي وطار نعيه في الآفاق ودفن بما لاق بمقامه من التجلة والاكرام ولم يخلف ذرية

وكان رحمه الله هماماً حازماً مخلصاً مسالماً سهل الاخلاق وديعاً رقيق الجانب ما عاشره أحد او عامله الا اثنى على رقة جانبه ودماثة أخلاقه وحبه للمسالمة ورغبته في ارضاء الناس ولو تحمل منهم ضيما أو تكبد خسارة . وقد كان ذلك من أهم الوسائل التي ساعدت على نشر الاهرام واقبال الناس على مطالعتها حتى بلغت ما بلغت من سعة الانتشار على اننا لو دققنا البحث في العوامل الاساسية التي ايدت الاهرام ونشرتها لرأيناها ثلاثة (١) حسن سياسة صاحب الترجمة وميله الى المسالمة (٢) نشاط شقيقه بشاره باشا وكان مدير الاهرام اذ ذاك ثم قام بعده بكل شؤونها حتى توفاه ... فصارت الاهرام الى نجله جبرائيل (٣) مساعدة بعض أرباب المناصب ... طونها الى درجة لا تكاد تقل عن حمل الناس على الاشتراك فيها فضلا

عن اشتراكات الحكومة نفسها فانها كانت تعد بالمئات

وكان حائزاً لرضاء الدولة العلية متمتعاً بانعاماتها وانعامات الدول الاخرى وبعض الجامع العلمية وحاز من الرتب العليا الرتبة الاولى من الصنف الاول ونال من النياشين النيشان المجيدي الثاني ونيشان اللجيون دونور من رتبة شفاليه ونيشان الافتخار التونسي من رتبة كومندور ونيشان الشمس والاسد من تلك الرتبة ونيشان المجمع العلمي الفرنساوي من رتبة أوفيسيه وغير ذلك

وكان سليم الذمة صادق الوعد . ومما يذكره العارفون من هذا القبيل ان والده توفي عن دين عليه ولم يكن أصحاب الدين ينتظرون الوفاء من أولاده . فلما أنعم الله عليهم وسهل لهم أبواب الرزق اتفق الاخوة وصاحب الترجمة في مقدمتهم على وفاء ما في ذمة والدهم من أموال الناس فسافر هو بنفسه الى بلاد الشام ولاقى الدائنين ودفع اليهم أموالهم

وكان محباً للاخذ بناصر الشبان الذين يلتمسون الاشغال ولا سيما ابناء وطنه فيبذل كل مرتخص وغال في سبيل مساعدتهم ادبياً ومادياً

وكان كاتباً فاضلاً وشاعراً مجيداً تشهد بذلك مقالاته وقصائده في صفحات الاهرام وقد جمعت منتخبات أشعاره ومقالاته بعد وفاته وطبعت على حدة في ديوان ضخم وجمعت أقوال الجرائد وقصائد الاصدقاء ومقالاتهم في تأبينه ورثائه في كتاب آخر

السيد عبد الله نديم

ولد سنة ١٢٦١ وتوفي سنة ١٣١٤

قد لخصنا ترجمة المرحوم السيد عبد الله نديم من سيرة مطولة بقلم حضرة صديقه الوفي احمد افندي سمير : —

(نشأته الاولى) هو عبد الله بن مصباح بن ابراهيم وينتهي نسبه الى ادريس الاكبر من أسباط الحسن بن علي . وُلد بالاسكندرية سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٣ م) فحفظ القرآن الكريم قبل ان يبلغ التاسعة وكان ابوه وسطاً في اليسار فلما رأى ذكاءه ونجابته أدخله مدرسة جامع الشيخ ابراهيم باشا فقرأ على أكابر الاشياخ فاتقن فقه الشافعي والاصول والمنطق وعلوم الادب اللسانية وهو في سن المراهقة فاخذ من ذلك الحين يقول الشعر الرقيق والنثر المسجوع المحكم . فما لبث ان سارت الامثال ببدائع آدابه وتسابق بلغاء الكتاب والشعراء الى مطارحته وكانت الكتابة الى ذلك العهد قاصرة على السجع فتوخى المترجم فيها أساليب جديدة في الانشاء فاق فيها المتقدمين وأعجز المتأخرين تشهد بذلك رسائله الادبية ومؤلفاته التي تبلغ نحو مئة مؤلف في فنون مختلفة فقد اكثرها سرقة او اغتصاباً او حرقاً او اغراقاً في مياه النيل كما سيأتي تفصيله

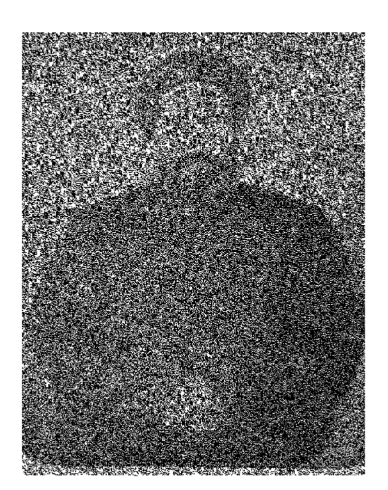
وكان رحمه الله منذ ترعرع جريئاً مقداماً يميل الى ركوب الاخطار ومعاناة الشدائد سعياً وراء المعالي وقد رأى ان ذلك لا ينال عفواً . فكان أول ما بدأ به من تلك المطالب المعجزة انه نظر في الوجود نظرة باحث مدقق فتبين له ان الاشتغال بالعلم ربما عاقه عن بلوغ مقصده فتعلم صناعة التلغراف واتقنها في أقل مما يتصور من الزمن كأن الكهرباء لم توجد الا لتزاحم خاطره في السرعة فلم يمض عليه بضعة أسابيع حتى استخدم تلغرافياً (او تلغرافجياً) في مكاتب مختلفة أهمها مكتب تلغراف القصر العالي الخاص على عهد عزيز مصر المغفور له اسماعيل باشا الخديوي الاسبق

ولم تكن وفرة الاعمال عائقة له عن التحصيل فقد كان يغتنم نوبة فراغه من العمل فيتردد الى الجامع الازهر يطالع مع بعض رفاق شبيبته الدروس التي كانوا يشتغلون بها . واخص هؤلاء الرفاق العلامة الشيخ حمزة فتح الله المفتش الاول للغة العربية بنظارة المعارف المصرية

ثم طرأ ما اوجب انفصاله عن الخدمة فاتصل بكثير من المقربين والعظماء فكانت

له معهم مجالس مشهودة حضرها أفاضل الشعراء والمنشئين وناظروه وطارحوه نظماً ونثراً فظهر عليهم جميعاً

ثم قصد المنصورة ترويحاً للنفس ورأى ان التجارة خير رياضة له فأنشأ هنالك متجراً فراجت سوق بضاعته رواج آدابه ولكن كرمه تغلب على رأس المال والربح ففقدهما جميعاً وكان بيته ومتجره كعبة يحج اليها رجال الادب وكانوا يتحدثون بمعجز رسائله ومحرراته نظماً ونثراً



(ش ١٩) : السيد عبد الله نديم

(نشأته السياسية) ثم عاد الى الاسكندرية اوائل سنة ١٨٧٩ وهنالك أخذت شمس حياته السياسية تبدو فكان اول سعيه في هـذا السبيل أن اجتمع بصديقيه الخاصين محمد افندي امين باشكاتب محكمة أسيوط الاهلية ومحمود واصف افندي احد جامعي كتاب سلافة النديم ومحرر جريدة العدل وكانا وقتئذ من مؤسسي جمعية مصر الفتاة . فكان الاول نائب رئيسها والثاني كاتم اسرارها فتعرف ليـلة اجتماعه بهما بالمأسوف عليهما اديب افندي اسحق وسليم افندي النقاش صاحبي جريدتي مصر

والتجارة وتعرف بكثير من اعضاء هذه الجمعية وشرع في بث افكاره بما كان ينشره في تينك الجريدتين ثم رأى ان جمعية مصر الفتاة سرية يخشى عليها من الحكومة فاقنع صديقيه المشار اليهما بالانفصال عنها فانفصلا وتبعهما كثير من اعضائها ثم ذاكرهما في انشاء جمعية علنية تسعى في ما يعود على الوطن واهله بالمنفعة الحقيقية فاستصوبا رأيه . وشرع منذ ذلك الحين في تأليف قلوب اهل الثغر علماً بان المرء قليل بنفسه كثير باخوانه فتألفت الجمعية الخيرية الاسلامية في آخر ولاية المغفور له اسمعيل باشا والقلوب واجفة والافكار مضطربة وقد خرست الالسنة وغلت الايدي الى الاعناق حتى دنت ساعة الفرج بولاية المرحوم محمد توفيق باشا فقرت العيون وهدأت الافكار فقام المترجم يثبت دعائم دعوته ويبث في الاذهان فوائد الاجتماع بلسان طلق فبرزت الجمعية الخيرية بمساعيه في ثوب الائتلاف وتسارع أعيان الثغر ووجهاؤه للانتظام في سلكها وكانت هي اول جمعية اسلامية اسست في القطر المصري وكانت ترمي الى غرض واحد هو تربية الناشئة وبث روح المعارف فيهم لترقية الافكار وتطهير الاخلاق من دنس الجهالة

فأنشأت هذه الجمعية مدرسة لتعليم الايتام وابناء الفقراء مجاناً فسعى المترجم جهده حتى أكسبها عناية امير البلاد فجعلها تحت رئاسة ولي عهده ووريث تاجه اذ ذاك وهو الخديوي عباس باشا حلمي أطال الله عمره . فكان ذلك ادعى لنشاط رجالها وزيادة اهتمامهم فسعوا في توسيع دائرة المدرسة واستحضروا لها فضلاء المعلمين من العرب والافرنج وأقاموا المترجم مديراً لها فوضع لها أساساً محكماً وعلم فيها الانشاء وعلوم الادب فنمت وزهت حتى زاد عدد الطلاب فيها على الثلثمائة في زمن وجيز ورتبت لها نظارة المعارف ٢٥٠ جنيهاً كل عام

فلما رأى المترجم ان غرسه قد كاد يثمر استرحم المغفور له الخديوي السابق ان ينعم على الجمعية بالمدرسة البحرية لاتساعها وجودة موقعها فاجابه الى ما طلب

ولقد بلغت هذه المدرسة من الشهرة وبعد الصيت على قصر المدة ما لم يبلغه غيرها في ازمان متطاولة ونالت من التفات المرحوم توفيق باشا ونجليه الكريمين سمو الخديوي عباس باشا ودولة شقيقه ما رفع قدرها ونشطها وزادها زهواً ونماء مع ما كان يبذله صاحب الترجمة من العناية في عقد الحفلات العامة في بهرة المدرسة يحضرها كبار القوم وسراتهم فيسمعون المطرب والمغرب منه ومن تلامذته ثم ينصرفون ولا حديث لهم الا ترداد ما سمعوه من العبارات الآخذة بمجامع القلوب

وفي تلك الاثناء مثل المترجم بالاسكندرية حالة البلاد وكيف يكون الوصول الى

الشهامة والمروءة بروايتيه المشهورتين باسم « الوطن » و « العرب » مثلها هو وتلامذته في ملهى زيزينيا بحضرة ساكن الجنان الخديوي السابق فكان لها في نفسه من حسن الوقع ما بعثه على ان يدفع من ماله الخاص مئة جنيه مساعدة للجمعية . ولكن الحسد جرّ بعض ذوي النفوذ الى الايقاع بالنديم ففصل عن الجمعية وأقيل من ادارتها

وكان قبل ذلك قد ترك الكتابة الادبية واشتغل بالتحرير السياسي على الاسلوب الحديث بلا سجع ولا تقفيه فكان يحرر في جريدتي «المحروسة» و «العصر الجديد» اللتين صرح للمرحوم سليم افندي النقاش باصدارها عقيب الغاء « التجارة ومصر » وابعاد المرحوم اديب افندي اسحاق الى خارج مصر فجاء فيهما بالمعجب والمطرب

وما زال كذلك حتى استدعى صاحبهما من بيروت الكاتبين الفاضلين سليم افندي عباس والمرحوم فضل الله افندي الخوري فترك لهما امر هاتين الجريدتين وانشأ « التنكيت والتبكيت » وهي جريده اسبوعية ظاهرها هزل وباطنها جد فاودعها ما لم يسبقه احد من كتاب العرب اليه

ثم استبدلها بالطائف على ما قضت به المناسبات الزمانية قبيل الثورة العرابية وكانت « الطائف » سياسة محضة بلغت من الشهرة ما لم تبلغه جريدة قبلها من التأثير على الاذهان . ثم اغتصبها منه امراء الجند اثناء الثورة ولم يدعوا له منها غير الاسم فكانوا ينشئون فيها ما يشاؤون دون ان يقدر على رد واحد منهم حتى انطفأت جمرة تلك الثورة فاختفى

اما قيامه بنصرة الحزب الوطني فسببه انه لاقى من معاملة الحكومة له ولغيره ما يدل على تفضيلها الاجنبي لخدمتها على الوطني واتفق ظهور نيران الثورة فاصابت منه هوى في الفؤاد فتمكنت لانه سمع رجالا تنادي بطلب الاصلاح وتعقد الاجتماعات العلنية مجاهرة بمقاصدها في أمّ الصحف حتى اتفقت الآراء على ان في مصر حزباً وطنياً لا همّ له الا انتشال البلاد من وهدة الخراب فكانت رسل الحزب العسكري تتردد على المترجم ورؤساؤه يكرمونه ويعظمونه فما زالوا به حتى انضم اليهم فوسموه بخطيب الحزب الوطني واتخذوا جريدته مجالا لاقلام كثيرين منهم ومظهراً لافكارهم ولكنه كان يتأفف سراً من وقوعه في تلك الورطة فاذا خلا باحد من اخصائه اظهر له حقيقة ما يضمر وأنبأه بمصير تلك الحال

ولم يمض بضعة اسابيع حتى هاجت القاهرة وماجت اذ انبأها البرق بضرب الانكليز الاسكندرية في ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ وانتشاب الحرب بينهم وبين عرابي

فقام المترجم مع محمود باشا سامي البارودي وغيره من رؤساء الجند المتخلفين الى الاسكندرية فوجدوا الجيش المصري يتأهب لمغادرتها الى كفر الدوار بعد ان صارت معالمها دوارس فباتا (هو وسامي) في منزل المترجم . فلما كانت ما يسمونه بواقعة التل الكبير في ١٥ من شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢ وقت السحر فرَّ عرابي واخوه وعلي الروبي وتبعهم المترجم فجاؤوا القاهرة في الساعة الرابعة بعد الظهر وساروا تواً الى قصر النيل مركز نظارة الحربية اذ ذاك فتألف وفد ليسيروا الى الاسكندرية يلتمسون العفو من الخديوي والنديم في جملتهم ولكنه لم يصل الاسكندرية بل عاد من كفر الدوار واختفى من ذلك الحين . فقضى عشر سنوات مختفياً في مديرية الغربية بين ميت الغرقا والعتوه والجيزه وغيرها فيتنكر تارة بزي الدراويش وطوراً بزي المغاربة او غيرهم والحكومة تبث العيون والارصاد للقبض عليه وهو اقرب اليها من حبل الوريد . فلما أعيتها الحيلة جعلت لمن ينبئها بمكانه مكافأة مقدارها الف جنيه . وكان العارفون بمكانه كثيرين ولكنهم حافظوا على ولائه فاخفوه مكرماً معززاً حتى قبض عليه في شهر نوفمبر سنة ١٨٩١ اواخر ولاية المرحوم توفيق باشا فجيء به الى طنطا حيث حبس اياماً وسئل عن موجب اختفائه فاوضحه بما لا يخرج عما تقدم فعفا الجناب الخديوي عنه ولكنه أمر بابعاده الى حيث يشاء من البلاد غير المصرية فاختار يافا من ثغور فلسطين فسافر اليها باكرام واقام هناك مدة ثم أزمع السياحة في تلك البلاد المقدسة فخرج من يافا في مارس سنة ١٨٩٢ مع صديق له الى جبل الطور المسمى جبل جارزيم وزار مقام العزيز هناك وقبور كثيرين من الانبياء ومرَّ باماكن كثيرة من جملتها نابلس ومدينة الخليل وبيت لحم والمسجد الاقصى ثم عادا الى يافا

وفي تلك السنة (١٨٩٢) تولى الاريكة الخديوية سمو العزيز عباس باشا الثاني فعفا عن المترجم فعاد من يافا الى القاهرة وظل متردداً بينها وبين الاسكندرية أكثر من شهر ثم اتخذ الاولى موطناً وانشأ بها مجلته العلمية الادبية التهذيبية «الاستاذ» فنالت من الشهرة والانتشار في شهور ما لم تنله سواها باعوام وكان لها تأثير شديد في افكار الامة على اختلاف نحلها ثم الغيت لاسباب يعلمها كل متدبر لان العهد بها غير بعيد . وكلف المترجم بالخروج مع من مصر فغادرها ثانية الى يافا ودفعت له الحكومة المصرية اربعمائة جنيه مصروف سفره ورتبت له ٢٥ جنيهاً كل شهر على شرط ان لا يكتب شيئاً في الجرائد ولا بسياسة مصر فلبث اربعة اشهر في يافا . ثم اعيد منها بارادة سلطانية فرجع الاسكندرية وأقام فيها اياماً قابل في خلالها صاحب الدولة الغازي مختار باشا المندوب الى

السلطاني العالي فساعده هذا على المسير الى الاستانة فسافر اليها . وصدرت الارادة السلطانية بتعيينه مفتشاً المطبوعات بالباب العالي وترتيب ٤٥ جنيهاً مجيدياً له كل شهر فوق ما كان يتقاضاه من الحكومة المصرية وكان ينفقها كلها في سبيل الخير والبر بالاهل والاقارب والاصدقاء

وقد نال لدى المقام السلطاني الحظوة الكبرى وتعرف بكثير من الوزراء وأرباب المظاهر العلمية ولكنه اختص بالملازمة والمودة الامام العلامة الفيلسوف السيد جمال الدين الافغاني فاتصلت بينهما اسباب الالفة وتمكنت منهما روابط الاتحاد حساً ومعنى وقد بلغ تعلق السيد جمال الدين به وجميل اعتقاده فيه انه اصبح وامسى يعجب بقوة حجته في المناظرة والجدل وسرعة بديهته في التحضير حتى صرح في عدة مجالس بانه ما رأى مثل النديم طول حياته في توقد الذهن وصفاء القريحة وشدة المعارضة ووضوح الدليل ووضع الالفاظ وضعاً محكماً بازاء معانيها ان خطب او كتب

وقد كاد يود الرجوع الى مصر ليقضي بها بقية أيامه فلم تتح المنية ذلك فداهمته بمخالبها فقضى بداء السل الرئوي في ١١ اكتوبر سنة ١٨٩٦ فامر جلالة السلطان أن يحتفل بمشهده على نفقة الجيب الشاهاني الخاص فسار امام نعشه فرقتان من الجيش وفرقة من الشرطة وتلامذة المكتب السلطاني وعدة من الوجوه والكبراء والعلماء يتقدمهم السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد ظافر شيخ السلطان والسيد عبد الرحمن الجزولي حتى دفنوه في باشكطاش . ولقد مات المترجم ولم يورث أهله الا الحزن والعناء لانه كان يقبض مرتبه من مصر والاستانة فلا يمضي عليه بضعة أيام حتى يفرغ من توزيعه على الاقارب والاباعد دون نفسه

اما اخلاقه فانه كان براً بوالديه وذوي قرابته وقصاده ولو لم يكن يعرفهم فما اقرض أحداً شيئاً وطالبه به ولا رد يوماً سائلا ولا خضع لعظيم قط وانما كان يلين ويتواضع لصغار الناس وأوساطهم وكان ذكياً فطناً قوي الحافظة فصيحاً جريئاً شاعراً مطبوعاً وكاتباً ناثراً

(مؤلفاته وكتاباته) ومن مؤلفاته الكثيرة ديوان شعر يشتمل على نحو أربعة آلاف بيت نظمها وشبابه باسم الثغر طلق المحيا . وديوان آخر في نحو ثلاثة آلاف بيت . وروايتا « الوطن » و « العرب » ورسائل أدبية مسجوعة لم تصل أيدي جامعي السلافة منها الا الى اربع عشرة رسالة بعد السعي الكثير ومكابدة العناء الجزيل . وكان ويكون (وهو الذي طبع بعضه في الاستاذ) وواحد وعشرون كتاباً في فنون مختلفة قطع لاجلها أيام حرب الاختفاء رقاب الفراغ بسيوف الاقلام . منها ديوان

شعر يحتوي على ما يقارب عشرة آلاف بيت وهو الآن محجور عليه في الاستانة . ومنهما النحلة في الرحلة . والاستثناء في الاختفاء . والشرك في المشترك . وكتاب في المترادفات . وآخر في اللغة سماه موحد الفصول وجامع الاصول . والفرائد في العقائد. واللالىء والدرر في فواتح السور. والبديع في مدح الشفيع. وامثال العرب وغير ذلك

وقد فقد كثير من مؤلفاته ومنظوماته حرقاً أو ضياعاً أو اغتيالاً على ان شقيقه عبد الفتاح افندي نديم وصديقه محمود افندي واصف قد عنيا في جمع ما تيسر من ذلك في كتاب سمياه « سلافة النديم في منتخبات السيد عبد الله نديم » وطبعاه فمن أراد الاطلاع على ما كتبه النديم أو نظمه أو خطبه فعليه بالسلافة

ابراهيم بك المويلحي

الكاتب السياسي والمنشىء الصحافي

ولد سنة ١٢٦٢ ﻫ وتوفي سنة ١٣٢٣ ﻫ

يتصل نسبه ببيت من البيوتات الكريمة التي ظهرت بمصر بعد الانقلاب في أول القرن الماضي وكان جده السيد ابراهيم المويلحي في أول أمره كاتباً للمرحوم حبيب أفندي كخيا المغفور له محمد علي باشا الكبير ثم ارتقى كما ارتقى سواه من ذوي المواهب في مثل حال مصر في دورها الانتقالي من عصر الامراء المماليك الى عصر التمدن الحديث اذ هددتها مطامع الدول وحام حولها طلاب السيادة من الوزراء والقواد فتسابقت العقول واختلفت الاغراض نفاز كل بما بلغ اليه امكانه وساقته اليه فطرته . فارتقى بعضهم الى منصات الحكم وأثرى آخرون بالتجارة والزراعة أو الصناعة أو غيرها . فكان للسيد ابراهيم المويلحي جد المترجم حظ كبير من ذلك الارتقاء . ومع انغماس اهل ذلك الانقلاب بالمطامع السياسية والمكاسب المالية واشتغالهم بالملاذ والملاهي اتسلط الجهل على معظمهم فالسيد ابراهيم كان محباً للادب لا يخلو مجلسه من الادباء والشعراء يطارحهم ويذاكرهم . وقد أدى لمحمد علي في أوائل ولايته خدماً جليلة حفظها له البيت الخديوي فانتفع بها المترجم في حال ضيقه كما سترى

وُلد صاحب الترجمة في أوائل سنة ١٢٦٢ ﻫ في بيت وجاهة وعز وكان والده مشهوراً بصناعة الحرير نسيج مصر وله فيها بيت تجاري كبير فجمع ثروة طائلة . ونشأ ابراهيم في سعة ورغد وهو يتهيأ للعمل في تجارة والده ولكنه كان مولعاً بالادب والشعر من حداثته — ورث ذلك من جده . ولم يخطر له ولا لوالده انه سيجعل الادب مهنته وهي يومئذ مهنة الفقراء . . . ولكن الاقدار ساقته الى الاشتغال بها في كهولته فكان من أعظم نوابغها

ظلّ ابراهيم في حجر والده آمناً سعيداً حتى توفي الوالد سنة ١٢٨٢ ﻫ والمترجم في العشرين من عمره فتولى تجارة أبيه وقبض على ثروته وجرى على خطته في العمل حيناً فازداد تقدماً . وكانت مضاربات البورصة حديثة العهد في هذا القطر وقد تحدث الناس بمعجزاتها وبهروا من سرعة الاثراء بها وكان ابراهيم طلاباً للمعالي فلم يكتف بما بين يديه من الرزق الواسع وحدثته نفسه ان يطلب الزيادة بالمضاربة فضارب وهو يكسب تارة فيطمع بالمزيد ويخسر اخرى فيطلب التعويض على نحو ما نشاهده الآن

مع ما يعلمه الاكثرون من عواقبها الوخيمة . فما زال المترجم يتدرج في المضاربة حتى استنزفت ثروته واثقلته بالديون

على ان فروغ يده من المال لم يذهب بما نشأ عليه من العز والانفة ولا ضاعت مآثر جده لدي البيت الخديوي . فنظر اسماعيل باشا الخديوي يومئذ في هذا البيت نظر الانعطاف — وكان اسماعيل اذا أعطى أغنى . فوهبه هبات الملوك فوفى الديون ووسع التجارة . ثم أنعم عليه بالرتبة الثانية وعينه عضواً في مجلس الاستئناف وهو في الثامنة والعشرين من عمره وانعم على أخيه عبد السلام باشا بتلك الرتبة أيضاً . وأبقاه في مزاولة التجارة محافظة على ذلك المعهد التجاري . وتأييداً لذلك أصدر أوامره



(ش ٢٠) ابراهيم بك المويلحي

لجميع من في قصوره من النساء ان يلبسن الانسجة المصرية من صنع هذا البيت وان لا يدخل في تشريفات السيدات سيدة لابسة غير هذه الانسجة . وامر باصطناع كمية عظيمة منها لارسالها الى معرض فينا في تلك الايام

وما زال المترجم في وظيفته بمجلس الاستئناف حتى افضت رئاسته الى المرحوم حيدر باشا يكن فوقع بينهما شقاق انتهى باستقالة المترجم ولكن عناية الخديوي اسماعيل ما زالت شاملة له فأمر باعطائه مصلحة عنبر المشغولات والمنسوجات على سبيل الالتزام . واتفق في أثناء ذلك سقوط وزارة نوبار باشا المختلطة التي كان فيها عضوان

أجنبيان وخلفتها وزارة شريف باشا المعروفة بالوزارة الوطنية وهموا بانشاء اللائحة الوطنية لتأسيس مبادىء الحكومة الدستورية . فانتدب المترجم للاشتغال في ذلك مع المرحوم السيد علي البكري . ثم صدر الامر بتعيينه سكرتيراً للمرحوم راغب باشا ناظر المالية . ولم يتولَّ هذه الوظائف الا لما ظهر من نجابته وسداد رأيه

على ان ميله الى الادب والشعر كان ينمو فيه بين مشاغل السياسة والادارة فاتفق مع المرحوم عارف باشا أحد أعضاء مجلس الاحكام بمصر وصاحب المآثر الكبرى في نشر الكتب على تأسيس جمعية عرفت بجمعية المعارف غرضها نشر الكتب النافعة وتسهيل اقتنائها وأنشأ هو مطبعة باسمه سنة ١٢٨٥ لطبع تلك الكتب وهي من اقدم المطابع المصرية . على ان الجمعية كانت تطبع كتبها أيضاً في مطابع أخرى وخصوصاً المطبعة الوهبية — ولهذه الجمعية شأن كبير في تاريخ هذه النهضة لانها نشرت كثيراً من الكتب المهمة كتاج العروس وأسد الغابة ورسائل بديع الزمان وسلوك المالك والف باء وغيرها من كتب التاريخ والادب والفقه

اما صاحب الترجمة ففي السنة التالية لانشاء مطبعته اتحد مع محمد عثمان بك جلال لانشاء جريدة عربية ولم يكن من الجرائد العربية بمصر يومئذ الا الجريدة الرسمية وجريدة وادي النيل فنال رخصة بجريدة سماها « نزهة الافكار » ولكنه لم يصدر منها الا عددين ثم حالت العوائق دون اصدارها ويقال عن السبب في ذلك ان المرحوم شاهين باشا اظهر لاسماعيل باشا تخوفه من انها تثير الافكار وتبعث على الفتن فصدر الامر بالغائها وظلت المطبعة تشتغل بطبع الكتب لجمعية المعارف وغيرها وقد طبع فيها كتباً على نفقته

فترى المترجم رحمه الله قد تقلب في أعمال مختلفة بين تجارة وخدمة في الحكومة وانشاء المطابع والجرائد ونشر الكتب وغيرها وهو دون الثلاثين من العمر ولم ينل كل مرامه من واحد منها مع اقتداره وذكائه ولعل السبب في ذلك لحاجته في استثمار عمله قبل ان ينضج وعدم ثباته في خطة واحدة . لانه لو ثبت في التجارة مثلاً ولم يرغب عنها في خدمة الحكومة لكانت تجارته من اوسع التجارات أو لو ثبت في الخدمة ولم يعدل عنها الى الصحافة والطباعة لكان من أكبر أصحاب المناصب ولو ثبت في الصحافة الى الآن لكانت صحيفته من أكبر الصحف وأهمها . ولكنه لم يكن يستقر على حال — والاذكياء الذين لا يثبتون في عمل انما يكون سبب تقلبهم الرغبة في النجاح السريع يريدون الطلوع الى الاوج دفعة واحدة . فاذا استبطأوا الوصول الى قمة النجاح في عمل تركوه وانتقلوا الى سواه فيأول ذلك في الاكثرين الى ضياع العمر

في بناء القصور بالهواء . ولو ثبتوا في عمل واحد منها يكن نوعه لكفاهم مؤونة الشكوى من معاكسات الزمان

على ان المترجم لم يشكُ ضيماً لانه كان مرعيَّ الجانب. وما زال الخديوي اسماعيل يذكر صدق خدمته له فلما حدث التغيير في منصب الخديوية سنة ١٢٩٦ وأُبعد الخديوي الى اوربا واستقرَّ في ايطاليا استقدم المترجم اليه فجاءهُ واقام في معيته بضع سنوات كان في اثنائها كاتب يده (سكرتيره العربي) يكتب عنه الرسائل الى الملوك والامراء . ولم يكن ذلك ليمنعه من العمل لنفسه فانشأ في اثناء اقامته باوربا عدة جرائد كجريدة الاتحاد وجريدة الانباء ولم يثبت في واحدة منها أو لعله كان ينشئها لغرض موقت فاذا ناله عطلها . وقال المؤيد انه اشترك مع المرحوم السيد جمال الدين الافغاني في تحرير « العروة الوثقى »

في سنة ١٣٠٣ هـ ذهب الى الآستانة على اثر انشائه تلك الجرائد فاكرم السلطان وفادته وعينه عضواً في مجلس المعارف وناظرها يومئذ منيف باشا العالم الشهير فقدر الرجل حق قدره وقربه منه وعول عليه في كثير من شؤون النظارة . وبعد ان اقام في هذا المنصب نحو عشر سنوات عاد الى مصر وعاد الى الاشتغال بالكتابة وقد نضجت مواهبه الانشائية واكتسب ملكة الصحافة لطول ممارسته اياها مع ما اختبره بنفسه في اثناء اسفاره ومخالطته كبار رجال السياسة واطلاعه على مخبآت الامور . فعمد اولا الى مراسلة الجرائد بمقالات جامعة بين السياسة والادب وقواعد العمران اشهرها ما جمع على حدة في كتاب « ما هناك » ثم انشأ جريدة مصباح الشرق الاسبوعية وهو يتردد في خلال ذلك الى الاستانة ويعود منها مشمولا بالنعم السلطانية من العطايا والرتب حتى بلغ الرتبة الاولى من الصنف الاول وما زال عاملا في خدمة الصحافة العربية مخلصاً للبيت الخديوي شديد التعلق بمرضاة الجناب العالي وسموه يخصه بالمنح والمنن حتى توفاه الله في ٢٩ يناير سنة ١٩٠٦ وهو في الثانية والستين من عمره

﴿ صفاته ﴾ كان ربع القامة ممتلىء الجسم حسن الملامح كما ترى رسمه في هذه الترجمة . وكان حلو الحديث لطيف النادرة سريع الخاطر حسن الاسلوب نابغة في الانشاء الصحافي وفي الطبقة الاولى بين كتاب السياسة رشاقة ومتانة واسلوباً مع ميل الى النقد والمداعبة ولا يخلو نقده من لذع او قرص لا يراعي في ذلك صديقاً ولا قريباً حتى قيل « لم ينج من قوارص قلمه الا الذي لم يعرفه » وقد انتقدوا عليه تقلبه في خطته وذلك تابع لتقلبه في سائر أحوال معائشه لما قدمناه من تردده في أعماله حتى

قضى العمر في التنقل من عمل الى آخر . وضاعت الفائدة التي كان يرجى استثمارها من مواهبه لانه كان نادرة في الذكاء وحدة الذهن والاقتدار على تفهم الامور والاحاطة بخفاياها وكشف غوامضها — فلو رافقه الثبات في المبادىء والاعمال لكان من هذا الرجل غير ما كان

وهاك مثالا من انشائه رحمه الله يصف موكب صلاة الجمعة في الاستانة قال :

« ما قيصر في موكب انتصاره ولا الاسكندر في يوم افتخاره استغفر الله بل ما سعد قادماً من القادسية ولا المعتصم من عمورية املأ للقلوب مهابة ولا للعيون بهاء من رؤية جلالة السلطان يوم الجمعة في موكبه

في يوم الجمعة قبل الظهر بساعتين ترد العساكر رجالا وفرساناً من أطراف الاستانة الى بشكطاش عشرة آلاف أو يزيدون فينتظرون في طريق السراي السلطانية صدور الارادة السنية بتعيين المسجد . وهي عادة جارية الى اليوم وان كان المسجد الحميدي قد اختص بصلاة جلالته دون سواه . فاذا صدرت الارادة اجتمعت العساكر في ساحة المسجد امام باب السراي واصطفت صفوفاً مضاعفة بعضها وراء بعض . وفي هذه الاثناء تتسابق مركبات المشيرين والوزراء والمشائخ والاجانب من السفراء وغيرهم فيجلس السفراء ومن كان معهم من علية قومهم الوافدين على الاستانة في قاعة الجيب الهمايوني المطلة على تلك الساحة التي لا يسمع السامع فيها قيلاً ولا صهيلاً الا صليل الاسياف وترديد الانفاس هيبة واجلالا وانتظاراً واستقبالا لاشراق نور الحضرة السلطانية . فاذا حان وقت الصلاة أشرقت المركبة السلطانية المذهبة كالشمس ضياء من مطلع السراي تحمل الامام نائب الرسول صلى الله عليه وسلم ويجلس أمامه الغازي عثمان باشا . والمشيرون وكبار رجال المابين حافون من حول المركبة مشاة خشع الابصار ترهقهم ذلة من جلال تلك العظمة الامامية وهم في غير هذه الساعة اكاسرة الزمان وقياصرة الرومان كبراً وجبروتاً وكلهم في أمواج الملابس الذهبية يسبحون وعلى صدورهم نياشين الجوهر تخطف الابصار وتأخذ الالباب . حتى ان الناظر ليكاد يوالي الحمد لله تباعاً على ما منحه للدولة من عديد الرجال الصادقين في خدمة الامة والملة بشهادة الكلمات الناطقة فوق النياشين – لولا ما يعتريه من الاشتباه فيهم والنيشان عنوان كتبته الدولة ووضعته على صدر حامله شهادة منها للناس ببيان ما هو مكنون وراءه من فضائل الغيرة والحمية . فاذا اختلف المكتوب على الصدر عن المكنون في القلب كانت كبائع يغش الناس بوضعه على زجاجة الخل عنوان ماء الورد .. » الخ

الشيخ ابراهيم اليازجي

ولد سنة ١٨٤٧ وتوفي سنة ١٩٠٦

ترجمة حاله

وُلد رحمه الله في ٢ مارس سنة ١٨٤٧ في بيروت ونشأ فيها وتلقى مبادىء العلم على أبيه اليازجي الكبير ولا سيما أصول اللغة وقواعدها . على أن اكثر ما اكتسبه من العلوم واللغات انما قرأه على نفسه واكتسبه بجده وذكائه وقد ورث الخيال الشعري عن أبيه فنظم الشعر وهو صبي وزاول النظم في شبابه . فلما قارب الكهولة عدل عنه الى الاشتغال بسواه الا ما قد ينظمه لحادث أو باعث . وكانت قد اشتهرت منزلته في جودة النظم فتقاضى اليه الادباء يستفتونه أو يستشيرونه أو يحكمونه في قصيدة أو مسألة ولم يكن مجلسه يخلو من بحث أدبي أو شعري فتحدق به حلقة من أدباء بيروت ولبنان وكلهم آذان تسمع ما يتلوه عليهم أو يصدر حكمه فيه من شعر أو نثر . غير ما كان يرد عليه في هذا الشأن من رسائل الشعراء وغيرهم مما كاد يستغرق وقته ويشغله عن سواه فصمم على ترك الشعر وتفرغ لدرس اللغة وآدابها وعلومها . فعكف على المطالعة فدرس الفقه الحنفي على الشيخ محيي الدين اليافي أحد مشاهير أئمة بيروت

وكانت الصحافة البيروتية في أوائل نهضتها ومن جرائدها يومئذ « النجاح » فعهد اليه بتحريرها سنة ١٨٧٢ فظهر اقتداره على الانشاء العصري مما لم يعهد الناس مثله في المرحوم أبيه . فضلا عن تمكنه من قواعد اللغة ومعاني الفاظها . وكان المرسلون الاميركان لما أرادوا نقل التوراة الى اللسان العربي في أواسط القرن الماضي استعانوا في تنقيح مسوداتها وضبط عبارتها من حيث اللغة والاعراب بالمرحومين الشيخ ناصيف والمعلم بطرس البستاني ثم بالشيخ يوسف الاسير . ولكنهم التزموا الترجمة الحرفية ولم يبيحوا المصححين التصرف بالاسلوب فجاءت عبارة ترجمتهم ضعيفة . ثم عمد الاباء اليسوعيون الى ترجمة الكتاب المقدس ترجمة كاثوليكية فاستعانوا بالشيخ ابراهيم وفوضوا اليه تنقيح العبارة من حيث الانشاء فضلا عن الضبط النحوي واللغوي . فقضى في ذلك وفي تصحيح كتب أخرى تسع سنين وقد درس اللغة العبرانية على نفسه لتطبيق عبارة التعريب على الاصل فجاءت ترجمة اليسوعيين اصح ترجمات التوراة العربية لغة وافصحها عبارة واجزلها اسلوباً . ويصدق ذلك على الخصوص في العهد القديم أما العهد الجديد فقد أخبرنا رحمه الله انهم لم يطلقوا يده في تنقيحه كما يشاء . وكان في أثناء ذلك وبعده

يعلم المعاني والبيان وآداب اللغة في المدرسة البطريركية فتخرج عليه جماعة من أذكياء الشبان اشتهر بعضهم بالصحافة وبعضهم بالتجارة او الادارة . وتمم بعض ما تركه والده غير كامل من المؤلفات او الشروح واشهرها ديوان المتنبي . وكان والده قد علق على بعض ابيات المتنبي شرحاً موجزاً فعكف هو على اتمامه سنة ١٨٨٢ فأتمه في اربع سنوات شرحاً وطبعاً وهو مشهور بضبطه وما ألحقه به من النقد الشعري

وكانت الصحافة السورية قد نمت وظهرت مجلة الجنان ثم مجلة المقتطف وتحدث



(ش ٢١) : الشيخ ابراهيم اليازجي

بهما وبما استفادوه منهما فاحب الشيخ الرجوع الى الصحافة العلمية وكان الدكتور بوسط الجراح الشهير قد انشأ في بيروت مجلة طبية سماها « الطبيب » فاتحد الشيخ مع صديقيه المرحوم الدكتور بشاره زلزل والدكتور خليل سعاده نزيل القاهرة وأصدروا الطبيب معاً سنة ١٨٨٤ نشر فيه الشيخ فضلاً عما كان يكتبه زميلاه من المقالات الطبية والعلمية مقالات لغوية وأدبية انشاؤها من الطبقة الاولى . وحجب الطبيب عن قرائه

في السنة التالية . ثم استأنف اصداره المرحوم الدكتور اسكندر بك البارودي

ترك الشيخ تحرير الطبيب ونفسه تتطلب الشهرة الصحافية . ورأى الآداب العربية والصحافة قد تحولتا الى مصر بما اطلق فيها من حرية الاقلام والاقوال فعزم على المجيء اليها لانشاء مطبعة ومجلة علمية . واتفق على ذلك مع الدكتور زلزل شريكه في الطبيب فبرح الشيخ مدينة بيروت سنة ١٨٩٤ وعرج ببلاد الافرنج اعدَّ بها بعض ما يقتضيه مشروعهم من الآلات ونحوها . ثم جاء القاهرة وانشأ مع زميله المشار اليه مطبعة البيان سنة ١٨٩٧ ثم حجباها بعد سنة وافترقا . واستقل الشيخ بانشاء «الضياء» سنة ١٨٩٨ وهي مجلة علمية ادبية صحية صناعية اشتهرت بمتانة انشائها وفصاحة عبارتها وبلاغة اسلوبها كما سنبينه . وما زالت تصدر حتى حال الأجل دون اصدارها بعد انقضاء عامها الثامن . وكان رحمه الله قد أُصيب بداء الروماتزم في اواخر الصيف الماضي بعد تحرير آخر اعدادها فلما استبطأ الشفاء أُعلن توقيفها ريثما يبل من الداء وما علم انه الداء الاخير ففاضت روحه في المطرية بعد ظهر ٢٨ دسمبر سنة ١٩٠٦ وهو في الستين من عمره ولم يتزوج . ولم يبق من بيت اليازجي الا الشيخ حبيب ابن اخيه الشيخ خليل . فاحتفل أصدقاؤه ومريدوه بدفنه في اليوم التالي احتفالاً يليق بمنزلته . فحملوا جثته بقطر خاص من المطرية الى القاهرة . ومشى في جنازته من المحطة جمهور كبير من خاصة الادباء والوجهاء وأُوصوا ان يرجئوا التأبين الى يوم آخر يعين في وقت آخر ثم احتفل بتأبينه بعض المحافل الماسونية بمصر والاسكندرية فضلاً عن حفلات التأبين وغيرها . وامر سمو الخديوي سر تشريفاتي سموه ان يكتب الى الشيخ حبيب كتاب تعزية هذا نصه :

جناب الفاضل الشيخ حبيب اليازجي

لما علم الجناب الخديوي العالي بعظيم رزء اللغة العربية وآدابها لانتقال العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي من هذه الديار الفانية الى الدار الباقية أُظهر مزيد أُسفه على انقضاء تلك الحياة الطيبة الحافلة بجلائل الخدم للعلوم العربية في القطرين مصر والشام وأُمرني سموه الفخيم ان أُبلغ جنابكم وسائر أُعضاء الاسرة اليازجية تعزيته السامية واني اشترك مع قراء العربية في تقديم واجب التعزية الى حضراتكم

سر تشريفاتي الخديوي

احمد زكي

والفقيد رحمه الله حائز على الوسام العثماني من جلالة السلطان وعلى نوط العلوم

والفنون من جلالة ملك اسوج ونروج وانتدبته كل من الجمعية الفلكية في باريس وفي انفرس والجمعية الفلكية الجوية في السلفادور ان ينتظم في عضويتها

أخلاقه وصفاته

كان ربع القامة نحيف البنية عصبي المزاج حاد البصر ذكي الفؤاد سريع الخاطر حاضر الذهن لطيف المحاضرة حلو المفاكهة لا يُمل مجلسه يطرب للنكتة الادبية ويضحك لها . وكان مع ذلك شديد الحرص على كرامته لا يحتمل مسها في جدّ او هزل تلميحاً ولا تصريحاً . وكان سريع الانتباه لما يتخلل احاديث المجالس من الاشارات الادبية . وكان متقشفاً بطعامه وشرابه ولولا ذلك ما صبر على معاناة صناعة القلم بضعة واربعين عاماً مع نحافة بنيته . وقضى أعوامه الاخيرة يقتصر في عشائه على كأس من اللبن خوف التثقيل على معدته . واما العمدة في الغذاء على أكلة الغداء ولم يكن نهماً . واما في الصباح فيتناول طعاماً خفيفاً ويعكف على العمل فاذا تغدى الظهر شرب قهوته ودخن شيشته ونام . ثم ينهض ويقضي بقية النهار في الراحة او في عمل لا يتعبه ويخرج لترويح النفس في بعض الاندية يلاعب بعض معارفه بالنرد على سبيل التسلية او يقضي ذلك الوقت بالمباسطة والمفاكهة . فاذا آن العشاء عاد الى منزله فيتناول اللبن ويستأنف العمل وكان مولعاً بتدخين الشيشة في اثناء الكتابة كما كان والده مولعاً بالقهوة وتدخين التبغ في ذلك الحين

وكان عفيف النفس كثير الاباء ظاهر الانفة الى حد الترفع ولا سيما في ما يتعلق بالارتزاق يعدُّ مجاملة الناس في سبيل الكسب تملقاً وكلما قلَّ ماله زادت انفته وعظم اباؤه وكثيراً ما أراد أصدقاؤه اقناعه أن سنة الارتزاق تقضي بمجاملة الناس والتقرب من كبارهم بالحسنى . فربما اطاع ناصحه برهة ثم يعرض له خاطر فيعود الى الاباء . ولولا ذلك لعاش في سعة وراحة ولكن القناعة كانت من أكبر اسباب سعادته

على انه كان يشتغل بالقلم التماساً لتلك اللذة التي كثيراً ما اغوت اصحاب القرائح واستنزفت قواهم فعاشوا فقراء وماتوا اعلاء . ولو أراد الشيخ مجرد الارتزاق لكان له مما فطر عليه من دقة الصناعة اليدوية خير سبيل . بل لم يكن يعدم منصباً في بعض مصالح الحكومة وقد ندب ان يكون قائمقام على مدينة زحلة من لبنان سنة ١٨٨٢ فلم يقبل

ومن ابائه وكرم اخلاقه انه كان صادقاً في معاملته على اختلاف وجوهها لا يحلف ولا يخلف . اميناً في ما ينقله او يقتبسه من الآراء او الاقوال ينسب الفضل الى صاحبه . وكان عكس ذلك في ما يفعله هو مع الآخرين من تصحيح مقالة او تنقيح

عبارة فانه كان شديد الانكار لذلك ولكن ديباجته كانت تنمّ عليه لظهور أسلوبه من خلال السطور

وكان برًّا بابيه وقد خدم اسمه وزاد في شهرته بما اتمه من آثاره او شرحه من كتبه فانفق في سبيل ذلك جانباً كبيراً من وقته واتم شرح المتنبي او هو شرحه كله فنسب الشرح الى والده واستبقى لنفسه فضل التتميم

قرائحه ومواهبه

اظهر قرائحه الاتقان الفني فانه كان متأنقاً في اتقان ما يتعاطاه من صناعة او أدب او شعر سواء اصطنعه بيده او انشأه بقلمه او نظمه بقريحته بما يعبر عنه الافرنج بقولهم Artist فكنت ترى التأنق والاتقان ظاهرين في كل عمل يعمله حتى في لباسه وجلوسه ومشيه وكلامه وطعامه . وكل ذلك فرع من تأنقه في الصناعة اليدوية فكان حفاراً ماهراً ومصوراً متقناً . ظهر ميله الى ذلك منذ حداثته — حدثنا صديقنا المستر ادوار فانديك نجل استاذنا الدكتور فانديك انه عرف الشيخ الفقيد منذ نيف واربعين سنة اذ كان يتردد على مطبعة الامريكان في بيروت وادارتها يومئذ بيد الدكتور فانديك وكانت للشيخ ناصيف علاقة حسنة بالامريكان من التعليم بمدارسهم والتصحيح في مطبعتهم . قال صديقنا المشار اليه انه كان يلاحظ في الشيخ ابراهيم من ذلك الحين ميلاً خصوصياً لصناعة الحفر وكثيراً ما كان يحفر الاختام على سبيل التسلية ثم حفر الصور والنقوش . وخطر له يوماً ان يصطنع روزنامة عربية تعلق على الحائط من قبيل الروزنامات الشائعة ولم تكن معروفة يومئذ بالعربية فاستأذن الدكتور فانديك في استخدام بعض أدوات المطبعة لحفر الاحرف والاشكال اللازمة لهذا العمل فأمر رئيس العمال في ذلك العهد موسى عطا ان لا يمنعه شيئاً يحتاج اليه في هذا السبيل . فتأنق الشيخ في رسم حروف الروزنامة وأرقامها حتى انها على أجمل ما يكون وهي اول رزنامة عربية من هذا النوع

على ان تأنقه ظهر أولا في خط يده فكان جميل الخط من حداثته وظل خطه جميلاً الى آخر أيامه وقاعدته فارسية . والذين يقرأون رسالة بخطه لا يكون اعجابهم بجمال ذلك الخط أقل من اعجابهم ببلاغة أسلوبه . ومن هذا القبيل تأنقه في التصوير باليد حتى صور نفسه عن المرآة صورة ناطقة رأيناها معلقة في منزله . وأهم ما نجم من ثمار هذه القريحة اصطناع الحروف الحديثة التي سنذكرها في جملة آثاره

انشاؤه

ومن قرائحه اقتداره الغريب على الانشاء المرسل مع سلامة ذوقه في انتقاء

الالفاظ . وأسلوب عبارته جمع بين المتانة والبلاغة والسهولة يشبه أسلوب ابن المقفع شبهاً اجمالياً ولكنه من اكثر وجوهه خاص بالشيخ . على أن انشاء ابن المقفع لم يصل الينا كما كتبه صاحبه ولكنه جاءنا بعد ان هذبته اقلام المنشئين ونقحته قرائح اللغويين زهاء اثني عشر قرناً . أما الشيخ فلم يمس عبارته سواه ناهيك بما يعترض الكاتب اليوم من المعاني الجديدة التي لم يعرفها القدماء وليس في المعجمات لفظ يدل عليها مما يقف عثرة في طريق المنشئين

أما فقيدنا اليازجي فكان يتخطى هذه العقبات على أهون سبيل فجاءت عبارته خالية من غريب اللفظ ووحشي التركيب . وقد يأتي باللفظ الغريب فيضعه موضعاً يجعله مألوفاً فلا يمجه السمع ولا ينكره الفهم . فكان أسلوبه بليغاً بلا تقعر أو تعقيد سهلاً بلا ضعف أو ركاكة متسلسلاً متناسباً متناسقاً يطابق ما قدمناه من توخيه التأنق والاتقان في كل شيء . ورغبته في الاتقان حملته على التأني في نشر ما يكتبه فكان لا يرسل المقالة الى المطبعة الا بعد تنقيحها وتهذيبها ثم يكتبها بحرف واضح جلي كأنه سلاسل الذهب حذراً من الوقوع في الخطأ فآل ذلك الى ابطائه في اخراج بنات افكاره وقلل مقدار ما كان يرجى الحصول عليه من ثمار علمه ودرسه

ومما حمله على المبالغة في التأني انه كان شديد الوطأة في انتقاد ما يعرض له من الغلط اللغوي في ما يقرأه من الصحف أو الكتب — وذلك طبيعي في من يخصص بحثه في فرع من فروع العلم يستقصيه ويدرس دقائقه فيكثر ما يقع عليه نظره من الغلط في ما يكتبه سواه في ذلك الفرع فلا يصبر على السكوت عنه ولا سيما اذا كان عصبي المزاج مطبوعاً على التأنق والاتقان مثل فقيدنا . فالانحراف عن الصواب كان يؤلمه ولا يشفي ألمه غير النقد . ويمتاز نقده بشدة اللهجة وبما يتخلله من قوارص الكلم لا يراعي في ذلك صداقة ولا عهداً . وسبب تلك الشدة على الغالب غيرته على اللغة واخلاصه في خدمتها . فلما كتب « اغلاط المولدين » لم يستثن والده ولا نفسه . لانه كان يرى الغلط اللغوي أو النحوي من اكبر السيئات ويرى السلامة منها من اكبر الحسنات ولذلك كان يثني على شعر ابن الفارض ويعجب بشعر المتنبي على الخصوص لقلة ذلك الغلط فيها . وربما احتقر شعر شاعر مطبوع أو مقالة عالم كبير اذا رأى فيها غلطاً لغوياً أو نحوياً . فكان يبالغ في تنقيح ما يكتبه ويتأنق في اتقانه خوفاً من الانتقاد ولعله تنبه لذلك على الخصوص منذ أخذ في الدفاع عن والده لما انتقده الشيخ احمد فارس وشدد النكير عليه . وكان الشيخ ابراهيم في ابان شبابه فاجاد في الدفاع وتعود الحذر من الخطأ بالمراجعة والتنقيح من ذلك الحين . فاعتبر مع سعة علمه بمفردات اللغة

وجزالة اسلوبه كم تكون لغته صحيحة وعبارته بليغة فصيحة . حتى أصبح استعماله حجة وانشاؤه قاعدة فلا عجب اذا دعوناه حجة اللغة وامام الانشاء . وا كثر ما يكتبه مرسل سهل واذا سجع فلا تجد في تسجيعه تكلفاً واليك أمثلة من ذلك وهو من قبيل الشعر المنثور :

قال من مقالة في مصير الارض :

«واعتبر ذلك في الارض وما يؤلف اديمها من الجواهر . ويشتمل عليه جوها من العناصر . وما يعيش عليها من النبات القائم في الصحراء . والحيوان السارح على وجه العراء . والسابح في لجتي الماء والهواء . تجد هناك سلسلة يتصل أعلاها باسفلها ويتحول بعضها الى بعض حتى يرتد آخرها الى أولها . بل ترى الارض نفسها عرضة للطبيعة تنزوها بالسيول الجوارف . والرياح النواسف . والامواج التي تهاجم ثغورها والزلازل التي تصدع صخورها . متعاقبة عليها ما تعاقب الليل والنهار . الى أن يأتي يوم تحل فيه الجبال وترسب في درك البحار . ثم لا تزال المياه تسحل وجه الارض حتى لا يبقى فيه امت ولا انحناء . وحتى يغمرها الماء من كل ناحية وقد عاد سطحها مستوياً تحت الماء كاستواء سطح الماء . فعادت كما كانت في أول خلقها ماء غامر . وكون بائر . قد خلا من عالمي البر والهواء . ولم يبق فيه من ذوات الحياة الا عالم الماء

« هـذا اذا لم تصب الارض قبل ذلك بالهرم . وينضب ماؤها بعد خمود ما في باطنها من الضرم . ولم تتشرب هواؤها فلا يتنفسه بعد ذلك نبات ولا حيوان ولا يجد ذو جناح ما يعتمد عليه جناحه في الطيران . على حد ما تم من مثل ذلك في القمر حتى لم يبق فيه وشل لمرتاد . وحتى تجرد من ثوب هوائه اوكاد . وحتى أصبح قفراً هامداً لا ينبت عليه شجر . ولا يتنفس فيه دابة ولا بشر . بل لو بقي هواء الارض وهو خال من بخار الماء لجمّد البرد سطحها تجميداً . وانقبض الاحياء من وجهه حيث يقع شعاع الشمس عموداً . ثم لا يزال بساطهم يزداد ضيقاً على توالي الحقب . الى ان تموت آخر عشيرة منهم بالبرد والسغب . فتدفنها الثلوج حيث لا تنكشف رممها الا يوم التلاقي . وتخط يد القضاء على اديم الارض سبحان الحي الباقي

« وهذه اذا لم تهرم الشمس فتنقلب نارها برداً ولكنه برد بغير سلام . فتهيم السيارات والاقمار من حولها في فضاء من الزمهرير والظلام . ويومئذ لا يبزغ الصباح فيذهب آفاق المشرق . ولا يقبل المساء فيخيم على ارجائه بجيشه المطبق . ولا يكون اذ ذاك كسوف ولا خسوف . ولا تبدو القبة الزرقاء بلونها المألوف . ولكنها تلتحف السواد حداداً على عالمها بالامس . وقد التف بكفن من الثلج فآوته منها الى مثل

ظلمة الرمس . ويومئذ تجمد البحار فلا يكون ثمة موج يتنفس . ولا سحاب يتبجس . ولا سيل يتدفق . ولا جدول يترقرق . وتركد حركة الهواء فلا تهب شمال ولا صبا . ولا تجري نسمة على الوهاد والربى . وانى والشمس مصدر الحركة في العوالم . وقوام الحياة لكل قائم . فاذا هبت الريح فالشمس هي التي تهب . واذا دبت النمل فالشمس هي التي تدب . واذا انتشر الغمام فهي التي تنتشر . واذا انهمرت الغيوث فهي التي تنهمر . ألا وهي الشمس التي تجري في الانهار . وهي التي تغرد في الاطيار . وهي التي تزهر في الرياض . وهي التي يسمع حفيفها في الغياض . وعلى الجملة فالشمس هي روح الكائنات وفؤادها . واذا ماتت الافئدة فمحال أن تعيش اجسادها »

وقال من مقالة في وصف القمر :

« بل هو مثال الرونق والجمال . وآية الابهة والاجلال . اذا برز من الافق فانهزمت من وجهه جيوش الظلماء . وانفرجت الكواكب لمرّه في عرض السماء . فاقبل يتنقل بينها وهو يمير عزة وخيلاء . فسمت اليه الابصار اعجاباً واكباراً . وانصرفت اليه ابتهاجاً واستبشاراً . وانطلقت له النفوس نشاطاً وارتياحاً . واتسعت به الصدور انبساطاً وانشراحاً . وخلا اليه العاشق يتذكر وجه حبيبه . ولها به المحزون فسلا عن حبيبه ونسيبه . وأوى اليه المسهد فكان سميره في سهده . واتخذه المسافر رفيقاً فذهل به عن مخاوف سفره ومشقة جهده . وجلس اليه الشرب يتعاطون مثل الشمس في مثله . وتساير بازائه المتعاشقان يستبصران بنوره ويستتران بظله . وقد تخلل شعاعه نسج النسيم . حتى اتحد اتحاد الماء بسلافة النديم . فكان ألطف ما مر ببصر . في ألين ما التحف بشر . فاسجل الشاهد ان لياليه اصفى الاوقات . وانه الجالي لاكدار النهار كما تجلى به كدورة الظلمات

« لا بل هو مبعث الوحشة ومحرك الاشجان . ومثير هواجس الصدر وبلابل الجنان . اذا طلع في ليله وقد سكنت الاصوات . وسكنت الحركات . ولم يبق الا تموج الهواء باختلاف الاصوات الصوامت . وحفيف النسائم بين ورق الشجر المتخافت . فارسل نوره الضعيف سابحاً في انحاء الفضاء . مترقرقاً على وجه الغبراء . تظهر من تحته الوهاد المنبسطة في العراء . والقمم الشاخصة في الهواء . لا يمشي فيها حيوان . ولا تسمع نأمة انسان . فوقف المتأمل امام مشهد ذلك الجمود . وقد ملكت عليه مشاعره حتى توهم نفسه انه بمعزل عن الوجود . فتخيل ما حوله من الارض مجاهل خالية . او اطلالاً بالية . بل تخيل الارض كانها يوم خلقت فهي ادغال وتنائف . وتصور نفسه

آدمها وقد وقف فيها بين الدهش والمخاوف . فخيمت فوقه وحشة العزلة . واحاطت بنفسه هيبة الوحدة. وانبعثت الاشجان في صدره فتفرغ لمناجاتها . وهاجت الذكر في نفسه فغاض بين تياراتها. وتوارد عليه من الخواطر ما حبب اليه اللحاق بعالم الفناء . ثم استهواه ما يرى من جمال الطبيعة فثابت اليه الرغبة في البقاء . فتمنى لو اتخذ سبباً الى هذا العالم الماثل فوق رأسه . أو تعلق بما تدلى اليه من اشعة نبراسه . فربما تخيل ان هناك حدائق غلباء . ومدائن غناء . وقصوراً شاهقة . وانهاراً دافقة . واقواماً يمرحون في نعيم . ويرتعون في خصب مقيم . وما ثمت لو يعلم الا كونٌ جامد . وقفر هامد . وسكوت سائد . وحطام خاق بائد . لا يخطر هنالك غاد ولا رائح . ولا يسمع صوت باغم ولا صادح . ولا يسبح طائر في السماء . ولا يدب حيوان على العراء . ولا يخضر واد ولا اكمة . ولا تحسب اذيالها نسمة . ولا ينتشر سحاب ولا ضباب . ولا يترقرق ماء ولا سراب . ولكن جملة ما هنالك طلل دائر . وعالم من عوالم الدهر الغابر . بل جنازة يطاف بها حول الارض وان لم تحملها المناكب . وقد صلت عليها السيارات فترحمت عليها الكواكب »

وقال من مقالة في وداع القرن التاسع :

« من تأمل كرور الادهار . وتعاقب الليل والنهار . ورأى الثواني تجرُّ الايام . والايام تجرُّ الاعوام . والناس يذهبون بين ذلك افواجاً . ويمرون فرادى وازواجاً . ورأى ان هذه الحركة التي ترى بها الشمس تطلع من المشرق . ثم نراها تغيب في المغرب . يتخللها من حركات دقائق الكون ما يمثل دبيب عوامل الفناء . حتى يرد كل منظور الى عالم الهباء . وقف حائراً دهشاً يتأمل في الكائنات وفي نفسه . وقد اختلط عليه الوجود بالعدم حتى كان يتهم شواهد حسه . ثم نظر فتمثل وراءه ماضياً تغيب أوائله في ظلمات الازل . وامامه آتياً تتصل أواخره بحواشي الابد . وهو بينهما كنفاخة قذفها التيار فوق اديم البحر . فما كاد يقع عليها ضوء الشمس حتى عادت اليه فغاصت فيه آخر الدهر . فملكه من الرهب ما ارتعشت له اعضاؤه . ومن الاشفاق ما جمدت له دماؤه . ثم تمنى لو تخلص من هذا الوجود المشوَّه . وايقن ان الكون ضرب من الزور المموَّه . انما هي صور تتبدل . واشكال تتحول . وهي المادة الى ان تنحل الارض وينتثر نظام السيارات والاقمار . وتتبدد ذرات الشمس في الفضاء فيمحى رسمها من صحيفة الادهار

« ودعنا القرن التاسع عشر كما يودع المرء يومه عند انقضائه . وقد تذكر ما لقي بين صباحه ومسائه . وما تقلب عليه من حالي كدره وصفائه . ثم استشف من خلال ليله المقبل وميض صباح الغد باسماً عن ثغور الامال . مبشراً بما فاته في يومه من

الغبطة ونعمة البال . فبات يعد نفسه المواعيد . ويرى كل بعيد من الاوطار اقرب اليه من حبل الوريد . وقد ذهل اكثرنا عن انه يودع شطراً من دهره . وقد يكون من بعضنا أطيب شطري عمره . فاذا التفت الى خلفه رأى خيال نشأته وشبابه . وتمثلت له اوقات لذته ومجالس اترابه . والصفحة التي ارتسم عليها تاريخ ميلاده ودوّن فيه تذكار ابهج أعياده . فحنَّ الى ايامه السوابق . حنين المحب المفارق . وقد حيل بينه وبينها وطويت عليها صحيفة الفناء . وختم عليها بطابع الابد فهي هناك الى يوم اللقاء »

شعره

وقد رأيت انه نظم الشعر في شبابه وقعد عنه في كهولته على ان شاعريته ظاهرة في ما ظهر من شعره وبين منظوماته ما جرى على ألسنة القوم مجرى الامثال مع رغبته في كتمانه اذ جمعه في كتاب بخط يده وضنَّ على الناس بنشره وهو لا يزال باقياً كما تركه . ومن اشهر شعره قصيدته السينية التي مطلعها :

دع مجلس الغيد الاوانس وهوى لواحظها النواعس

واختها التي مطلعها :

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

والقصيدتان مهيجتان اقتضتها بعض الاحوال السياسية في سوريا من التحريض على النهوض . ولعل الفقيد حمل على نظمها باشارة جماعة او امر رجل كبير فجاء نظمها بليغاً

ومن قوله في النسيب والغزل :

ما مرَّ ذكرك خاطراً في خاطري	الا استباح الشوق هتك سرائري
وتصببت وجداً عليك نواظر	بانت بليل من جفائك ساهر
بلغ الهوى مني فان أحببت صل	او لا فدتك حشاشتي ونواظري
قسماً بحسنك لم اصادف زاجراً	الا وحسنك كان عنه زاجري
او ما كفاك من الذي لاقيته	ولهٌ كساني الذل بين معاشري
وضنى يكاد يشف عن طي الحشى	حتى خشيت به افتضاح ضمائري
اخذت عيونك من فؤادي موثقاً	وعليَّ عهد هواك لست بغادر
كن كيف شئت تجد محبك مثلما	تهوى على الحالين غير مغاير
صبري عليك بما اردت مطاوع	ابداً ولكن عنك لست بصابر
عذبت قلبي بالصدود وان يكن	لك فيه بعض رضى فدونك سائري
واضعت عمري بالدلال وحبذا	ان صح عندك مطمع في الآخر

كثر التقوّل بيننا وتحدثوا يا هاجري حاشاك انك هاجري
وأطال فيك معنفي فعذرته وعساك في كافي فديتك عاذري
حسبي رضاك اذا منت بزورة يمسي المزور بها رقيق الزائر

ومن قوله في الحكم :

حياة امرء العيش فيها مذمم وناس بها قلب الخليّ متيم
سقت كل قلب كل يوم مشارباً توهم فيها لذة وهي علقم
وما الارض الا قفرة زأرت بها اسود المنايا حولنا وهي حوّم
لها كل يوم بيننا كل منذر ينادي علينا مسمعاً وهو ابكم
تنبهنا بعضاً ببعض فتنثني واجفاننا في غفلة اللهو نوم
خلت دونها شمّ الحصون فلم تكن لسا كنها من غارة البين تعصم
وأصبح من قد كان يرهب باسه يناح عليه بعد حين ويرحم
تراب من الارض استوى تحت صورة تلوح عليها مدة ثم تهدم
اذا ما دفعنا للبلية مرة ولم تنتفع بالحزن فالصبر احزم
جرى قدر المولى بما شاء واستوى لديه جزوع في الاسى ومسلم
وليس لنا من مطمع فات نيله اذا كان ما نبغيه ما ليس يغنم
وما كان ما لا بد منه مؤخراً يهون لديه الرزء وهو مقدم
وما الفرق في الحالين الا هنيهة تمر سريعاً والقضا متحتم

ومن قوله في الحكم ايضاً :

وانما نحن في دار اذا اعتبرت ليست سوى مأتم ناحت به البشر
في كل يوم اناس فوقها جمعوا على اناس طوتهم تحتها الحفر
بئس الحياة التي ما زال واردها يمازج الورد في كاساته الصدر
حالان احداها مماوءة حذراً مما يليها واخرى قلبها الحذر

ومن قوله في الرثاء :

ايها النائح المبكر مهلاً جاوز الامر دمعك المستهلا
شق من قبلنا الورى كل قلب ولقد كان لو شفى النفس سهلا
انما نحن ثاكل وصريع ذاك يشقى وذاك في الترب يبلى
ليس أرض لم يسقها صوب دمع او سماء لم يشجها نوح ثكلى

ومما جرى مجرى الامثال ويصح ان يكتب بما الذهب بيتان قالها في معرض رد على احمد فارس الشدياق لما انتقد كتب والده وشدد الطعن عليه فقال الشيخ ابراهيم :

ليس الوقيعة من شأني فان عرضت اعرضت عنها بوجه بالحياء ندي
اني اضنُّ بعرضي ان يلمَّ به غيري فهل اتولَّى خرقه بيدي

ومن نظمه ليكتب على عود :

وعود صفا الندمان قدماً بظله وما برحت تصفو اليه المجالس
تعشقه طير الاراكة اخضراً وحنَّ اليه ريشهُ وهو يابس

ومن نكاته الشعرية :

تعجب قوم من تأخر حالنا ولا عجب في حالنا ان تأخرا
فمذ أصبحت اذنابنا وهي ارؤوس غدينا بحكم الطبع نمشي الى الورا

وكانت له قريحة في الرياضيات واطلاع واسع في علم الفلك اتصلت بسببه مخابرات بينه وبين بعض كبار الفلكيين الفرنساويين. واشتغل في حل المشكلة الرياضية المشهورة وهي قسمة الدائرة الى سبعة اقسام وتوصل قبل وفاته ببضع سنين الى حل يقرب من الصواب كثيراً بعث به الى اكاذمية العلم في باريس ولا نعلم ما صار اليه امره.وكان عارفاً اللغة الفرنساوية وله المام بالعبرية والسريانية ومشاركة حسنة في العلوم الطبيعية

أعماله وآثاره

نظراً لما قدمناه من طبعه في التأنق والاتقان وتوخيه التأني والتدقيق فقد جاءت ثمار قرائحه اقلَّ مقداراً مما كان يرجى من مثله كما قدمنا فضلاً عن انصراف ذهنه في شبابه الى الاشتغال بالحفر والرسم . على انه خدم اللغة العربية من هذا الطريق خدمة ذات بال باصطناع حروف الطباعة العربية في بيروت . وذلك ان الطباعة بالحروف الافرنجية لم تكد تظهر في اوربا باواسط القرن الخامس عشر حتى اهتم اصحابها هنالك باصطناع الحروف العربية فاصطنعوا حروفاً طبعوا بها كتباً بالبندقية ورومية وباريس ولندرا واكسفورد وغيرها ولكل منها تقريباً شكل خاص وان تشابهت على الاجمال. ثم ظهرت الطباعة العربية في الاستانة وحرفها يعرف بالحرف الاسلامبولي ويشبه القاعدة التي تقرأها في هذه الصفحة . وفي أوائل القرن الثامن عشر ظهرت الطباعة في سوريا نقلاً عن حروف رومية . ثم جاء المرسلون الاميركان الى سوريا في اوائل القرن الماضي ولهم مطبعة عربية في مالطة اسسوها سنة ١٨٢٢ وحروفها من حروف مطابع لندن وطبعوا بها كتباً بعناية المرحوم الشيخ احمد فارس . ثم نقلوها الى بيروت سنة ١٨٣٤ وبعد انتقالها باربع سنين اهتم مديرها يومئذ المرحوم عالي سميث باصطناع حروف جديدة فاستخدم احد كتبة الاستانة فكتب له حروفاً جميلة سبكها في لايبسك وهي الحروف الاميركانية المشهورة

ولكن القاعدة الاميركية على جمالها ورونقها كانت كثيرة النفقة في اصطناعها لكثرة أشكالها . والقاعدة الاسلامبولية تفضلها من هذا القبيل لكنها تقل عنها من جهات اخرى فعني الشيخ صاحب الترجمة سنة ١٨٨٦ بصنع قاعدة جديدة يجمع بها حسنات الحرفين وهي القاعدة المعروفة بحروف مركيس لانها تسبك في مسبك خليل افندي مركيس صاحب لسان الحال في بيروت . وهي القاعدة الشائعة الآن في أكثر المطابع العربية في سوريا ومصر واميركا . واصطناع هذه الحروف يحتاج الى دقة ومهارة لا يعرف مقدارها الا من يعاني هذه الصناعة . لان الحرف لا يتمثل للطبع الا بعد ان يحفر على قضيب من الفولاذ حفراً دقيقاً ويقال له باصطلاح الطباعة « الاب » ثم يضرب على النحاس ضرباً حتى يطبع غائراً في النحاس ويسمونه حينئذ « الام » وعلى هذه الام يصبون الرصاص فيخرج الحرف المعروف في المطابع — فالشيخ كان يصطنع الاب من الفولاذ ويضربه على الام النحاسية واصطنع لهذا الحرف عدة اقيسة . ولما جاء القاهرة صنع حرفاً على قياس متوسط بين الحروف الكبرى والصغرى يعرف بحرف (بنط ٢٠) وقد اتخذته مسابك القاهرة واصطنعوا له قوالب وشاع استعماله في مطابعها

وأدخل في الطباعة العربية بعد قدومه مصر صوراً للحركات الافرنجية يحتاج اليها المعربون في التعبير عن الحركات الخاصة بها التي لا مقابل لها في العربية . ولما أرادت الحكومة المصرية صنع حروف مطبعة بولاق سنة ١٩٠٣ على قاعدة مختصرة مفيدة كانت الابصار متجهة الى الشيخ لانه أقدر من يستطيع ذلك بالدقة والرونق ولو فوضت اليه هذا هذا العمل لاحسنت صنعاً واستثمرت قريحته ثمراً نافعاً للغة العربية على الاجيال

اما آداب اللغة العربية فقد خدمها الشيخ خدماً ذات بال بما الفه او نقحه او انتقده او وضعه من المصطلحات الجديدة واليك البيان :

فمؤلفاته اكبرها « الضياء » وقد ظهر منه ثمانية مجلدات وفيها مقالات في مواضيع شتى من جملتها مقالات ضافية في انتقادات لغوية يحسن أن يعاد طبعها على حدة خدمة لهذا اللسان وهي (١) اللغة والعصر (٢) لغة الجرائد فقد انتقد بها ماهو شائع في الصحف السيارة من الغلط اللغوي (٣) مقالة في التعريب بين بها شروط التعريب وتاريخ ذلك من صدر الاسلام (٤) اغلاط العرب القدماء (٥) اللغة العامية واللغة الفصحى (٦) أصل اللغات السامية (٧) نقد لسان العرب وهو بحث طويل انتقد به الطبعة المتداولة من معجم لسان العرب (٨) اغلاط المولدين بين فيها ما وقع للمولدين من الغلط اللغوي من صدر الاسلام الى الآن وفي جملة ذلك ما وقع للمرحوم والده ثم ذكر ما وقع هو

نفسه فيه من الخطأ في بعض المواضع . فهذه المقالات وغيرها من الابحاث اللغوية كمقالتيه في المجاز والنبر في اللفظ العربي وغيرها مما ظهر في البيان والطبيب لو جمعت لزاد مجموعها على مئتي صفحة . وفي الضياء مقالات فلكية في القمر وحركاته والزهرة والمريخ والشمس والمشتري وقياس الاجرام السماوية وما وراء نبتون وتكون العالم الشمسي وسعف الشمس وغيرها مما يدخل في مئة صفحة أو مئتين . ومن مؤلفاته التي ظهرت كتاب « نجعة الرائد » في المترادف والمتوارد من الفاظ اللغة العربية وتراكيبها في مجلدين

وكان رحمه الله قد شرع من سنوات عديدة في وضع معجم اللغة العربية يشتمل على المأنوس من كلام العرب الاولين وعلى ما طرأ من موضوعات المولدين والمحدثين مقتصراً على الفصيح دون المولد والمحدث في الاصطلاح وسماه « الفرائد الحسان من قلائد اللسان » وقد شغلته العوائق عن اتمامه وكنا نحسب مواده مجموعة كلها أو بعضها فاذا هي تعاليق على حواشي الكتب وبعض المذكرات في أوراق متفرقة لا يستطيع جمعها أو تأليفها سواه فذهب الامل بظهور ذلك الكتاب المفيد

أما ما صححه من الكتب فاهمها ترجمة التوراة اليسوعية التي تقدم ذكرها وفيها خدمة كبرى في ضبط لغة المسيحيين لاكتساب الملكة الصحيحة بمطالعتها من صغرهم . ومما صححه وهذب عبارته تاريخ بابل واشور تأليف جميل افندي مدور ونفح الازهار في منتخبات الاشعار ودليل الهائم في صناعة الناثر والناظم المرحوم شاكر البتلوني . وعقود الدرر في شرح شواهد المختصر للمعلم شاهين عطية ورسالة الغفران . غير ما صححه أو اختصره أو شرحه من كتب المرحوم والده كمختصر نار القرى ومختصر الجمانة لمطالع السعد ومطالع الجوهر الفرد والعرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب وغيرها

ومن آثار علمه انه انتقى الفاظاً اصطلاحية لما حدث من المعاني العلمية بنقل العلوم الحديثة الى اللغة العربية بما عرف به من سلامة الذوق في اختيار الالفاظ وهاك امثلة من ذلك مرتبة على احرف الهجاء مع اصولها الفرنساوية :

الاربة	Cravate	التألق	Phosphorescence
الاستهماد	Assurance	التلييد	Acclimatation
الاسرب	Plombagine	الجناح	Balcon
الانبوبيات	Bacilles	الحاكي	Phonograph
البائنة	Dot	الحساء	Soupe
البيئة	Milieu	الحسر	Myopic

الحودي	Cocher
الدراجة	Bicyclete
الدريئة	Écran
الذريرات	Microcoque
الراحيات	Bactéries.
الرثية	Rhumatisme
الرعاد	Torpille
السفع	Tache (du soleil)
الشاري	Poratonnerie
الشبزي	Chimpanzé
الشحنة	Police
الشعار	Armoiries
الشعرية	Brosse
الضلع	Fuseau
الطارئة	Colonie
الطبرخي	Cutta-percha
الطلاء	Vernis
الكفاف	Cadre
اللهاة	Valve
اللولب	Vis
المأساة	Tragédie
المتمعجات	Vibrions
المجلة	Révue
المحبب	Granit
المصلد	Imperméable
المقصف	Buffet
المصقلة	Guillotine
المضحة	Douche
النابض	Ressort

ومن هذا القبيل وضعه « النوام » لمرض النوم الذي حدث في أفريقيا .وأخيراً و « المداد » القلم الحبر المشهور وغير ذلك مما يصعب حصره

خليل خوري

مؤسس الصحافة العربية في سوريا

ولد سنة ١٨٣٦ وتوفي سنة ١٩٠٧ م

تمهيد في النهضة العلمية الحديثة ونصارى الشام

نريد بالنهضة العلمية الحديثة الانتقال الذي أصاب آداب اللغة العربية في القرن الماضي على اثر اختلاطنا باهل التمدن الحديث واقتباسنا علومهم المبنية على المشاهدة والاختبار واقتفائنا آثارهم في انشاء المطابع والجرائد وغيرها من عوامل هذا التمدن. وكان العلم قبل هذه النهضة لا يزال على النمط القديم الذي بني على انقاض التمدن اليوناني والفارسي منذ نيف والف سنة. فكان معولهم في الطب على ابن سينا والزهراوي وفي الحيوان على الجاحظ والدميري وفي الكيمياء على جابر والرازي وفي النبات على ابن البيطار وقس على ذلك سائر العلوم الطبيعية والرياضية. على انهم قلما كانوا يشتغلون بهذه العلوم وانما كان معوَّلهم في الاجيال الوسطى على العلوم اللسانية كالصرف والنحو والشعر وبعض العلوم الادبية. وكان ذلك قاصراً تقريباً على المسلمين — ولا سيما من حيث الشعر واللغة جرياً على سنة الاستمرار. ولما جاءنا التمدن الحديث وقد حمله الينا نصارى الغرب كان نصارى الشام اسبق الى اقتباسه من المسلمين

واذا أعملنا الفكرة في تاريخ هذه النهضة في الشام على الخصوص رأيناها مرت في نموها على ثلاثة اطوار: الاول يبدأ بدخول ابراهيم باشا الشام سنة ١٨٣٢ وينتهي بحادثة سنة ١٨٦٠ لان ابراهيم حمل معه غرض ابيه من التقريب بين الطوائف المختلفة ليجتمع العرب تحت لوائه وينصروه في تأييد دولته. والتفت الى نصارى الشام على الخصوص لقيام بعض رجالهم في نصرته. وكانت مصر قد سبقت سائر المشرق الى انشاء المدارس على النمط الحديث ولا سيما الطب. وكان مع ابراهيم جماعة من الاطباء المتخرجين في مدرسة الطب المصرية. وأراد مثل ذلك للسوريين فاجاز لهم ارسال عدد من ابنائهم الى مدرسة الطب المصرية يتعلمون فيها على نفقة حكومتها — جعل ذلك قاعدة متبعة لم تبطل الا من عهد قريب

لم تطل اقامة ابراهيم في الشام فخرج منها سنة ١٨٤٠ وخلف في نفوس أهلها احتراماً للعائلة الخديوية ورغبة في وادي النيل وشوقاً الى علومه فأمه كثيرون تلقوا فيه الطب وغيره وعادوا الى بلادهم ينشرون ثمار رقيهم بين اهليهم وذويهم. فحدثت

في نفوس القوم نهضة رافقها قدوم بعض جالية الافرنج من المبشرين وترغيب الناس في تعليم ابنائهم مجاناً فنبغ من نصارى الشام غير واحد من الادباء والشعراء كاليازجي الكبير وكرامة ومراش وحسون ودلال . وبعضهم اشتغل بالعلوم المصرية كالدكتور مشاقة بالشام وآخرون بالتاريخ كطنوس الشدياق ونبغ في هذا الطور ايضاً مارون النقاش واضع علم التمثيل في اللغة العربية

ويبدأ الطور الثاني بالحوادث المشؤمة التي أصابت بلاد الشام سنة ١٨٦٠ فاهتزت جوانبها وانتقل المصابون من اهلها الى بيروت وداخلت فرنسا في شؤونها ووجدت



(ش ٢٢) : خليل خوري

سائر الامم وسيلة لانفاذ المبشرين فابتنوا المدارس الكبرى وألفوا الجمعيات وطبعوا الكتب في العلوم الحديثة وغيرها فنشأت طائفة من الاطباء والعلماء والكتاب وأنشأوا الصحف وألفوا الكتب او نقلوها او لخصوها . وأصبحت بيروت مبعث العلوم العصرية ومنشأ رجال الصحافة وكتاب الادب والسياسة . وفي هذا الطور نبغ مؤسسو هذه النهضة وفيهم أشهر كتاب الشام وشعرائها في القرن الماضي كالبستاني واليازجي والشدياق وأديب ونقاش وشميل ونوفل ومشاقة وخوري وغيرهم وأكثرهم من المسيحيين اللبنانيين ووافق ذلك قيام اسماعيل على عرش الخديوية المصرية وقد رغب الناس في النزوح الى مصر ونشط اهل الادب فنزح اليها جماعة منهم أنشأوا فيها

الصحف ومثلوا الروايات وألفوا الكتب ونظموا الشعر . وينقضي هذا الطور بالانقلاب السياسي الذي أصاب مصر على أثر الحوادث العرابية

والطور الثالث يبدأ بالاحتلال الانكليزي بمصر لتكاثر الوفود من ادباء السوريين في أثنائه الى وادي النيل للعمل بالادب او التجارة او خدمة الحكومة او الزراعة او غيرها وكان لهم شأن كبير في الحركة العلمية والمالية والصحافية وكانت الهجرة في اول الامر قاصرة على المسيحيين ثم تطرقت الى المسلمين فهاجر منهم جماعة من الكتاب والعلماء لاسباب لا محل لها هنا . فكأن الشام في الطور الثالث من نهضتها قد تقهقرت الى الوراء او انها وقفت حيث كانت . ويمتاز هذا الطور في بيروت بنبوغ طائفة من ادباء المسلمين اشتغلوا بالصحافة والعلوم الحديثة فضلاً عن الادب والشعر

فالنهضة العلمية في الشام مرت على ثلاثة أطوار يبدأ كل منها بفتح او ثورة ولا تزال في الطور الثالث

خليل خوري

وُلد سنة ١٨٣٦ في الشويفات من أعمال لبنان ثم انتقلت عائلته الى بيروت مهجر اللبنانيين ولا سيما بعد دخولها في حوزة الدولة المصرية على عهد ابراهيم باشا . ولم يكن فيها مدارس كبرى فتلقى مبادىء العلم في بعض المدارس الطائفية للروم الارثوذكس على ما تأذن به احوال ذلك العصر . وكان فيه ذكاء ونشاط ونفسه تبغي العلى فطلب الرقي من طريق القلم ولا سبيل اليه يومئذ الا بخدمة الحكومة وهي عسيرة على غير المسلمين الا لمن تفقه بالعلم واتقن اللغة التركية . فاخذ يتعلمها وتعلم اللغة الفرنساوية على اساتذة مخصوصين حتى اتقنها تكلماً وكتابة . فتاقت نفسه للاشغال بالقلم فاقدم على الصحافة — وهو اول من فعل ذلك في الشام . فانشأ جريدة « حديقة الاخبار » سنة ١٨٥٧ قبل انقضاء الطور الاول من هذه النهضة وهو في الحادية والعشرين من عمره . وما زالت تصدر وحدها في بيروت حتى صدر الجنان للبستاني سنة ١٨٧٠ وظلت الحديقة تصدر الى سنة ١٩٠٦ فاوقفها مراعاة لصحته

وافضت مصر الى سعيد باشا سنة ١٨٥٤ وشخص الى الشام سنة ١٨٥٩ وأقام في بيروت ثلاثة ايام فاحتفل به وجهاؤها وكان اذا مشى في الطرقات نثر الذهب على الناس فاحبوه ورغبوا في بلده . ولا يقدم على ذلك غير الاديب الهمام فشخص صاحب الترجمة الى مصر وكان ينظم الشعر من صباه فنظم قصيدتين رفعهما الى سعيد باشا وحظي بمقابلته فاعجبه أدبه وذكاؤه فعهد اليه ان يؤلف كتاباً في تاريخ مصر . فعاد الى سوريا والحرب الاهلية ناشبة أظفارها وقد جرت المذابح في دمشق وحاصبيا ودير القمر

وغيرها والف الباب العالي لجنة دوليـة مندوبها العثماني فؤاد باشا الشهير فاحتاج الى رجل يحسن التفاهم بينه وبين الناس فوقع اختياره على صاحب الترجمة فتعين في معيته وكان رفيقه في مهمته . ولما رجع فؤاد ظل خليل بمعية قبولي باشا الى الفراغ من تلك المهمة

وكان في اثناء ذلك يشتغل بتأليف تاريخ مصر ففرغ منه سنة ١٨٦٤ وقد صارت الخديوية الى اسماعيل باشا فحمل الكتاب اليه فاجازه بألفي جنيه . ولم نقف على ذلك الكتاب ولا سمعنا به قبل البحث عن ترجمة هذا الفقيد . وعاد خليل الى سوريا وقد أصبح موضع اعجاب رجال الدولة فجعلت الحكومة جريدته رسمية لنشر أوامرها وأخبارها . ولما انشئت مطبعة سوريا وجريدتها عهدت اليه بادراتهما وأوعزت اليه حكومة لبنان على عهد فرنكو باشا ان يصدر جريدته باللغتين العربيـة والفرنساوية وبذلت في مقابل ذلك ثلاثة آلاف قرش كل شهر . وعهدت اليه الحكومة العثمانية بتفتيش المدارس غير المسلمة في سوريا وعينته مديراً للمطبوعات وهي توالي عليه الانعام بالرتب والنياشين . ثم عينته سنة ١٨٨٠ مديراً للامور الاجنبية في ولاية سوريا وظل في هذا المنصب حتى احيل على المعاش قبيل وفاته

وكان له شقيق اديب اسمه سليم فيه نشاط اخيه وذكاؤه فاشترك مع سميه المرحوم سليم شحادة في تأليف معجم مطول في التاريخ الجغرافية لو تم لكان أحسن ذخيرة لآداب اللغة العربية سمياه آثار الادهار . فتوفي سليم الخوري سنة ١٨٧٥ ولم يصدر من الكتاب الا بضعة اجزاء فتوقف العمل . وكانت تلك الوفاة صدمة قوية على صاحب الترجمة وخسارة كبيرة على اللغة العربية

صفاته وأعماله

كان رحمه الله طويل القامة حيوي المزاج قوي البنية ابيض اللون اشهل العينين اسود الشعر بشوشاً مع هيبة ووقار . وكان دمث الاخلاق حسن المحاضرة رقيق الجانب ميالاً الى البساطة بعيداً عن الابهة والبهرجة رحب الصدر متوقد الذهن سريع الخاطر رقيق الاحساس وتظهر رقة شعوره على الخصوص في شعره الغزلي . وكان وجيهاً حسن الوفادة بيته منزل الولاة والوزراء يرتاحون فيه من عناء الاسفار . وله صداقة مع رجال الدولة وكلمته نافذة عندهم ونال الاوسمة والنياشين من معظم دول اوربا فضلاً عن رتب الدولة العلية ونياشينها

وجمع الى الوجاهة والسياسة الادب والشعر فرافق هذه النهضة من أولها وكان له شأن في أكثر عواملها . فقد رأيت انه مؤسس الصحافة السورية وقد انشأ مطبعة

نشر فيها عدة كتب وهو من مؤسسي الشعر العصري وكان شاعراً مطبوعاً يميل بشعره الى السهولة والرشاقة وقد نظم الشعر في صباه وشبابه وكهولته وشيخوخته وله عدة دواوين مطبوعة أكثرها في الغزل والمديح والتهنئة والرثاء . وأكثر مدحه للسلاطين ورجال الدولة ولذلك سموه شاعر الدولة وكان لطريقته بالشعر العصري وقع حسن لدى المستشرق رينو الفرنساوي فنقل مثالا منها الى اللغة الفرنساوية نشره في المجلة الاسيوية الفرنساوية وفي الديبا وغيرها . وذكره لامارتين الفرنساوي الشهير في مؤلفاته واثنى عليه وأظهر اعجابه به وكانت بينهما صداقة ومراسلة . على انه كان صديقاً لكثيرين من أدباء معاصريه من شعراء الترك والفرس والعرب . وأشهر دواوينه زهر الربى والعصر الجديد والسمير الامين والشاديات والنفحات وكلها مطبوعة وتحتوي على ما نظمه الى سنة ١٨٨٤ اما منظوماته بعد ذلك فهي مجموعة في ديوان كبير لم يطبع ويمتاز عن سائر الشعراء انه لم يستجد بشعره قط ولولا ضيق المقام لاتينا بامثلة من منظومه واحسنه في النسيب

وله فضلاً عن الشعر كتب ومقالات في مواضيع شتى أكثرها منشور في جريدته ومنها رواية النعمان وحنظلة المشهورة وهي التي نظمها بعد ذلك المرحوم الشيخ خليل اليازجي وسماها المروءة والوفاء وترجمها الى الفرنساوية ميشيل بك مرسق . وله رواية اجتماعية اخلاقية نشرها في الحديقة اسمها « وي اذن لست بافرنجي » وترجم عن التركية كتاب تكملة العبر لصبحي باشا وهو تتمة تاريخ ابن خلدون وطبعه . وتولى ادارة ترجمة الدستور التي قام بها المرحوم نوفل نوفل وطبع مجلديه الاول والثاني ونشر عدة كتب مفيدة . وله خطب كثيرة بعضها غير مطبوع وكان منشطاً للمشروعات الادبية الخيرية من الجمعيات او المدارس او الصحف او غيرها

ولصاحب الترجمة حادثة غريبة في زواجه يندر اتفاقها — وذلك انه احب في شبابه نحو سنة ١٨٦٠ سيدة فاضلة من آل بسترس اسمها كاتبة ابنة موسى بسترس وكانت من العلم والادب على جانب عظيم وقد حال اهلها دون اقترانهما وزفت كاتبة الى وجيه من آل نوفل ثم توفيت ولها منه ابنتان فتزوج خليل احداهما «ظافر» سنة ١٨٨٧ ولم تعش معه الا سنة رحمها الله

رزق الله حسون الحلبي

ولد سنة ١٨٢٥ وتوفي سنة ١٨٨٠

نشأت أسرة حسون الارمنية في بلاد العجم وقيل في ديار بكر وقد أشار المترجم الى هذا في قوله من قصيدة

ديار كرج وارمن وطني قبل انتقال أبي الى أخرى

فجاء جدها الاعلى وسكن حلب وولد أولاداً ذهب احدهم الى مدينة أزمير فبقي اسم اولاده اولا بني حسون ثم عرفوا ببني حاب أوغلي (أي أولاد حلب) وهم فيها بهذا الاسم الاخير الى عهدنا . وذهب احدهم الى الاستانة قبل تغيير اسمهم (حسون) وبقيت سلالته فيها باسم بني حسون الى عهدنا ومنهم نشأ البطريرك حسونيان (وزيادة الياء والالف والنون من اصطلاحات اللغة الارمنية) وكان من رجال الفضل والعلم ولا تزال بقية أسرته في الاستانة الى يومنا . وذهب احد اولاد حسون الجد الاعلى المذكور الى القطر المصري . اما ولده الاخر فبقي في حلب ومن اسرته ولد المترجم نحو سنة ١٨٢٥ فتعلم فيها مبادىء القراءة واتقن الخط على الشيخ سعيد الاسود الحلبي الشهير بجودة خطه وما ترعرع حتى انتقل الى دير بزمار وهو دير لرهبنة الارمن الكاثوليك الانطونية وفيه مقر الرئيس العام وموقعه في ساحل كسروان من أعمال لبنان فدرس العلوم اللاهوتية واللغات الفرنسية والتركية والارمنية والعربية والعلوم الرياضية وكان نابغة في جودة حفظه وذكائه حتى انه نظم الشعر وهو تلميذ . وذلك أنه لما استقدم المطران باسيليوس عيواظ الى دير بزمار ليُسام فيها أسقفاً على الارمن في حلب وتمت سيامته في ٤ فبراير سنة ١٨٣٨ انشده رزق الله قصيدة من نظمه وهو في الثالثة عشرة من عمره

ولما أتم دروسه في بزمار عاد الى مسقط رأسه حلب وكان يمارس التجارة لان والده كان غنياً وكثيراً ما كان يختلف الى دار قنصلية النمسا في حلب حيث كان والده ترجماناً فيها فيتمرن على أعمال الترجمة في القنصلية

ثم نزعت نفسه الى طلب العلى فذهب الى اوربا وطاف في لندن وباريس وجاء مصر واستنسخ كتباً كثيرة لانه كان ولوعاً بالمطالعة كثير الميل الى صناعة الخط التي عرف بيتهم بها كما اشار الى ذلك بقوله من قصيد :

لا خاملاً لا دنياً منشاي حلب فسل وهاك بفضلي يشهد القلمُ

ثم عاد الى الاستانة وتقرب من رجالها ونال منزلة عندهم واتخذه الحاج ابو بكر اغا

القبافيي من كبار اغنيائها وتجارها واعيانها مدبراً لشؤونه ومؤتمناً على امواله وبواسطته استخدم في الحكومة وقد اتصل بالمرحوم يوسف جلبي الحجار وتزوج السيدة متيلدة ابنته سنة ١٨٤٨ وأرخ ذلك بطرس كرامة بقوله من ابيات

فلا زلتما طول الزمان بصحبةٍ وعيش رغيدٍ بردهُ الامنُ والرفدُ
زفاف سعيد والهناء مؤرخ موافٍ لرزق الله بالخير ماتدُ

وقد كانت بينه وبين أدباء عصره في سوريا ومصر والاستانة مراسلات ومساجلات ولا سيما وطنيه الشاعر نصر الله الطرابلسي المشهور وأحمد فارس الشدياق وبطرس كرامة وغيرهم ممن جاء بعدهم مثل فرنسيس مراش وشقيقه عبد الله وجبرائيل الدلال وشقيقه نصر الله من مواطنيه والقس لويس الصابونجي وديمتري شحاده الدمشقي والمطران اغابيوس صليبا الارثوذكسي وخليل الخوري وغيرهم

ولقد عرف رؤساء الاساقفة بعهده ومدحهم من ذلك ابيات موجودة بخطه في دار بطريركية الروم الكاثوليك بدمشق مدح بها الطيب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم الحلبي الشهير سنة ١٨٤٢ (١٢٥٢ هـ) . مطلعها

صرفت كربة من ناجاك مبتهلاً ولم تُرد صرف من يحوك ذا بدِ

وقال من قصيدة مدح بها الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد الماروني الشهير

امامٌ على سرِّ الاله أمينُ أضاءت بنور من سناهُ دجون
بدا علماً في اوج لبنان للهدى ولبنان للدين القويم عرينُ
سميُّ الاناء المصطفى نعتهُ الصفا على نسج اسلاف طوتهُ قرون
هو البطريرك الندب بولس ذو الحجى وكعبة فضل للزمان جبين

وختمها بقوله :

ودونكمُ نظم ابن حسُّون فائقاً بمعنى وألفاظ لهنَّ رنين

ومن ذلك ما بعث به الى صديقه بطرس كرامة شاعر الامير بشير الشهير من قصيدة ذكرت في ديوانه صفحة ٣٨٥ منها :

خدين المعالي وابن بجدتها الفرد بقيتَ بقاء الدهر يخدمك السعدُ
وزادك رب العرش اسنى كرامة قرين بها الاقبال والفخر والمجدُ
ولازلت في امن وموفور نعمة وعن اياد كسبها الشكر والحمدُ
وبعد فقد طال البعاد ومهجتي يكاد من الاشواق يضرمها الوجد
فابغي للاطمئنان منكم ألوكة اذا لم يكن منكم قدومٌ هو القصد

فاجابه بطرس كرامة بابيات تجدها في ديوانه ومنها قوله

فلا تحسبوا بعدي بعاداً وانما وداديَ لكم قرباً وبعداً هو الودُّ
واني لارجو كل يوم لقاكم ولكن دهري شأنه المنع والصد
فلا زلت رزق الله خدن كرامة ويصحبك التوفيق والعز والسعد

ولما انشبت حرب القرم بين روسيا والدولة العلية وتداخلت فيها الدول المتعاهدة منحازة الى دولتنا سنة ١٨٥٤ انشأ المترجم جريدة « مرآة الاحوال » في دار السعادة فكانت اول جريدة عربية فيها وكان يصف فيها حرب القرم ومواقعها ويكتب الفصول السياسية الدالة على حنكته ويتطرق الى وصف احوال بلادنا ولا سيما بعلبك ولبنان وحاصبيا وما كان يجري فيها اذ ذاك من الفتن الاهلية فذاعت جريدته شهرة وزادت نجاحاً بعد ذلك الى ان عطلها

ولما نشبت حوادث سنة ١٨٦٠ في سوريا وسفكت الدماء وتفاقم الخطب وجاء فؤاد باشا لاصلاح ذات البين كان صاحب الترجمة من رجاله اتخذه لتعريب المناشير والاوامر التي يصدرها للشعب . وكان قد نال لديه حظوة ايام كان وزيراً للخارجية في اثناء حرب القرم ومدحه في جريدته المرآة واثنى على بسالته حينما كان قيماً على الجند بقيادة عمر باشا النمساوي في حرب القرم

واتصل وهو في دمشق بالامير عبد القادر الجزائري الشهير وله فيه مدائح كثيرة نشر بعضها في كتابه النفثات الذي قدمه له وتبادل المودة مع ادباء بيروت ودمشق ولبنان

وعثر وهو في دمشق على كثير من الكتب المخطوطة القديمة واحرزها ومن جملتها انجيل عربي وجده في قرية عين التينة قرب معلولا في جبل القلمون نسخ سنة ٧٠٤٥ لآدم و٩٤٧ هـ (١٥٤٠ م) فاهداها الى المرحوم متري شحادة الدمشقي لما كان في القسطنطينية سنة ١٨٦٣ وهو الآن في مكتبة البطريركية الارثوذكسية في دمشق عدد صفحاته ١٠٠٦ وخطه كنسيّ جميل . وقد تفقد مكاتب دمشق القديمة ووقف على نوادر مخطوطاتها ونسخ بعض تعاليق مفيدة عنها كان يفيد بها المستشرقين بعد ذهابه الى اوربا

ولما عاد فؤاد باشا الى الاستانة نائلاً منصب الصدارة العظمى سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦١ م) نال المترجم حظوة لديه فكان من خاصته . ولم يلبث فؤاد باشا ان صار عضواً في مجلس الاحكام العدلية في السنة الثانية من صدارته وذهب الى معرض مدينة لندن معتمداً عثمانياً سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م) فاخذ المترجم معه . ولما عاد الى الاستانة أعاده معه فرقاه الى نظارة جمارك الدخان فكثر حساده ومناوئوه واشتد الامر بينه وبينهم فوشي به انه رمي بالغلول في مال الجمارك هو وبعض المستخدمين

فسجن معهم ثم فرَّ الى روسيا وهناك أطلق لسانه بالانتقاد على الحكومة والف رسالة بعنوان « قول من رزق الله حسون يبرىء نفسه من الفلول » وذكر البعض انه انشأ جريدة في فرنسا لهذه الغاية وذلك غير ثبت الاَّ اذا كان قد أعاد نشر جريدة مرآة الاحوال . ثم توسط في امره فقبلت الحكومة ان ترسل اليه اسرته أي زوجته وأولاده فلم يقبل الا بجميع مطاليبه منها فاوغر صدر السلطان عبد العزيز عليه . فطلب من الحكومة ان تمنعه عن التنديد بالدولة فلم يصخ لها سمعاً بل غادرها وحل لندن وأصدر فيها جريدته مرآة الاحوال وخصها بالشكوى من أعمال بعض موظفي الحكومة لعهده . وقد رأيت منها العدد السادس عشر بتاريخ ١٨ كانون الثاني سنة ١٨٧٧ مكتوباً بخطه الجميل مطبوعاً على الحجر وفيه مقالات سياسية بليغة وكان يكتب فيها كثير من أدباء عصره ومواطنيه ولا سيما المرحومان جبرائيل الدلال وعبد الله المراش شقيق الشاعر الشهير فرنسيس مراش . وكان قد أصدر مجلة عربية عنوانها « رجوم وغساق الى فارس الشدياق » نشر منها عددين في لندن الاول في ٤ ايار سنة ١٨٦٨ في ١٤ صفحة صغيرة والثاني ٢٥ ايار سنة ١٨٦٨.وذلك رداً على المرحوم احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب على أثر ما حدث بينهما من الخصام الشديد وكانا يتناظران مناظرات موجعة شديدة اللهجة . وكان يبيع من مرآة الاحوال في سنتها الاولى في لندن ٤٥٠ نسخة

ثم عطل مرآة الاحوال ونشر مجلة عربية طبعت في لندن سنة ١٨٧٩ كانت تصدر كل خمسة عشر يوماً مرة عنوانها « حل المسألتين الشرقية والمصرية » وهي اول مجلة عربية شعرية لانها كانت قصائد تبحث في هذه المواضيع فاجتمع منها مجلد بقطع ربع في أكثر من ثلاث مائة صفحة

ثم انقطع بعد ذلك الى النسخ والاشتغال بتصحيح حروف الطباعة العربية في اوربا ومساعدة كثير من المستشرقين حتى بلغ ما استنسخه من نفائس الكتب أكثر من عشرين أهمها ديوان الاخطل وديوان ذي الرمة ونقائض جرير والفرزدق وصبح الاعشى في صناعة الانشا للقلقشندي والمتمم لابن درستويه والاناجيل المقدسة ترجمة ابي الغيث الدبسي الحلبي وديوان حاتم الطائي وهذا طبعه كما سيجيء . ولا تزال بعض مخطوطاته في مكاتب روسيا وفرنسا وانكلترا حيث كان يتردد بين هذه الممالك وجاء حلب قبل وفاته بسبع سنوات متنكراً فتفقد مكاتبها واستنسخ منها بعض الآثار

النادرة ثم عاد الى انكلترا التي اتخذ معظم سكناه فيها ولا سيما قرية وندسورث حيث تفرغ لوضع كتبه وطبعها

وعلى الجملة فان رزق الله حسون كان سياسياً حراً يرغب في اصلاح الدولة العثمانية ويذهب مذهب كبار أحرارها كمدحت باشا وأعوانه ولما ذهب مدحت باشا الى لندن قابله فيها وسرَّ به ولا صحة لما شاع من انه سعى في قتله

أما منزلته الادبية فان نثره من النمط العالي المتين وسجعه كثير ينحو فيه نحو الاقدمين . وشعره يدلُّ كثير منه على طبيعته ولكنه كان قليل التدقيق في الاوزان ومراعاة الاصول الصرفية والنحوية فيشبع الحروف التي لم يرد مسوّغ لاشباعها ويسكن ويحرّك ويختار القوافي الصعبة وهذا التكلف ظاهر في كتابه « أشعر الشعر » . ومع هذا فان بين قصائده فرائد بليغة المعنى فصيحة اللفظ متينة القوافي تعد من الطبقة العليا في الشعر . وقد خرج في بعض القصائد عن الطرق المألوفة فلم يتقيد بقافية كما ترى في كتابه « اشعر الشعر » وكثيراً ما يميل الى الالفاظ المهجورة . وبقي بين المحابر والاقلام الى ان توفي فجأة في مدينة لندن وقيل انه توفي مسموماً وذلك نحو سنة ١٨٨٠ غريباً عن اسرته التي بقيت في الاستانة وولده البير الوحيد حيٌّ فيها ولما شعر بدنو اجله نظم احتضاره (على أصح الروايات التي محصتها) بهذين البيتين

قد قضى الله ان اموت غريباً في بلادٍ أساق كرهاً اليها
وبقابي مخدرات معانٍ نزلت آية الحجاب عليها

وقد اتقن فوق اللغات التي تلقنها في بزمار وبرع بها اللغة الانكليزية وألمَّ بالروسية . وأهم ما وصلت اليه يد البحث من مؤلفاته ومطبوعاته هو :

(١) النفثات : وهو قسمان اولهما في تعريب قصص كريلوف شاعر الصقالبة التي وضعها على طريقة بيدبا الهندي في كليلة ودمنة ولافونتين الفرنسي في خرافاته ولقمان في حكاياته وما شاكل . عربها نظماً في ٤١ قصة تقع في ٦٩ صفحة بقطع ربع وألحق بها نخبة من منظوماته من تواريخ واوصاف ومدائح وشكوى وبينها قطعة عرَّض فيها بالشيخ احمد فارس الشدياق حتى ان الشدياق لما انتهت اليه قال فيها عبارته الشهيرة « كان حسون لصاً وله سرقات فاصبح صلاً وله النفثات » وجميع هذا الكتاب يقع في ٨٤ صفحة وقدمه للمرحوم عبد القادر الجزائري نزيل دمشق وطبعه في لندن سنة ١٨٦٧

(٢) اشعر الشعر : وهو نظم سفر ايوب الصديق في ٧٤ صفحة بقطع ربع

فرغ في ٢٩ نيسان سنة ١٨٦٩ م وهو في وندسورث (انكلترا) . ثم نشيد موسى النبي . ثم سفر الجامعة ونشيد الانشاد لسليمان الحكيم ومراثي ارميا النبي وهذه بدأ بنظمها في ٢٨ نيسان سنة ١٨٦٩ واتمها في ٣ ايار . والكتاب يقع جميعه في ١٣٦ صفحة وهو مطبوع في المطبعة الاميركية ببيروت سنة ١٨٧٠ . ووضع في أوله مقدمة قال فيها ان ايوب وهوميروس وشكسبير اشعر الخلق . وأشار الى نظمه سفر ايوب في ايام اعتقاله وانه نظم الفصل الثامن عشر منه على أسلوب الشعر القديم بلا قافية . وقد كتب بعض الفصل نثراً بليغاً وربما ابقى بين ما نظمه في بعضها فقرات نثرية . وفي أشعر الشعر من الركاكة والجوازات الشعرية ما يدل على اضطراب بال المؤلف بين نظمه وسرعة اعداد بعض الاسفار الاخرى فلم تمسه يد النقد ولا جال فيه خاطر التهذيب

(٣) السيرة السيدية : وهو عبارة عن مزج الاناجيل الاربعة المعروفة بالبشائر. طبع بمطبعة الاميركان في بيروت في ١٩٠ صفحة

(٤) رسالة مختصرة في الطباعة العربية والاقتصاد فيها مادياً ووقتاً وقد وجدت منها نسخة بخطه الجميل في مكتبة اسقفية الارثوذكس بحلب فاستنسختها وسأنشرها قريباً لفوائدها

(٥) ديوان حاتم الطائي المشهور بكرمه استنسخه عن نسخة قديمة وطبعه في لندن سنة ١٨٧٢ في ٣٣ صفحة

(٦) كتاب المشمرات . طبع في سانباولو من أعمال البرازيل سعت بطبعه ادارة جريدة المناظر منذ بضع سنوات

(٧) حسر الثام وهو كتاب جدلي تمَّ تأليفه سنة ١٨٥٩ ولا أظنه طبع

ولقد ذكر المترجم كثيرون من المستشرقين وآخرهم تناء عليه المسيو كليمان هوار الفرنسي في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية وقد اقتصر على ذكر كتابه النفثات وجريدته مرآة الاحوال في لندن ولم يذكر نشأتها في الاستانة .

(المقتطف) عيسى اسكندر المعلوف

*

سائر رجال العلم والادب

محمد علي باشا الحكيم

رئيس المدرسة الطبية المصرية وكبير جراحيها

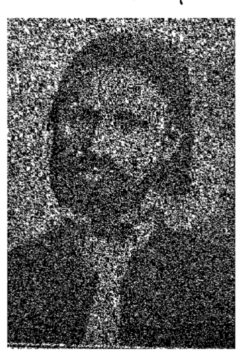
ولد سنة ١٢٢٨ وتوفي سنة ١٢٩٣ هـ

هو السيد محمد علي بن السيد علي الفقيه البقلي بن السيد محمد الفقيه البقلي وُلد في زاوية البقلي التابعة لمديرية المنوفية سنة ١٢٢٨ هـ ونشأ فيها حتى ترعرع فادخله أهله مكتباً في تلك البلدة فتعلم مبادىء الكتابة وقرأ القرآن . فلما بلغ التاسعة من سنه جاء به احمد افندي البقلي الى القاهرة وادخله مدرسة أبي زعبل التي كان قد بناها المغفور له محمد علي باشا الكبير في قرية ابي زعبل وفيها مكتب ديواني فمكث فيه ثلاث سنين اتم فيها قراءة القرآن وتلقى بعض مبادىء العلوم اللغوية فنقله الى المدرسة التجهيزية هناك فمكث فيها أيضاً ثلاث سنين فاظهر من الذكاء والاجتهاد ما حبب به اساتذته لانه كان ممتازاً عن سائر ابناء صفه راغباً في العلم فنقلوه الى مدرسة الطب وكانت تحت ادارة المرحوم كلوت بك محيي العلوم الطبية في الديار المصرية . ففاق اقرانه وظهرت فيه مخائل النجابة وحدة الذهن حتى اذا صدر أمر محمد علي باشا بارسال نخبة من تلامذة تلك المدرسة الى باريس للتبحر في العلوم الطبية كان صاحب الترجمة في جملة المنتخبين وعددهم اثنا عشر شاباً وقد اتموا دراسة الفنون الطبية وفيهم من نال رتبة اليوزباشية

وكان راتب السيد محمد علي عند سفرته هذه مئة وخمسين قرشاً فاوصى بخمسين منها لوالدته وابقى لنفسه مئة . فدخل مدرسة باريس الطبية وبذل غاية جهده في تحصيل علومها فنال حظاً وافراً من سائر علوم الطب والجراحة وشهد له اساتذته بالامتياز على سائر رفاقه مع انه كان أصغرهم سناً وما زالوا في تلك المدرسة حتى اتموا دروسهم وقدموا امتحاناتهم الشفاهية ولم يبق عليهم الا الامتحان الخطي وهو عبارة عن تأليف رسالة في الطب يقترحها عليهم الاساتذة فوردت عليهم الاوامر بالعود الى مصر فعادوا فاذا بذلك الامر قد صدر لهم سهواً بغير علم العزيز فامر بعودتهم باريس لاتمام الامتحان ونيل الشهادة الطبية فعادوا اليها فامتحنوهم خطاً فألف المترجم رسالة طبية في الرمد الصديدي المصري وقعت وقعاً حسناً لدى اساتذته فمنحوه الشهادة وعاد الى مصر سنة ١٢٥٣ هـ

وكانت شهرته قد سبقته اليها فتعين حال وصوله باش جراح واستاذاً للعمليات الجراحية الكبرى والصغرى والتشريح الجراحي وانعم عليه محمد علي باشا اذ ذاك برتبة صاغقول آغاسي ولم تمض مدة حتى نال رتبة بكباشي

فلما كانت ولاية المغفور له عباس باشا الاول حصلت بينه وبين بعض اطباء المستشفى الاوربي منافسة فأمر بنقله الى ثمن قوصون من أثمان القاهرة ليتولى التطبيب فيه على نفقة الحكومة وكان قد ذاع صيته بين الناس فتحول المرضى من مستشفى قصر العيني الى ثمن قوصون وزاد اشتهاره بالفنون الطبية وخصوصاً الجراحة وما زال يطبب في ذلك الثمن خمس سنين متوالية فأنعم عليه برتبة قائمقام وتعين رئيساً لاطباء الآلايات



ش ٢٣ : محمد علي باشا الحكيم

السعيدية . ولكنه لم يمكث في ذلك المنصب الا قليلاً فاعتزل المناصب ولزم منزله سنة ثم تعين رئيساً لجراحي قصر العيني واستاذاً للجراحة ووكيلاً المستشفى والمدرسة الطبية فقام بمهام أعماله حق القيام فأنعم عليه برتبة أميرالاي . وكان ذلك في عهد المغفور له سعيد باشا فقربه منه وجعله حكيمه الخاص وادخله في معيته مع بقائه في مناصبه المشار اليها ثم أحسن اليه برتبة المتمايز فلما سافر سعيد باشا الى أوربا سار صاحب الترجمة في معيته ولما توفي سعيد باشا وتولى المغفور له اسماعيل باشا الخديوي الاسبق تعين المترجم رئيساً للمستشفى والمدرسة الطبية . وفي سنة ١٢٩٠ هـ نال الرتبة الاولى من الصنف

الثاني وفي آخر سنة ١٢٩٢ هـ لزم بيته وانقطع عن الاعمال ولم يعلم سبب ذلك . فلما كانت الحرب بين مصر والحبشة سار رحمه الله في الحملة المصرية التي سافرت الى الحبشة برفقة المرحوم البرنس حسن باشا عم الجناب الخديوي فخدم الجنود المصرية هناك خدماً يذكرها له العارفون ولكن أجله عاجله في الحبشة فتوفي هناك سنة ١٢٩٣ هـ (سنة ١٨٧٧ م) ولم يعلم أحد مكان ضريحه . على أن لهم في ذلك أقوالا مختلفة نذكر منها رواية كتب بها الينا حضرة مصطفى افندي صبري قومندان حملة طوكر في ذيل كتاب اقترح فيه نشر ترجمة صاحب الترجمة وهاك نصها قال :

« ومما يهمني ذكره ليطلع عليه أبناء وطني انه بلغني من بعض الاحباش أن الفقيد تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه قد أقيم له قبر بالحبشة ببلدة تسمى جراع مابين عدوى وأسمرة الا انها أقرب الى هذه من تلك وقد شيدوا فوق القبر قبة عظيمة يزوره فيها الاحباش على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم ويقيمون له الدعوات وليس ذلك الا تعظيما له وتخليداً لذكره مع علمهم بانه كان في مدة حياته سفاكاً لدمائهم راغباً في سلب املاكهم وان يكن في ذلك مأموراً لا آمراً . وهي خدمة يستحق عليها أهل الحبشة الشكر والثناء لقيامهم بواجب قصر عنه ابناء جنسه وخصوصاً الذين ارتشفوا من بحر علومه»

وكان رحمه الله حائزاً للنيشان المجيدي من الرتبة الثالثة ناله مكافأة لما بذله من الجهد وأظهره من الشهامة في حوادث الهواء الاصفر سنة ١٨٦٥ م وله في الطب مؤلفات حسنة منها كتاب في العمليات الجراحية الكبرى وضعه في اللغة العربية في مجلدين وسماه « غاية الفلاح في أعمال الجراح » وكتاب في الجراحة أيضاً في ثلاثة أجزاء وباشر تأليف قانون في الطب وقانون في الالفاظ الشرعية والمصطلحات السياسية ولم يمهله الاجل لاتمامها

وكان محباً لوطنه راغباً في ترقية شأنه عاملاً على بث العلوم والمعارف بين أبنائه غيوراً على الفقراء طويل الاناة في معالجتهم لا يلتمس على ذلك أجراً . ومما يذكره له العارفون أن معظم اساتذة الطب ومن تولى رئاسة المدرسة الطبية بعده هم من تلامذته وقد سمعنا الثناء عليه من جماعة كبيرة من الاطباء المصريين وغيرهم وامتدحوا مهارته بنوع خاص في الفنون الجراحية . وقد اعقب أولاداً نجباء عرفنا منهم الدكتور احمد باشا حمدي

*

ماريت باشا

مؤسس المتحف المصري

ولد سنة ١٨٢١ وتوفي سنة ١٨٨٠ م

(الآثار المصرية) ما برحت مصر منذ أجيال متطاولة مطمحاً لانظار الرواد والمستطلعين من سائر الامم والشعوب على اختلاف الزمان والمكان ينظرون في آثارها ويعجبون لما خلفه الفراعنة من الهياكل والاهرام والمدافن والاصنام مما يستوقف الطرف ويبهر العقل ولم يكد يقوم مؤرخ عمومي قبل المسيح أو بعده الا ذكر آثار المصريين وأعجب بضخامتها وبعد عهدها. واشهر هؤلاء المؤرخين هيرودوتس واسترابون وغيرهما من مؤرخي اليونان والرومان. أما العرب فقد ذكرها كثيرون منهم كالمسعودي وابن الاثير وابن خلدون وعبد اللطيف البغدادي ولكن هذا الاخير جاء الديار المصرية بنفسه في القرن السادس للهجرة فتفقد تلك الآثار وافاض في وصفها واكثر من الاعجاب بضخامتها ودقة صنعها مما تراه مفصلا في كتابه « الافادة والاعتبار » ناهيك عن كان يتقاطر اليها من جالية الافرنج في القرون الاخيرة وخصوصاً بعد أن وطئها نابوليون بونابرت

ويرى الناظر في ما كتبه هؤلاء انها كانت في أقدم الازمنة اكثر عدداً واكبر مساحة مما هي عليه الآن وان الدول التي توالت على مصر بعد الفراعنة كانت تستخدم كثيراً من أحجارها في ما بنته من القصور والكنائس والجوامع حتى كثيراً ما تعمدوا هدمها لغير نفع يرجونه من انقاضها كما فعل الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين فامر بهدم الاهرام العظمى بدأ بالصغير منها فاخرج اليه النقابين والحجارين قضوا ثمانية أشهر يعملون بكرة وأصيلا فلم يهدموا الا جزءا صغيراً فكفوا عن العمل

ومن هذا القبيل ما فعله بهاء الدين قراقوش وزير السلطان صلاح الدين فانه نقل كثيراً من انقاض الاهرام وغيرها فبنى بها سوراً يحيط بالفسطاط والقاهرة

وبالجملة فقد كانت تلك الآثار عرضة للهدم والنقب اجيالاً متوالية . فضلاً عما كان يأتيه عامة المصريين وغيرهم من التنقيب عن الكنوز والمطالب فيفتحون القبور يستخرجون منها الذهب والفضة والانية من النحاس وغيره وكثيراً ما كانوا يبيعون قطع المومياء والمحنطات الاخرى بيعاً بخساً . وقد ذكر البغدادي ما يؤيد ذلك بقوله « وأما ما يوجد في أجوافهم وادمغتهم مما يسمونه مومياء فكثير جداً يجلبه أهل الريف

الى المدينة ويباع بالشيء النـذر ولقد اشتريت ثلاثة ارؤس مملوءة منه بنصف درهم مصري واراني بائع جواليق مملوءًا من ذلك وكان فيه الصدر والبطن وحشوه الخ »

وناهيك بما كان يتعمده بعضهم من السرقة والنهب وا كثر ما سرق منها في هذا القرن على اثر انتباه الافرنج لحفظ الآثار فكانت فرنسا او انكلترا او غيرها تبعث بالنقابين على نفقاتها يستخرجون ما في جوف الهياكل من التماثيل او المومياء او المصاغ او غيره فيحملونه الى متاحفهم او معارضهم . واول من نبه الاذهان الى ذلك اللجنة العلمية التي رافقت حملة بونابرت ولم يكن يهم الافرنج قبل ذلك من الآثار الا ما يتعلق منها بصناعة البناء كالاهرام وابي الهول ونحوها لجهلهم الكتابة الهيروغليفية وقد كانوا



ش ٢٤ : ماريت باشا

يظنونها رسوماً لا معنى لها حتى اتيح لشامبليون حل رموزها فعرف الناس قدر تلك الآثار فتسابقت دول اوربا الى احرازها لا يدخرون وسعاً في ذلك ولو استطاعوا حمل الاهرام والهياكل لنقلوها . واذا زرت متحف لندرا او باريس او غيرهما الآن رأيت فيها من الآثار المصرية شيئاً كثيراً وفيه ما لو بيع جاء بالملايين من الجنيهات . وما زالت الحال على ما تقدم حتى تولى المغفور له محمد علي باشا فانتبه في اواخر حكمه الى ما يترتب على ذلك من الخسائر الفادحة فاصدر امراً بمنع الافرنج من حمل هذه الآثار

الى بلادهم على انهم كانوا يحملونها خاسة فقيض لها الله المرحوم ماريت باشا فجمع ما بقي من شتاتها في بناء سماه المتحف المصري كما سيجيء

﴿ ماريت باشا ﴾ هو فرانسوا اوغست فرديناند ماريت وُلد في بولون سيرمير من أعمال فرنسا في ١١ فبراير سنة ١٨٢١ وكان ابوه رئيساً في بعض دوائر الحكومة فكان يجب أن ينشأ ماريت مرشحاً لمثل هذه الخدمة ولكنه نشأ ميالاً الى الاسفار محباً للاكتشاف منذ نعومة أظفاره فاتفق له قبل ان يدرك الحلم انه دخل دهليزاً تحت الارض في بولون لا يعرف آخره فحدثته نفسه ان يتبعه الى آخره فما زال سائراً حتى خرج من طرفه الاخر

وكانت عائلته في ضيق من دنياها فاسرع في العمل لمساعدتها فتعين سنة ١٨٣٩ معلماً للرسم واللغة الفرنساوية في مدرسة استرافورد بانكلترا وهو لم يتم دروسه بعد فنمت فيه موهبة الرسم العملي ولكن ميله الى العلم تغلب عليه فعاد الى بولون لنيل رتبة البكلورية ونظراً لضيق ذات يده اضطر لمعاطاة مهنة التعليم لتحصيل ما يقوم بنفقات التعلم . ولكنه ملَّ هذه المهنة ولم تعد نفسه تطيق الاعراب والنحو وطمحت انظاره نحو العلى فاحب صناعة الكتابة فتولى تحرير جريدة فرنساوية اسمها الشارح البولوني (Annotateur Boulonnais) فاشتهر بحسن الاسلوب في الانشاء

وكان الرحالة المسيو دينون رفيق حملة بونابرت الى مصر قد أهدى الى متحف بولون سنة ١٨٤٧ تابوتاً مصرياً فيه مومياء فاتفق لماريت انه رأى ما على التابوت من الصور الهيروغليفية فتاقت نفسه الى حل رموزها فاستعان بكتابين لشامبليون احدهما في نحو اللغة الهيروغليفية والاخر معجم لحل الفاظها فوفق الى فهم بعض تلك الرموز فشعر بلذة حببت اليه لغة الهيروغليف فما برح من ذلك الحين يتردد الى المتحف يقضي اوقاته بين الاثار المصرية حتى تمكن من تلك اللغة فلم يعد يقنعه غير الشخوص الى مصر فعرض على نظارة المعارف الفرنساوية ان تعينه في مهمة يسير بها الى وادي النيل للبحث في آثارها فابت . فالتمس ان تأذن له بالمسير على أن لا يكلفها الا نفقة السفر فلم ترض. فاستأذنها في الذهاب الى باريس برخصة فاذنت له فسافر وانقطع الى متحف اللوفر يقرأ ما فيه من الاثار المصرية . ثم كانت ثورة سنة ١٨٤٨ فتضعضعت الاحوال وانقطع راتبه فتوسط له بعض أصدقائه بمنصب صغير في متحف اللوفر تمكن بواسطته من التبحر في اللغة الهيروغليفية والف كتاباً يتعلق بالكتب القبطية

واتفق سنة ١٨٥٠ ان الانكليز انفذوا الى مصر وفداً لغوياً يبحث في مكاتب الديور

المصرية عن الكتابات القبطية القديمة فعثروا في دير بوادي النطرون على أوراق كثيرة أرسلوها الى لندرا . فاقتدى الفرنساويون بهم وكانوا انما يرجون بابحاثهم هذه الوقوف على حقائق جديدة تتعلق بتاريخ اليونان . وكان ماريت قد اشتهر بينهم بمعرفة هذه اللغة فعينوه في هذه المهمة براتب مقداره ثمانية آلاف فرنك فسافر في ٤ سبتمبر سنة ١٨٥٠ حتى جاء القاهرة فرأى انه لا يستطيع الذهاب الى ذلك الدير أو غيره الا بوصية من البطريرك وكان البطريرك قد غضب من تصرف الوفد الانكليزي لانهم حملوا ما حملوه من الكتب القبطية جبراً . وبعد السعي والالتماس رضي أن يكتب لماريت كتاب توصية باسم رئيس دير الانبا مقار . على ان ماريت لم يكن يرجو الحصول على ذلك الكتاب قبل مضي ١٥ يوماً . فلكي لا يضيع الفرصة عمد الى تعهد مشاهد القاهرة فسار الى القلعة . وكان ذهابه اليها سبباً لتغيير عظيم في مستقبل حياته لانه أشرف من سورها على ضواحي العاصمة فرأى اهرام الجيزة واهرام سقارة فتاقت نفسه الى زيارتها وقد نسي ما جاء من أجله فركب الى سقارة وتوغل في صحرائها يتوقع العثور على آثار مهمة لقربها من انقاض منف العظمى فوقف يتفرس في تلك الرمال القاحلة فرأى فيها حجراً ناتئاً يشبه رأس الانسان فتأمله فاذا هو رأس ابي الهول . وكان قد شاهد أمثال هذا التمثال قبلاً فلم يهمه ذلك الاكتشاف لغرابته ولكنه توسم منه خيراً لما سبق الى ذهنه مما قرأه في استرابون عن آثار منف . وكان استرابون قد زارها في القرن الاول للميلاد فكتب عنها ما ترجمته « ورأينا هناك هيكل سرابيوم (Serapium) فاذا هو قائم في بقعة مغمورة برمال تقذفها الرياح عن اكمات هناك ورأينا تماثيل أبي الهول عند زيارتنا هذه مغطاة بالرمال الا بعضها لا تزال رؤوسها ظاهرة وبعضاً آخر رأينا نصف ابدانها مكشوفة فتمثل لنا المشقة الذي كان المصريون القدماء يقاسونها في طريقهم الى هذا الهيكل من شدة العواصف »

وكان من عادة المصريين القدماء أن يجعلوا امام هياكلهم صفين من هذه التماثيل يسير الناس بينهما الى الهيكل . فتحقق ماريت ان رأس التمثال الذي رآه سيهديه الى ذلك الهيكل فبحث في غربيه فعثر على تمثال آخر فما زال يتتبع بحثه حتى اكتشف ١٣٤ تمثالا . ولما وصل الى المئة والخامس والثلاثين آنس بالقرب منه منحدراً فكشف ما فيه من التماثيل حتى انتهى الى التمثال المئة والحادي والاربعين فوصل الى قنطرة عليها أشباه بعض آلهة اليونان وفلاسفتهم فواصل النقب من جهة اليمين فانتهى الى دهليز استطرق منه الى اروقة تحت الارض عثر في أوائلها على تماثيل أسود وعجول وغيرها فرقص قلبه طرباً وتحقق انه عثر بضالته . والهيكل المشار اليه لا يزال مقصداً

للرواد والمستطلعين الى اليوم ويعرف بمدافن سقاره . وكان محمد علي باشا كما قدمنا قد منع الافرنج وغيرهم من النقب عن الآثار فلما توفي اغفل ذلك المنع وعاد الناقبون الى أعمالهم

فلما اكتشف ماريت هذا الهيكل العظيم اتصل خبره بمدير الجيزة فابلغه الى عباس باشا الاول والي مصر اذ ذاك فبعث الى ماريت ان يكف عن العمل ويتخلى عما اكتشفه من التحف فاجاب أن الجواب على ذلك من متعلقات قنصل فرنسا فاغضى عباس باشا عن المطالبة ولكن العملة الذين كان يستخدمهم ماريت في الحفر تقاعدوا عن العمل بايعاز المدير فتوقف الحفر شهراً

وبلغ خبر هذا الاكتشاف مسامع حكومة فرنسا فنسيت الكتب القبطية والبحث عنها وبذلت لماريت ٣٠٠٠٠ فرنك اخرى تنفق في سبيل نقل هذه التحف الى باريس سراً . فبلغ الخبر مسامع الحكومة المصرية فارسلت مندوباً يستطلع تلك المكتشفات ويلقي الحجز عليها . والمظنون ان انكلترا هي التي حرضت الحكومة على ذلك غيرة وحسداً وبلغ عدد المكتشفات ٥١٣ قطعة بين تماثيل ومومياء وغيرها . فابى ماريت تسليمها الا بأمر من حكومته فكتب اسطفان بك بالنيابة عن عباس باشا كتاباً الى ماريت يقول له فيه « ان الحكومة المصرية لم تسكت عما أجراه من النقب الا لاتفاقها مع قنصل فرنسا بان تبقى التحف المكتشفة ملكاً لها . فبقي ماريت على اصراره ودارت المداولة بهذا الشأن بين الحكومتين المصرية والفرنساوية حتى انتهت على الشروط الآتية (١) ان تتخلى الحكومة المصرية عما اكتشف من الآثار الى ذلك الحين لجمهورية فرنسا (٢) ان يتوقف النقب موقتاً (٣) ان يباح للحكومة الفرنساوية العود اليه على ان يكون ما تكتشفه بعد ذلك ملكاً لمصر

وبناء على ذلك عاد ماريت الى العمل فاكتشف من التماثيل والتحف ما يعجز القلم عن تعداده فضلاً عن وصفه فقد كان هذا المدفن العجيب مملوءاً بالآثار الثمينة وفيها الذهب والحجارة الكريمة مما يطول شرحه وكثيراً ما كان ماريت يبيع من تلك الثمينات ما يساعده على نفقات الحفر

ولما فرغ من من كشف هيكل السرابيوم تذكر كلاماً قرأه في كتاب بلينيوس بشأن ابي الهول الاكبر قرب اهرام الجيزة ماله ان في جوف هذا التمثال قبراً للملك هرميكس وكان ماريت مرتاباً مما قرأه لاعتقاده ان ابا الهول حجر منحوت لا جوف له فلاح له ان يكون ذلك القبر في جواره فسار الى ابي الهول وأخذ ينقب ويبحث حوله فعثر على آثار كثيرة في جملتها هيكل يعرف بالكنيسة وهو أقدم الهياكل المصرية

وفي سنة ١٨١٥ عاد ماريت الى فرنسا بسبعة آلاف قطعة من الآثار المصرية على اختلاف الاشكال والاقدار . مع ان العدد الذي وهبته الحكومة المصرية افرنسا بموجب ذلك الاتفاق لا يزيد على ١١٣ ولكن سرقة آثار المشرق حلال في شرع أهل المغرب . ولا تزال هذه التحف في متحف اللوفر بباريس الى هذه الغاية

وفي تلك السنة توفي المغفور له عباس باشا الاول وخلفه عمه سعيد باشا وكان بينه وبين المسيو دلسبس الشهير صداقة قديمة سهلت له الوصول الى مشروع قنال السويس. فلما تمَّ حفر هذا القنال كثر مرور الافرنج بوادي النيل فكانوا يتوغلون احياناً في انحاء القطر واكثرهم من الانكليز فيحملون ما تصل اليه ايديهم من الآثار فسعى دلسبس في وسيلة تحفظ تلك الآثار في مصر ولا نظنه فعل ذلك لمجرد رغبته في مصلحة مصر ولكنه أراد الكيد بالانكليز . وشاع في اثناء ذلك عزم برنس نابوليون على زيارة مصر فتداول سعيد باشا ودلسبس في استقدام رجل عالم بالآثار يصلح لمرافقة البرنس في تجواله فوقع الاختيار على ماريت فجاء مصر وقد اطلق له التصرف في آثارها كما يشاء فجدَّ في العمل لا يخاف رقيباً ولا يخشى حرجاً

فكان يقضي معظم ايامه في الصحاري لا سمير له الا الرمال ولا انيس الا الاحجار فاكتشف آثاراً كثيرة في سقارة وما جاورها ثم انتقل الى الصعيد فارتاد الكرنك وأبو وأبيدوس ودندره . ونزل الى مصر السفلى فنقب عن آثار الرعاة في صان وغيرها. فأنعم عليه سعيد باشا في أواخر سنة ١٨٥٧ بالرتبة الثانية

ولم يكتف ماريت باكتشاف تلك الآثار فاخذ يسعى في حفظها لمصر بعد أن كان في المرة الماضية يجاهد في حملها الى باريس ولكنه من الجهة الاخرى سعى في تقوية نفوذ الفرنساويين في مصر فخاطب دلسبس بذلك فحببا الى سعيد باشا السفر الى فرنسا على سبيل الزيارة فسار اليها في خريف سنة ١٨٦٢ ولما عاد من سفرته هذه رقى ماريت الى رتبة المتمايز وزاد راتبه

(المتحف المصري) وفي سنة ١٨٦٣ توفي سعيد باشا وخلفه اسماعيل فثبت ماريت في منصبه وأمره ببناء متحف مصري في ساحة الازبكية يكون وسطاً يسهل تردد الناس اليه فتذخر فيه الآثار اليونانية والعربية الاسلامية فضلاً عن المصرية . فسرَّ ماريت بذلك ولكنه لم يكد يشرع فيه حتى ورد على اسماعيل باشا من الاستانة ان ساكن الجنان السلطان عبد العزيز عازم على زيارة وادي النيل قريباً فاشتغل عن بناء المتحف باعداد معدات الاستقبال وأمر ان تجعل الآثار المصرية في بناء يليق بها ليشاهدها السلطان ريثما يتيسر بناء المتحف في فرصة أخرى . فوضعوها في بناء رحب

على ضفة النيل في بولاق . وفي تلك السنة زار الديار المصرية البرنس نابوليون فرافقه ماريت الى جزيرة أصوان ولما عاد برنس نابوليون عاد ماريت الى متحفه وعمل على ترتيبه وعول على الاقامة في مصر فاستقدم اهله وأولاده . وفي سنة ١٨٦٧ انشأت فرنسا معرضاً عاماً للاثار القديمة جعلت فيه نصيباً لمصر فنالت قصب السبق بتدبير ماريت وانعمت فرنسا عليه برتبة كومندور

وفي سنة ١٨٦٩ احتفل الخديوي اسماعيل بفتح قنال السويس احتفالاً دعا اليه ملوك اوربا او من ينوب عنهم وكان في جملة ما أعده لهم من دواعي الاحتفاء متحف الاثار فاهتم ماريت بذلك كثيراً وكتب كتاباً يساعد المشاهدين على فهم الاثار فسر الخديوي منه فانعم على ابنتيه بمئة الف فرنك تقتسمانها بينهما واهدته الحكومة الفرنساوية ٣٠٠٠٠ فرنك مكافأة على مؤلفاته وكان قد الف بعضاً منها فازداد نشاطاً فألف كتباً اخرى وكان يتردد كل عام تقريباً الى فرنسا لتبديل الهواء او طبع الكتب وفي سنة ١٨٧٩ أقيل اسماعيل باشا وخلفه توفيق باشا فانعم على ماريت برتبة لواء مع لقب باشا وما زال عاملاً مجتهداً حتى توفاه الله في اواخر عام ١٨٨٠ ودفن في متحف بولاق

وظل المتحف المصري في بولاق حتى نقلته الحكومة المصرية الى سراي الجيزة منذ بضع عشرة سنة ثم اهتمت بارجاعه الى القاهرة تسهيلاً للوصول اليه فقررت سنة ١٨٩٣ بناء متحف جديد بجوار قصر النيل وشرعت في بنائه سنة ١٨٩٧ وتم البناء سنة ١٩٠٢ واحتفلوا بافتتاحه رسمياً في ١٥ نوفمبر منها

(مؤلفاته) الف ماريت باشا مؤلفات كثيرة بالفرنساوية يزيد عددهم على ٦٣ بين صغير وكبير بعضها طبع على حدة وبعضها نشر في الجرائد العلمية في اوربا اهمها

(١) سرابيوم منف (٢) جدول سقاره (٣) ملخص تاريخ مصر من أقدم ازمانها الى فتوح الاسلام (٤) زيارة متحف بولاق (٥) ابيدوس وهو كتاب في ٣ مجلدات (٦) وصف هيكل دندره الكبير طبع في ٥ مجلدات او ٦ (٧) أطلس متحف بولاق (٨) مصر العليا (٩) ملاحظات (١٠) وصف هيكل الكرنك وتاريخه (١١) الدير البحري (١٢) سياحة في مصر العليا وغير ذلك شيء كثير

*

السيد صالح مجدي بك

ولد سنة ١٢٤٢ هـ وتوفي سنة ١٢٩٨ م

هو من نوابغ أواسط القرن الماضي الذين ارتقوا بذكائهم ونشاطهم الى مناصب الحكومة ونبغوا في النظم والانشاء والترجمة وكان ذلك صعباً نادراً قبل النهضة الاخيرة

وُلد السيد صالح في ابي رجوان من مديرية الجيزة سنة ١٢٤٢ للهجرة وتلقى مبادىء العلم في مدرسة حلوان الاميرية . ثم انتقل الى مدرسة الالسن وناظرها يومئذ المرحوم رفاعة بك الطهطاوي الشهير فآنس فيه اساتذته ذكاء ونباهة فألحقوه بقلم الترجمة . ورقي لرتبة الملازم وهو لم يجاوز الخامسة عشرة من عمره ثم انتقل الى مدرسة المهندسخانة الخديوية يتولى تدريس اللغتين العربية والفرنساوية فيها . وكانت كتب التدريس في العلوم الرياضية يومئذ لا يزال معظمها في اللغة الفرنساوية فعهدوا الى صاحب الترجمة نقلها الى اللسان العربي فنقل منها كتباً جمة لا تزال ينتفع بها الى اليوم منها كتاب في الطبوغرافية والجيولوجية وكتاب في الميكانيكيات النظرية وآخر في الميكانيكيات العلمية وآخر في حساب الآلات وكتب في الطبيعة والهندسة الوصفية وكلها مطبوعة فضلاً عن كتاب في حفر الآبار ورسالة في الارصاد الفلكية تأليف ارجو الشهير لم تطبع والف كتباً أخرى

وفي سنة ١٢٧١ أحيل الى آلاي المهندسين والكبورجية وقد ترقى الى رتبة يوزباشي وتولى رئاسة الترجمة وتصحيح ما يعرب من الفنون العسكرية وجعل يرتقي في مناصب الحكومة بجده واستحقاقه حتى صار سنة ١٢٧٧ هـ ناظراً لقلم الترجمة بقلعة الجبل وهو مع ذلك يلاحظ طبع الكتب العسكرية . ولما تولى المغفور له اسماعيل باشا اعجبه ذكاؤه ونشاطه فرقاه الى الرتبة الثالثة وعينه في قلم الترجمة بالمعية السنية . ثم انتقل الى ديوان المعاونة فالداخلية ثم الى ديوان المدارس وتعين سنة ١٢٨٦ هـ مأمور ادارة المدارس . وفي سنة ١٢٨٨ انعم عليه بالرتبة الثانية وفي سنة ١٢٩٠ الغيت ادارة المدارس فاعتزل الاعمال . وتشكلت المحاكم المختلطة بمصر سنة ١٢٩٢ فتعين قاضياً بمحكمة القاهرة وما زال في هذا المنصب حتى توفاه الله في ١٦ ذي الحجة سنة ١٢٩٨ (١٨٨١)

وكان شاعراً مطبوعاً جمعت اشعاره في ديوان كبير طبع في المطبعة الاميرية سنة ١٣١٢ مصدراً بترجمة له مطولة اخذنا عنها معظم ما ذكرناه عنه . وكان ميالا الى الانشاء

فلم تخل جريدة من جرائد تلك الايام من مقالات بقلمه أو قصائد من نظمه كالوقائع المصرية وروضة المدارس والجوائب

ومما نقله الى اللسان العربي من المؤلفات الرياضية غير التي تقدم ذكرها كتاب في الحساب وآخر في الجبر وآخر في تطبيق الجبر على الاعمال الهندسية وآخر في المثلثات وغيرها . وكانت هذه الكتب لا تزال الى عهد قريب معتمد المدارس الاميرية في تدريس هذه الفنون . وقد عرب وهو في آلاي المهندسين كثيراً من كتب الفنون العسكرية منها كتاب الترع والانهر وكتاب ميادين الحصون والقلاع ورمي القنابر باليد والمقلاع وكتاب استكشافات عمومية وكتاب استحكامات خفيفة وكلها



(ش ٢٥) : السيد صالح مجدي بك

مطبوعة . وكتاب تذكار ضباط المهندسين وكتاب استحكامات قوية . ومن معرباته كتاب تذكير المرسل بتحرير المفصل والمجمل . واشترك في ترجمة قوانين فرنسا (كود نابوليون) وترجم كتباً أخرى ونشر رسائل شتى في مواضيع مختلفة واشترك في تحرير جريدة روضة المدارس التي انشأها المرحوم علي باشا مبارك واتحد مع علي باشا المذكور في تأليف تاريخ عام مطول للديار المصرية فألفا منه ما يتعلق بالفراعنة والا كاسرة والبطالسة والرومانيين حتى انتهيا الى فتوح الاسلام وتجاوزاه الى سنة ١٦٠ بعد الفتح فبلغ ما كتباه منه نحو ٤٠٠ كراس وتوفي صاحب الترجمة والكتاب

بين أوراق المرحوم علي باشا مبارك لا ندري ما آل اليه الامر بعد وفاة علي باشا

ويقال بالاجمال ان صالح مجدي بك كان من رجال العلم الذين خدموا آداب اللغة العربية بترجمة الكتب الرياضية والعسكرية فضلاً عن قريحته الشعرية فان صفحات ديوانه المطبوع ٤٣٠ صفحة كبيرة تدل على طول باعه في النظم . واطلعنا مؤخراً على كتاب فيه مقالات أدبية من انشاء صاحب الترجمة كانت تنشر في جريدة روضة المدارس قيل يومئذ ان فيها تعريضاً ببعض رجال ذلك العهد فمنع نشرها . فعني بجمعها نجله محمد مجدي بك القاضي بمحكمة الاستئناف بمصر وطبعها في المطبعة الاميرية

*

سليم بسترس

ولد سنة ١٨٣٩ وتوفي سنة ١٨٨٣

ان عائلة بسترس من أشهر عائلات سوريا غنىً ووجاهة وقد نبغ منهم جماعة اشتهروا بالذكاء والاقدام والمهارة في الشؤون التجارية نذكر اليوم ترجمة احدهم المرحوم سليم بسترس بن موسى بسترس من نوابغ اواسط القرن الماضي . ومما دعانا الى نشر ترجمة هذا الرجل بنوع خاص انه كان على غناه ووجاهته ميالاً الى العلم راغباً في اكتسابه ونشره . وذلك نادر في بلادنا فهو يجدر ان يكون مثالا لاهل اليسار وفيهم من يحسب العلم مهنة الفقراء واذا قيل لهم تعلموا قالوا وما ينفعنا العلم ونحن لا نحتاج الى كسب — كأن العلم والغنى لا يتفقان . وهي اوهام تقادم عهدها وآن لنا ان ننزعها وما من عاقل الا وهو يعلم ان العلم زينة الغنى ودعامة التمدن وأكليل الملوك بل هو نور العالم ودليل الاصلاح

فنرجو ان تكون ترجمة سليم بسترس قدوة لهم حسنة واليك هي :

هو سليم بسترس بن موسى بسترس ولد في بيروت في ٢٩ من شهر آب (اغسطس) سنة ١٨٣٩ وكان الولد الذكر الوحيد لوالده موسى بسترس . وكان موسى عين قومه ورئيس اسرته ومؤسس اتحادها . وكان والده كثير الحسنات رحب الصدر ممتازاً بمحامد الصفات توفي مأسوفاً عليه سنة ١٨٥٠ فتربى ولده سليم في حجر والدته فقامت بتهذيب أخلاقه ولم يلبث ان حصل المعارف والآداب العربية واحرز بعض اللغات الاجنبية وكان له شعر رقيق . وكانت أحوال اوربا في فتوته مجهولة لدى السواد الاعظم في سورية فسافر اليها سنة ١٨٥٥ وجاب بعض ممالكها والف في رحلته كتاباً مفيداً سماه الرحلة السليمية حرض فيه ابناء وطنه على طلب اسباب تقدم اوربا وضمنه كثيراً من النصائح والحكم ومما قاله في تقدم الامم . « انه يكون بالاتحاد والتعاضد والاجتهاد وبتغيير عناصر التعصب واتباع السنن العمومية اذ هي مفتاح الترقي وان افراد الرجال هم الذين يبثون الآراء الصحيحة بين الناس بكتاباتهم وكلامهم وقدوتهم» . وقد عرّب عدّة روايات قصد بها استصلاح العادات وبث الاراء الصحيحة والاحتفاظ بالاداب جعلها أقاصيص يصبو الناس الى مطالعتها

وسنة ١٨٦٠ استوطن الاسكندرية قصد الاتجار . وسافر سنة ١٨٦٦ ثانية الى اوربا وانشأ بيتاً تجارياً في ليفربول ثم جاء بيروت سنة ١٨٦٩ لزيارة اهله وخلانه ولما عاد الى انكلترا انتقل بيته التجاري الى لندن . وسنة ١٨٧٢ قدم بيروت زائراً وفي أول ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٧٤ زفت اليه في مدينة لندن ادما ابنة ابن عمه حبيب جرجس بسترس فرزق منها ولدين البكر اسكندر موسى عرابه القيصر اسكندر الثاني امبراطور روسيا الاسبق . والثاني فلديمير عرابه القيصر اسكندر الثالث والد القيصر نقولا الثاني . وهي حظوة يستدل بها على ما كان له من المكانة في البلاط الروسي



(ش ٢٦) : سليم بسترس

وكان يهب جمعيات الاحسان الخيرية في سورية وانكلترا وغيرها من ممالك اوربا . وكان عضواً في جملة جمعيات منها جمعية الملجأ ببطرسبرج وجمعية القديس يوحنا الاورشليمي في لندن فقلدته وسامها المخصوص ومنحته لقرينته بعد وفاته وقد احرز شهرة حسنة في سورية وبلاد الانكليز

وكان صادقاً كريماً معروفاً بالفضل والنبل وسعة المعارف فنال الوسام المجيدي العالي الشأن من العواطف الشاهانية ومنحه امبراطور روسيا وسام سنت آن (القديسة

حنة) الثالث ووسام الصليب الاحمر ووسام سان ستانسلاس الثاني وكانت وفاته بعلة القلب في مصيفه في فلكستن قرب لندن في ٣ شباط (فبراير) سنة ١٨٨٣ وقد نقلت جثته الى بيروت فدفن فيها سنة ١٨٨٥

وقد عني بعضهم في جمع مراثيه وأقوال الجرائد فيه وصور الرسائل العديدة التي كانت ترد عليه من وزراء الروس وحجاب الامبراطور الروسي وطبعها في كتاب يسمى صدى الحسرات طبع في بيروت في مطبعة القديس جاورجيوس سنة ١٨٨٥ فلتراجع فيه وله ديوان شعر اسمه انيس الجليس

*

محمود باشا الفلكي

العالم الرياضي الفلكي المصري

ولد سنة ١٢٢٠ هـ وتوفي سنة ١٣٠٣ هـ

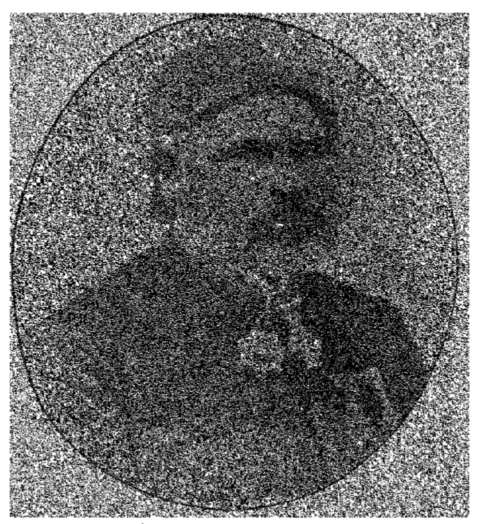
وُلد رحمه الله في بلدة اسمها الحصة في مديرية الغربية سنة ١٢٢٠ هـ ولم يكد يترعرع حتى توفي والده فاحتضنه أخوه وكانت النجابة تجلى في وجهه منذ صباه فادخله اخوه في مدرسة الاسكندرية سنة ١٢٤٠ هـ فاقبل على الدرس والمطالعة واكب على اكتساب العلم بهمة ونشاط فلم تمض عليه بضع سنوت حتى نال رتبة بلوك امين فانتقل من هذه المدرسة الى غيرها من المدارس الاميرية المصرية وكان حيثما حلّ اشتهر بالنباهة والذكاء وخصوصاً في الفنون الرياضية فلما اتم دروسه عينته الحكومة استاذاً للعلوم الرياضية والفلكية في مدرسة المهندسخانة وكانت اذ ذاك برئاسة لامبير بك فترقى فيها الى رتبة صاغقول اغاسي انعم بها عليه المغفور له محمد علي باشا الكبير سنة ١٢٦٢ هـ ولا يخفى ماكان للرتب من المنزلة اذ ذاك فكانت الحكومة لا تنعم على احد برتبة مالم يأت عملاً عظيما يمتاز به عن أقرانه أو يقوم بخدمة ذات بال . فحصول صاحب الترجمة على هذه الرتبة دليل على علو همته ورفع منزلته . على انها كانت داعياً الى تنشيطه فاكب على التبحر في العلوم فاختارته الحكومة المصرية سنة ١٨٥١ م وبعثت به الى أوربا لاتمام علومه الرياضية والفلكية فثابر على ذلك تسع سنوات متوالية لازم في اثنائها مرصد باريس وكان لا يترك فرصة لا يستفيد بها شيئاً حتى آن الامتحان فقدمه وحاز به قصب السبق فنال الشهادات وعاد ظافراً منصوراً في عهد المغفور له سعيد باشا فانعم عليه برتبة أمير آلاي وكلفه رسم خريطة للديار المصرية فأخذ في مباشرة هذا العمل وهو أول من باشره من المصريين فرسم خريطة الوجه البحري رسما مدققاً يدل على طول باعه ومهارته في التخطيط والهندسة وهي خريطة مشهورة باسمه يرجعون اليها عند التدقيق ولعلها أول مؤلف وضعه ثم أردفه بمؤلفات أخرى بين رسائل وكتب بعضها في العربية وبعضها في الفرنساوية وهاك اسماءها ومواضيعها

(١) الخريطة المتقدم ذكرها وقد اشرنا الى ما نالته من المنزلة الرفيعة

(٢) رسالة في التقاويم الاسرائيلية الاسلامية نشرها سنة ١٨٥٥ م بعد ان قدمها لمجمع العلوم في البلجيك وخلاصة موضوعها تعيين زمن ابتداء تاريخ اليهود وهو عندهم في ٧ تشرين أول سنة ٣٧٦١ قبل الميلاد . ويريدون به اليوم الذي تمت الخليقة فيه .

والنظر في حدود يومهم وهو يبتدىء عندهم في الساعة السادسة افرنكية مساء ويقسم الى ٢٤ ساعة وتقسم الساعة الى ١٠٨٠ قسما يقسم كل منها الى ٧٢ جزءا . ويحث في اسبوعهم وشهرهم وسنتهم والايام التي تبتدىء بها شهورهم وسنوهم مع تعيين أعيادهم ومقارنة تاريخهم بتاريخ الميلاد المسيحي

(٣) رسالة في الحالة الحاضرة للمواد المغناطيسية الارضية بباريس وضواحيها تلاها سنة ١٦٨٥ على المجمع العلمي الفرنساوي وقد أعد موادها في أثناء تجواله في أوربا



(ش ٢٧) : محمود باشا الفلكي

(٤) كتاب في التقاويم العربية قبل الاسلام نشره سنة ١٨٥٨ م وهو من أجل كتبه بحث فيه عن يوم ولادة صاحب الشريعة الاسلامية فوصل الى نتيجة مآلها انه ولد في ٩ ربيع الاول الموافق ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ الميلاد

ودقق النظر في حال التقويم قبل الاسلام فحكم بأنهم كانوا يعملون بالحساب القمري الصرف . وبحث فيه ايضاً عن عمر النبي عند وفاته فبلغ ستين سنة شمسية

و٢٨ يوماً أو ٦٣ سنة قمرية و ٣ ايام . وارتأى ان العرب في جاهليتهم لم يكونوا يعرفون الساعات التي ينقسم اليهـا اليوم وهو رأي كوسين دي برسفال المؤرخ الفرنساوي وشوسن

(٥) رسالة في الكسوف الكلي الذي ظهر بدنقلا في ١٨ يوليو سنة ١٨٦٠ وشاهده هو بنفسه هناك وكانت تلك الرسالة داعياً الى اشتهاره بين علماء الفلك

(٦) رسالة في الاسكندرية القديمة وصف بهـا تلك المدينة في اقدم ازمانها مستشهداً بما اكتشفه هو من شوارعها ومراسحها وابنيتها وارفق الكتاب بخارطة أوضح بها ذلك

(٨) رسالة في الايضاح عن أعمار الاهرام بحث فيها بحثاً دقيقاً فتبين له الغرض الاصلي من بنائها مطابقتها للشعرى . ومن رأيه ان الاهرام انما بنيت لغرض فلكي قال مختار باشا المصري « وعلى ذكر هذه الرسالة يجدر بي ايراد عبارة هي في حد ذاتها صادرة عن أفكار شخصية فقد كنت موجوداً مع المرحوم عند شروعه في أخذ مقاييس الاهرام وموقعها من التناسب الفلكي واعلم علم اليقين بانه وصل للاطلاع على الغرض من تشييدها اذ وجد تحكيمها في رسم يقابل بالضبط كوكب الشعرى عند طلوعه فكأن الآمر ببنائها أراد ان يجعلها مزولة يعرف بها يوم شم نسيم العلماء ولاجل تعريض جثث المدفونين فيها لموافاة صعود الكوكب المذكور فيسبغ عليه من آياته رحمة وغفراناً اذ ليس بخاف ان كوكب الشعرى كان عند الاقدمين وخصوصاً المصريين من أجلّ المعبودات حتى عبر عنه بعضهم باله الالهة »

(٨) رسالة في التنبوء عن ارتفاع النيل قبل ارتفاعه

(٩) بحث في ضرورة انشاء مرصد لمراقبة الحوادث الجوية في مصر

(١٠) رسالة في مقياس مصر ومكيالها وميزانها ومقابلة ذلك بالاقيسة الفرنساوية

(١١) رسالة في مشابهة (كان) الناقصة بالفعل الفرنساوي (Avoir)

(١٢) رسالة في توحيد موازين العملة في القطر المصري باشر كتابتها والموت حال بينه وبين اتمامها

وتقلد محمود باشا الفلكي رحمه الله مناصب ذات شأن لا يتقلدهـا الا نخبة أهل الفضل . منها انه ناب عن الحكومة المصرية في المجمع الجغرافي بباريس سنة ١٨٧٥ وفي البندقية سنة ١٨٨١ وتقلب في مناصب الحكومة حتى بلغ مسند الوزارة فعهدت اليه نظارة الاشغال العمومية . ولكن الحوادث العرابية التي داهمت هـذا القطر سنة ١٨٨٢ لم تمكنه من ادارة شؤونها طويلاً . ثم عهدت اليه نظارة المعارف العمومية فلمّ

شعبها ونظمها ورتب كثيراً من أقسامها فزهت المعارف على عهده واضاءت البلاد بها . وتولى رئاسة الجمعية الجغرافية الخديوية مدة . وخلاصة القول انه كان هماماً حازماً محباً لوطنه قضى سني حياته عاملاً في خدمته مجاهداً في سبيل نشر المعارف بين ابنائه حتى توفاه الله فجأة سنة ١٣٠٣ هـ وهو محاط بالكتب والاوراق آسفاً على مؤلفات كان في عزمه اتمامها فحال المنون بينه وبينها . فشقت وفاته على أهل الوطن المصري فابنه العلماء ورثاه الكتاب والشعراء بما دل على تقديرهم فضله حق قدره

*

نوفل نعمة الله نوفل الطرابلسي

ولد سنة ١٨١٢ وتوفي سنة ١٨٨٧

(تاريخ حياته) هو احد رجال النهضة العربية الاخيره وُلد في طرابلس الشام سنة ١٨١٢ وكان والده نعمة الله نوفل من أصحاب المناصب الذين يشار اليهم بالبنان . على ان آل نوفل بوجه الاجمال قوم معروفون بالوجاهة والاخلاص للدولة العلية وقد تولوا خدمتها زهاء ثلاثة قرون تقلبوا في اثنائها في مناصب متنوعة

فعني والده بتثقيفه جرياً على مثال أعضاء اسرته فأدخله بعض المدارس الابتدائية في مدينة طرابلس فاكتسب مبادىء القراءة والكتابة في اللغة العربية وتناول بعض الشيء من والده وخصوصاً الانشاء والخط فبرع فيهما . وفي سنة ١٨٢٠ قضت الاحوال بسفر والده الى الديار المصرية على عهد المغفور له محمد علي باشا وكانت له عليه دالة لما تولاه من الانشاء في ديوانه . وكان العلم الى ذلك العهد قاصراً في سوريا ومصر على العلوم العربية والتركية ويندر من يتعلم الفرنساوية أو الايطالية وكان محمد علي باشا قد انشأ المدارس لتعليم تينك اللغتين فدخل نوفل بعضها فنبغ فيها حتى عني ولاة الامر بتعيينه معاوناً لابيه في قلم التحريرات بالديوان الخاص

وفي سنة ١٨٢٨ عاد الى سوريا مأموراً لمحاسبة لواء طرابلس وقضاء اللاذقية ظل في هذا المنصب سبع سنين تزوج في اثنائها بالمرحومة انجلينا كريمة المرحوم حنا غريب. وهو في أوائل افراحه نكبه الزمان بمصيبة نغصت عيشه وذلك أن المغفور له ابراهيم باشا دخل سوريا كما هو معلوم سنة ١٨٣٠ فقضى فيها عشر سنوات بين مدافع ومهاجم لم تخل البلاد في اثنائها من ثورة في بلد أو جبل . وكان ابراهيم باشا قائداً مشهوراً لا حاجة بنا الى تعداد مناقبه . ولكنه كان صارماً سريع الانتقام — ذلك ما أوقع هيبته في قلوب السوريين فباتوا يخافون اسمه ولا تزال ايام ابراهيم باشا مثلاً يضربونه بالعدل والصرامة . فنقل اليه بعض الناس وشاية بنعمة الله نوفل والد المترجم فأمر باعدامه . ثم عاد ابراهيم الى طرابلس وقد تقدم اليه بعضهم أن يتفحص ما بلغه عن المقتول فبحث فتحقق براءة الرجل وان الامر كان وشاية فاستقدم صاحب الترجمة وكان معتزلا في منزله حزيناً فقدم فاكرمه ودفع اليه مالا كثيراً وخلع عليه خلعاً سنية وأرسل بعض رجال معيته ليعزي والدته ويعدها بالانتقام من الواشين جبراً لقلبها الكسير وقد فعل

وفي سنة ١٨٥ تعين المترجم باشكاتباً لخزينة طرابلس وفي السنة التالية نقل الى بيروت للكتابة في مجلس ادارة ولاية صيدا . وفي اثناء ذلك انفذت الدولة العلية امين افندي أحد كبار مأموريها لمساحة جبل لبنان وعينت المترجم سكرتيراً له . وفي سنة ١٨٥٢ تولى باشكاتبية كمرك بيروت وطال مكثه في هـذا المنصب لما اظهره فيه من النشاط واللياقة . وفي سنة ١٨٦٣ توجه الى طرابلس بمعية قبولي باشا ثم عاد معه الى بيروت . فرأى في السنة التاليـة ان صحته لا تساعده على تولي المناصب الشاقة فاستقال من الخدمة وعاد الى مسقط رأسه لترويح النفس فعينوه هناك ترجماناً لقنصلية



ش ٢٨ : نوفل نعمة الله نوفل الطرابلسي

المانيا ثم لقنصلية اميركا معاً وانقطع عن سائر الاشغال ووجه التفاته الى عقاره وأمواله وشغل ساعات الفراغ في المطالعة والتأليف والبحث والتنقيب فقضى في ذلك نيفاً وعشرين سنة حتى توفاه الله سنة ١٨٨٧ عن ثروة تركها لارملته فأسف عليه كل من طالع كتاباته

﴿ علمه وفضله ومؤلفاته ﴾ كان صاحب الترجمة من محبي المطالعة وا كثر ما يقرأه في اللغتين العربية والتركية فجمع مكتبة نفيسة فيها مئات من المجلدات في العلم والادب والتاريخ والفكاهة بين مطبوع ومخطوط . فلما دنا اجله وقفها للمدرسة الكلية الاميركية

في بيروت خدمة لتلامذتها ولا تزال تذكاراً له على ممر الايام . ولم يكن يقتصر في المطالعة على تمضية ساعات الفراغ ولكنه كان يجني ثمار ما يطالعه فيكتب المقالات والرسائل والكتب في مواضيع معظمها جديد لم يسبقه أحد الى مثله في العربية . فمن مقالاته ورسائله ما نشر في مجلة الجنان ومنها ما نشر في لسان الحال وغيرها . اما الكتب المطبوعة على حدة فبعضها ترجمة عن التركية والبعض الآخر ألفه تأليفاً . فالكتب المترجمة منها كتاب قوانين المجالس البلدية التي قررها مجلس المبعوثان . وكتاب في أصل ومعتقدات الامة الشركسية . وكتاب دستور الدولة العلية وهو جزآن كافأته الدولة على ترجمته بثلاثمائة ليرة عثمانية . وكتاب حقوق الامم وغيرها . وكلها كما ترى في مواضيع جدية تحتاج الى علم وتضلع في اللغتين العربية والتركية

أما مؤلفاته فانها أوضح دلالة على علمه وفضله لانها مما لم ينسج على منواله في العربية وقد يعجب الذي يطلع عليها لصدورها عن مؤلف لا يعرف شيئاً من اللغات الافرنجية كما صرح هو في مقدمة بعضها

ومن مؤلفاته (١) « زبدة الصحائف في اصول المعارف » طبع في بيروت سنة ١٨٧٣ وفيه ابحاث في تاريخ العلوم عند الامم المتمدنة قديماً وحديثاً . فقد صدره بتاريخ الفلسفة عند الكلدان والفينيقيين والفرس والهند والصينيين والمصريين واليونان مع تفصيل فرق الفلاسفة عندهم وتسلسل آرائهم الى ان وصلت الفلسفة الى العرب ومن جاء بعدهم . ويلي ذلك فصول في اصول العلوم وتواريخها كالمنطق واللغة ويتفرع عن ذلك الكلام في تواريخ اللغات فعلوم النحو والصرف والبيان والشعر ثم أصول العلوم الرياضية والفلك فالطبيعيات فالطب وفروعه فالتاريخ فالجغرافية وسائر العلوم الحديثة كالجيولوجيا والكيميا والمعادن والنبات وغيرها وكلامه في كل ذلك تاريخي فلسفي تلذ مطالعته

(٢) « زبدة الصحائف في سياحة المعارف » واسمه يدل على موضوعه فهو يبحث في كيفية تنقل العلم والفلسفة في الارض من أقدم الازمان الى الآن عند كل مملكة وكل دولة ويعد هذا الكتاب تتمة للكتاب السابق مع انه اكبر منه

(٣) « سوسنة سليمان في أصول العقائد والاديان » وفيه فصول ضافية في أصول أديان الناس من الوثنية والمجوسية الى الاديان الالهية وتفصيل ذلك خصوصاً في الديانات الثلاث المشهورة مع ما حدث من الفرق النصرانية والاسلامية والاسرائيلية على أسلوب سهل لذيذ

(٤) « صناجة الطرب في تقدمات العرب » وهو كتاب عظيم الفائدة يدل على

سعة اطلاع مؤلفه المرحوم في تاريخ العرب وآدابهم واخلاقهم وعاداتهم فقد صدره بمقدمات جغرافية عن جزيرة العرب ثم بسط الكلام في أقسام العرب وتقاطيعهم وسحنهم وأوصافهم ثم في أديانهم ومعابدهم ومناسكهم ومساكنهم وملابسهم ومآكلهم ومخاطباتهم . ويلي ذلك الكلام في اخلاقهم وشجعانهم وفصحائهم وخيولهم وابلهم ثم جيوش العرب واسلحتهم وحروبهم ودولهم . وابحاث في وضع آداب اللغة العربية وأصول العلوم عند العرب علماً علماً وكيف نشأت عندهم او وصلت اليهم . وفي ذيل الكتاب فذلكة تاريخية عن دول العرب من خلفاء الراشدين الى اواخر بني العباس

(٥) الرد على الغضنفرى قد طبع مؤخراً . وله مؤلفات اخرى لم تطبع

*

الدكتور ميخائيل مشاقه

ولد سنة ١٨٠٠ وتوفي سنة ١٨٨٨

هو من أفراد القرن التاسع عشر ونابغة من نوابغه ذكاء وفطنة وهمة وُلد في قرية رشميا من أعمال جبل لبنان من عائلة ذات نسب جليل يتصل بيوسف بتراكي الذي هو جد جد صاحب الترجمة وأصله من كورفو ببلاد اليونان ولقب بمشاقة لاحترافه تجارة مشاقة الحرير . وكان والده جرجس في بلاط الامير بشير الشهابي الكبير أمير جبل لبنان اذ ذاك ومن المقربين منه فنقل بيته الى دير القمر مركز الامارة ليكون قريباً من مكان عمله

وكان مخائيل نبيهاً ذكيًّا متوقد الذهن فتمكن من القراءة في مدة وجيزة وكان له ميل طبيعي الى الرياضيات فلقن الحساب البسيط عن أبيه ثم تعلم مسك الدفاتر

وكان على صغر سنه يجالس كبار القوم ويستفيد من احاديثهم فسمع من يهود دير القمر انهم يعرفون أوان الخسوف والكسوف قبل حدوثها فمال الى استطلاع كيفية ذلك فلم يستطع فازداد قلقه . وكان يعتقد مثل اعتقاد اكثر أهل تلك الايام من ان علم الفلك ينبيء صاحبه بالغيب

وفي سنة ١٧١٤ قدم بطرس عنحوري خال صاحب الترجمة من دمياط الى دير القمر وكان بارعاً في علم الفلك وسائر العلوم الرياضية والطبيعية . فانتهز مخائيل تلك الفرصة وطلب الى خاله ان يدرسه علم الفلك فسر بطلبه وأخذ يدرسه باجتهاد فاكتسب منه جانباً كبيراً بمدة قصيرة فأحبه خاله محبة شديدة واعجب بذكائه وفطنته. وفي سنة ١٨١٧ ذهب مخائيل الى دمياط وتعين كاتباً في محل عمه هناك . وكان كبير النفس لا يقنع بأقل من الاستقلال فما لبث زمناً حتى تعاطى التجارة بنفسه واكتسب ثروة صغيرة

واتفق انه طالع سنة ١٨١٨ كتاب سياحة الفيلسوف فولني وآراءه فوقع في حالة التردد من أمر الدين وصار ذلك شاغلاً لافكاره

ومن غريب أخلاقه وحميدها انه لم يكن يرى شيئاً أو يسمع به الا أحب استطلاع كنهه وكانت له ثقة تامة بقواه العقلية ولذلك كان يعتقد انه يقدر أن يتعلم كل ما يريده

ويحكى انه حضر عرساً في مدينة دمياط كانت تصدح فيه الموسيقى فسأله احد الحاضرين عن لحن هل يعرفه فاظهر البعض الآخر استخفافاً به لانه لا يعرف الالحان فثارت في رأسه الحمية وعزم من تلك الساعة أن يدرس فن الموسيقى ففعل وتمكن منه حتى الف فيه رسالة بديعة بعد أن اتقن الضرب على سائر آلاته

وفي سنة ١٨٢٠ ظهر في دمياط وباء الطاعون فرجع ميخائيل الى دير القمر وهو لا يفتر عن المطالعة وكان يطالع الجبر والمقابلة بنفسه

وبعد ذلك انتدبه الامير بشير الكبير ليكون مدبراً عند امراء حاصبيا فاكرموا مثواه ووهبوه بقاعاً واسعة في جهات الحولة ونهر اللدان وقرية في قضاء القنيطرة وهذا يدلنا على مقدار ما كان من اعجابهم به وباعماله . ولكنه أصيب بمرض سنة ١٨٢٨



(ش ٢٩) : الدكتور ميخائيل مشاقة

فاضطر لان يعود الى دير القمر للمعالجة فتعالج خمسة أشهر كان في أثنائها يلاحظ العلاج الذي كان يتناوله ويود لو انه يعرف صناعة الطب جرياً على طبيعته كما قدمنا . فحالما نقه من مرضه عكف على مطالعة ما وصلت اليه يداه من الكتب الطبية حتى فهم اكثرها ولكنه عجز عن ادراك كثير من مصطلحاتها . وكان خاله المتقدم ذكره قد عاد الى دير القمر فافهمه اياها واستعان ايضاً بطبيب آخر ايطالي كان هناك

وفي سنة ١٨٣١ جاء ابراهيم باشا بن محمد علي باشا الكبير بجنوده لافتتاح عكا وكان بينه وبين الامير بشير تحالف فجاء الامير لماضدنه في ذلك الحصار وقدم ميخائيل مشاقة برفقة الامير . ومن ثم انضم الى الجنود المصرية ورافقها الى دمشق وحمص يطبب جرحاها والمصابين بالكوليرا (الهواء الاصفر) ثم رجع الى دير القمر وقد لحقه بسبب حروب ابراهيم باشا خسائر جسيمة مالية حتى اضطر للتطبيب بالاجرة وكان قبل ذلك يطبب مجاناً . ونزح الى دمشق واقام فيها واغتنم وجود الدكتور كلوت بك الشهير هناك مع الحملة المصرية فطالع ما نقصه من الطب عليه فتمكن من تلك المهنة حتى ولته الحكومة رئاسة اطباء دمشق

ولم يكن يقنع بعلم دون آخر فلما تمكن من الطب طلبت نفسه شيئاً آخر فدرس المنطق وتوسع فيه وعند ما خرجت الجنود المصرية من سوريا تعين مترجماً للسير وود الذي أرسل قنصلاً لدولة انكلترا في دمشق

وفي سنة ١٨٤٦ قدم الديار المصرية وواظب على ممارسة العمليات الجراحية في مدرسة قصر العيني حتى نال الدبلوما الطبية مع لقب دكتور . ثم عاد الى دمشق وتحركت افكاره في أثناء ذلك حركة دينية فجعل يتردد بين الديانة المسيحية وما ذهب اليه فولتير حتى وقع على كتاب البينة الجلية فاخذ يراجع فيه وفي غيره لعله يهتدي الى ما يريح ضميره من التردد . ثم أخذ يطالع كتباً جدلية بين طائفتي الكاثوليك والبروتستانت وجرى بينه وبين البطريرك مكسيموس مظلوم اذ ذاك مجادلات طويلة انتهت بانحيازه الى طائفة البروتستانت وصار من اكبر المدافعين عنها وعن تعاليمها تكلما وكتابة

وفي سنة ١٨٥٩ تعين فيس قنصل الولايات المتحدة الاميركية في دمشق وفي السنة التالية كانت الثورة المشهورة بل المذبحة المعلومة في دمشق وغيرها من سوريا فاصاب الدكتور مشاقة جراحاً كثيرة ولولا مساعدة الامير عبد القادر الجزائري ما نجا من القتل . ولكنه تمكن بمساعدته من الالتجاء الى مكان طبب فيه جراحه حتى شفي

وبقي هذا الرجل عاملاً في الطب والسياسة والديانة والفقه والحساب وسائر انواع العلوم حتى كانت سنة ١٨٧٠ فاصيب بفالج بجانبه الايمن فانقطع عن اشغال القنصلية فاحيلت لولده نصيف بك

أما هو فلم ينفك عن العمل في بيته ولم يكن يخلو منزله من الزائرين على اختلاف الاجناس والطبقات لمشاهدته وتحقق ما سمعوه عنه . وقد اتيح لنا الحظ بزيارته سنة ١٨٨٣ في منزله بدمشق فاذا به رجل ذو هيبة ووقار يجلله الشيب يلبس العمامة والجبة طويل القامة كبير الجثة لطيف الحديث واسع الاطلاع كثير الترحيب بزائريه كسائر

أهل دمشق . وقد اطلعنا على كثير مما كتبه ولم يطبعه من المؤلفات وفي جملة ذلك رسالة في الالحان الموسيقية العربية ومطول في الحساب والمعين على حساب الايام والاشهر والسنين مذيل بجداول لمدة مئة سنة تحتوي على مطابقة ايام الشهور العربية والرومية والقبطية والعبرانية والهجرية ومواقع كسوف الشمس والقمر لطول دمشق وعرضها وغيرها

أما الكتب التي طبعت من مؤلفاته فاكثرها ديني جدلي وفي جملتها كتاب سماه البرهان على ضعف الانسان جواباً لصديق له كان تابعاً لتعاليم فولتير . وقد طبعت بمجلة المشرق رسالته في الصناعة الموسيقية . ومن مؤلفاته « الجواب على اقتراح الاحباب » وفيه ترجمة أسرته وحوادث أيامه قد طبع مؤخراً باسم « مشهد العيان »

وكانت وفاته في السادس من شهر يوليو (تموز) سنة ١٨٨٨في دمشق الشام وله من العمر تسع وثمانون سنة قضاها في العمل والاجتهاد وخدمة بني الانسان

*

الشيخ عبد الهادي نجا الابياري

ولد سنة ١٢٣٦ وتوفي سنة ١٣٠٦ م

هو من أكبر علماء مصر في القرن التاسع عشر ومن أعظم كتابهم ومؤلفيهم وكان له شأن كبير في النهضة العلمية الاخيرة في القطر المصري

وُلد في ابيار من أعمال الغربية بمصر السفلى سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢١ م) ولم يكد يتلقى مبادىء القراءة حتى مال بكليته الى الدرس والمطالعة فاحب والده ذلك الميل فيه فاخذ يلقنه العلم بنفسه فعلمه الادب وسائر علوم اللغة العربية فادرك منها في بضع سنين شيئاً كثيراً ثم جاور في الازهر مدة طويلة وقرأ على خيرة علمائه كالشيخ البيجوري والشيخ الدمنهوري وغيرهما . ولم يطل الامد حتى ذاع ذكره بين الناس على اختلاف طبقاتهم وتحدث القوم بعلمه وفضله . فاستدعاه اسماعيل باشا الخديوي الاسبق وأثنى عليه وعهد اليه بتعليم انجاله خاصة ومن جملتهم توفيق باشا الخديوي السابق . وكان وهو في ذلك المنصب يتصدر للتدريس والاقراء في بيته وفي الجامع الازهر وأخذ عنه كثيرون من الذين اشتهروا بعدئذ بالعلم والفضل كالشيخ حسن الطويل والشيخ محمد البسيوني وغيرهما من أكابر علماء الازهر

ولما تولى المرحوم توفيق باشا اريكة الخديوية المصرية قربه اليه وأحله محلاً رفيعاً وجعله امام المعية ومفتيها فبقي على تلك الرتبة حتى توفي سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨)

وكان رحمه الله طائر الشهرة قصده أهل عصره وكاتبه كثيرون من فضلائه . وله رسائل مدونة مع أكابر العلماء والشعراء كالشيخ احمد فارس والشيخ ناصيف اليازجي والشيخ ابراهيم الاحدب وغيرهم وله مؤلفات كثيرة ربما زادت على أربعين مؤلفاً لم يطبع منها الا بعضها وأشهر ما طبع منها :

(١) سعود المطالع : وهو كتاب جمع فيه واحداً وأربعين فناً في شرح لغز باسم اسماعيل على نسق غريب . وجعله تحفة للخديوي اسماعيل باشا وطبع في بولاق سنة ١٢٨٣ هـ في مجلدين عدد صفحاتهما نحو سبعمائة صفحة

(٢) نفح الاكمام في مثلثات الكلام : طبعت في مصر سنة ١٢٧٦ وهو تفسير الالفاظ التي تحتمل ثلاثة معانٍ باختلاف حركاتها

(٣) الوسائل الادبية في الرسائل الاحدبية : هي مكاتبات في مواضيع لغوية أدبية جرت بينه وبين المرحوم الشيخ ابراهيم الاحدب في بيروت

(٤) الكواكب الدرية في نظم الضوابط العلمية

(٥) نيل الاماني في توضيح مقدمة القسطلاني

(٦) الباب المفتوح لمعرفة أحوال الروح . تصوف

ومن مؤلفاته المهمة التي لم تطبع

(١) كتاب ترويح النفوس على حواشي القاموس

(٢) القصر المبني على حواشي المغني

(٣) صحيح المعاني في شرح منظومة البلبياني

(٤) الفواكه في الادب

(٥) الدورق في اللغة

(٦) النجم الثاقب في المحاكمة بين البرجيس والجوائب . وسبب وضعه انه كان بين صاحب الجوائب المطبوعة في الاستانة والبرجيس المطبوع في باريس مناظرة في المسائل اللغوية افضت الى المشاحنة والتنافر ودام الامر بينهما طويلا فكتب الشيخ عبد الهادي كتابه المشار اليه للفصل بينهما

شفيق بك منصور

ولد سنة ١٨٥٦ وتوفي سنة ١٨٩٠

هو من نوابغ الناشئة المصرية في القرن الماضي وُلد في القاهرة سنة ١٨٥٦ وابوه منصور باشا يكن فربي في مهد العز والفخار وعني والده في تعليمه فاقام مدة في مدرسة النيل ثم في مدرسة العباسية ثم اتقن العربية والفرنساوية والتركية على أساتذة مخصوصين

وسافر سنة ١٨٦٩ الى باريس مع صاحب الدولة البرنس حسين باشا كامل[1] عم الجناب العالي فلم يقم فيها الا قليلاً لانتشاب الحرب بين الالمان والفرنساويين سنة ١٨٧٠ فعاد الى مصر ثم رجع منها الى سويسرا سنة ١٨٧١ واستقر هناك ست سنوات يشتغل في العلوم الرياضية وكان شديد الميل اليها ودرس العلوم الطبيعية فنال منها حظاً وافراً . واشتهر بين اقرانه بحل المسائل الرياضية العويصة ثم بما كان ينشره من هذا القبيل في مجلة المقتطف . ثم ذهب الى باريس فأقام فيها اربع سنوات قرأ في اثنائها علم القوانين وحاز قصب السبق وامتاز على اكثر معاصريه بما اختص به من قوة العارضة وطلاقة اللسان ودقة النظر وسداد الرأي

فعاد الى مصر ومحبوها يتمنون لها مئات من أمثاله ويودون ان يكون قدوة لشبانها. فلما تشكلت لجنة تحقيق جنايات حريق الاسكندرية سنة ١٨٨٣ على أثر الحوادث العرابية انتدبته الحكومة المصرية وكيلاً للنائب العمومي فاظهر من الاقتدار في المسائل القانونية وطهارة الذمة وقوة الحجة ما بهر كبار المحامين ودهاة رجال الثورة في أثناء دفاعه وشروحه ومطالبته ولم تمض برهة حتى تشكلت المحاكم الاهلية فتعين قاضياً في محكمة الاستئناف ثم صار وكيلاً للنائب العمومي ورئيساً لنيابة محكمة الاستئناف

وفي سنة ١٨٨٧ استقال من هذا المنصب بعد ان خدم خدماً ثمينة في تنظيم المحاكم وتحسين ادارتها فتعين سنة ١٨٨٨ مستشاراً في محكمة الاستئناف الاهلية. وفيما هو يعمل في منصبه ويطالع ويؤلف ويباحث ويحقق اصابته علة في عينيه حالت بينه وبين مطامعه فشخص في ربيع عام ١٨٩٠ الى أوربا لمعالجتها على أن يعرج في أثناء عودته بالاستانة ويقترن بكريمة البرنس عبد الحليم باشا فأصابه وهو في أوربا داء حار فيه شاركو وبوشار وغيرهما من نخبة أطباء تلك القارة حتى قطعوا الامل من شفائه فاشاروا بعودته الى مصر . فعاد فخفت وطأة المرض بدون علاج حتى نال الشفاء لكنه ما لبث ان

---

(١) المغفور له السلطان حسين الاول

انتكس داؤه وعز شفاؤه حتى توفاه الله في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٠ وهو في الرابعة والثلاثين من عمره فبكاه الناس لعلمه وذكائه ولما كانوا يرجونه من أعماله وخدمه للعلم والادارة

على انه ترك آثاراً لا يزال أهل القطر ينتفعون بها الى اليوم فضلا عن انتفاعهم بما كان ينشره من نفثات اقلامه في المقتطف وغيره وما كان يبثه بين ظهراني قومه من روح النشاط والسعي في طلب العلم . ومن مؤلفاته كتاب التفاضل والتكامل بسط فيه قواعد هذا الفن بسطاً يقربه من افهام الطلبة . وله كتب في مبادىء الحساب والجبر



(ش ٣٠) : شفيق بك منصور

والهندسة والقوسموغرافيا اقترحت الحكومة المصرية عليه تأليفها لتدريسها في مدارسها فكانت عمدة هذه الدروس في كل مدارس مصر . ونقل كتاب رياض المختار وكتاب اصلاح التقويم من التركية الى العربية وكلاهما لصاحب الدولة مختار باشا الغازي. واشتغل في تطبيق الموسيقى العربية على العلامات الافرنجية والف في ذلك رسالة مسهبة لم تنشر وله رسالة في الفرنساوية طبق فيها الجبر على بعض المسائل الفقهية واشتغل في شرح القانون المدني وغير ذلك

*

الشيخ يوسف الاسير

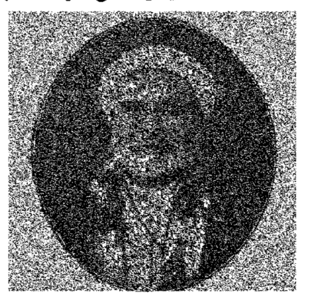
ولد سنة ١٢٣٠ هـ وتوفي سنة ١٣٠٧ هـ

هو الشيخ يوسف بن السيد عبد القادر الحسيني الاسير وُلد في مدينة صيدا من أعمال سوريا سنة ١٢٣٠ هـ وربي في حجر والده وتلقى مبادىء العلوم فختم القرآن وهو في السابعة من عمره وكان ابوه تاجراً فلم يمل هو الى التجارة بل عكف على العلم فدرس شيئاً على الشيخ احمد الشرمبالي. وكان ميالاً منذ نعومة أظفاره الى العلم فلما بلغ السابعة عشرة شخص الى دمشق ومكث في مدرستها المرادية نحو سنة فاخذ شيئاً من العلم عن علمائها . ثم بلغه خبر وفاة والده فعاد الى صيدا ودبر أحوال اخوته ومهد لهم سبيل المعيشة ونظراً لتعلقه بالعلم لم تطب له الاقامة في صيدا فشخص الى الديار المصرية واقام في الجامع الازهر سبع سنين يتبحر في العلوم وفيه اذ ذاك جماعة من فطاحل العلماء كالشيخ حسن القويسني والشيخ محمد الدمنهوري والشيخ محمد الطندتاوي والشيخ محمد الشبيني وغيرهم فنبغ في جميع العلوم العقلية والنقلية كاللغة والفقه والحديث والتفسير وصار اماماً يرجع بها اليه حتى أعجب به اساتذته فكتب اليه الشيخ محمد الطندتاوي (وكان اذ ذاك في بطرسبورج) قصيدة يمدحه فيها ويثني على علمه وفضله . وكان في اثناء اقامته بمصر يجالس اكابر علمائها وكثيراً ما كان يحضر الامتحانات العمومية التي كانت تجري بحضور عزيز مصر اذ ذاك في المدارس العمومية فيقترح اكثر المسائل على التلاميذ باشارة مشائخه

ثم اعتراه مرض الكبد فعاد الى صيدا ولكنه لم يرتح الى الاقامة فيها اذ لم يجد فيها مجالاً لنشر فضله فسافر الى طرابلس الشام فلاقى من علمائها ووجهائها حسن الوفادة والرعاية فقضى بينهم ثلاث سنوات لم يخل مقامه يوماً من جماعة منهم وأخذ عنه العلم كثير من افاضلهم . وأخيراً اختار الاقامة في بيروت لجودة هوائها فهرعت اليه الطلبة وكثر مريدوه وتولى في أثناء ذلك رئاسة كتابة محكمة بيروت الشرعية في ايام قاضيها مصطفى عاشر افندي . ثم تولى الفتوى في مدينة عكا ثم تعين مدعياً عمومياً في جبل لبنان على عهد متصرفه داود باشا . ثم انتقل الى الاستانة العلية وتولى رئاسة التصحيح في دائرة نظارة المعارف وتعين في الوقت نفسه استاذاً للغة العربية في دار المعلمين الكبرى ونال في اثناء اقامته بالاستانة مقاماً رفيعاً بين رجال الاستانة وعرضوا عليه منصباً من المناصب الرفيعة براتب جزيل على وعد الترقي فابى رغبة في مواصلة

خطته العلمية . ثم ثقلت عليه وطأة البرد في الاستانة وهمّ بالرجوع الى بيروت فأسف وزير المعارف اذ ذاك على خسارته وماطله في قبول استعفائه على أمل استبقائه لما آنس من سعة علمه وعاين من رواج الكتب التي صححها . ولكنه اصر على النزوح الى ربوع الشام فعاد اليها واقام في بيروت وأخذ يبث العلم بين طلبتها وا كب على التأليف والتصنيف وكان اشتغاله غالباً في الفقه واللغة فالف كتاباً في الفقه سماه رائض الفرائض وشرح كتاب اطواق الذهب تأليف الزمخشري ونظم كثيراً من القصائد الرنانة طبع منها جانب كبير في ديوان يعرف باسمه

وكان على جانب عظيم من الرقة والدعة ولين الجانب وحسن المعاشرة يحب العلم والعلماء ويأخذ بناصرهم وكان شافعي المذهب سالكا مسلك الاقدمين في حب العلم والرغبة في نشره ابتغاء الفائدة العامة . وكان لحسن عقيدته راغباً عن الدنيا زاهداً فيها



(ش ٣١) : الشيخ يوسف الاسير

ثابتاً في اتباع فروض الدين لا يستنكف من حمل حاجيات بيته الضرورية بنفسه وكان كثير الشغف بتلاوة القرآن الكريم أو سماعه كل يوم

وكان ربع القامة معتدل الجسم أسمر اللون أسود الشعر كث اللحية صادق الوعد قوي الذاكرة اذا سئل اجاب في أي موضوع كان مع تقريب الموضوع من ذهن السامع ببسيط العبارة

توفي سنة ١٣٠٧ هـ وله من العمر سبع وسبعون سنة ودفن في مقبرة الباشورة ببيروت وترك خمسة ذكور وبنتين ولم يترك لهم شيئاً سوى الذكر الحسن وقد أسف أهل بيروت وسائر أهل الشام على فقده لان جماعة كبيرة منهم اخذوا العلم عنه وما برح مرجعاً للفائدة علماً وعملاً حتى توفاه الله

الشيخ ابراهيم الاحدب

ولد سنة ١٢٤٢ هـ وتوفي سنة ١٣٠٨ هـ

هو من علماء بيروت في القرن الماضي وُلد في طرابلس الشام سنة ١٢٤٢ للهجرة تلقى مبادىء العلم فيها وقرأ القرآن على الشيخ عرابي والشيخ عبد الغني الرفاعي . فتعلم التفسير والحديث والاصول والكلام واللغة والفرائض والنحو وسائر علوم اللغة . وفي سنة ١٢٦٤ هـ عكف على التدريس فنبغ من تلامذته جماعة من الافاضل في طرابلس وكان ذا قريحة شعرية مع سرعة الخاطر حتى بلغ ما نظمه نحو ثمانين الف بيت وندر من بلغ هذا القدر من النظم

وزار الاستانة على عهد السلطان عبدالعزيز ثم جاء القطر المصري واجتمع باجل علمائه فرحبوا به وفي جملتهم الشيخ عبد الهادي نجا الابياري وفي « الوسائل الادبية في الرسائل الاحدبية » خلاصة ما دار بينهما من المراسلة الادبية

واشتهر صاحب الترجمة ببراعته في الفقه الحنفي وكانت محاكم جبل لبنان تعتمد على فتاويه وتحكم بمقتضاها وكاتب العلماء والادباء في انحاء العالم العربي وامتدح الامراء والوزراء وخصوصاً المرحوم الامير عبد القادر الجزائري الشهير في دمشق . ومدح المرحوم محمد صادق باشا باي تونس فاجازه . وفي سنة ١٢٦٨ هـ استدعاه سعيد بك جنبلاط حاكم مقاطعة الشوف حينئذ واتخذه مستشاراً في الاحكام الشرعية والامور العقلية . وفي سنة ١٢٧٦ استقدم الى بيروت وعين نائباً في المحكمة الشرعية . وعند اجراء تنسيقات النواب جعل رئيساً لكتاب المحكمة المذكورة وظل في هذا المنصب ما ينيف على ثلاثين سنة تولى في أثنائها تحرير ثمرات الفنون وله فيها مقامات ورسائل أدبية وفصول حكمية . ولما تشكلت ولاية بيروت انتخب عضواً في مجلس المعارف مع اشتغاله في التدريس والتأليف ونقل الكتب حتى قيل انه نقل الف كتاب بخطه

ومن آثاره (١) « ديوان شعر » نظمه في صباه ورتبه على ثمانية فصول

(٢) ديوان « النفح المسكي في الشعر البيروتي » نظمه ١٢٨٣ في بيروت

(٣) ديوان آخر نظمه بعده

(٤) مقامات تبلغ ثمانين مقامة أملاها على لسان ابي عمر الدمشقي واسند رواياتها الى ابي المحاسن الطرابلسي على نحو مقامات الحريري

(٥) فرائد الاطواق في أجياد محاسن الاخلاق . تحتوي على مائة مقالة نثراً ونظماً على مثال مقامات الزمخشري

(٦) فرائد اللآل في مجمع الامثال : نظم فيه الامثال التي جمعها الميداني في نحو ستة آلاف بيت . وقد شرح هذا الكتاب في مجلدين وجمله خدمة لجلالة السلطان . وعني ولداه بطبع هذا الكتاب بعد موته فجاء كتاباً ضخماً صفحاته تسعمائة صفحة كبيرة مطبوعة طبعاً جميلاً تلونت به الامثال باللون الاحمر لتظهر وحدها دون سائر النظم والشروح

(٧) تفصيل اللؤلؤ والمرجان في فصول الحكم والبيان فيه ٢٥٠ فصلا في الحكم والآداب

(٨) نشوة الصهباء في صناعة الانشاء

(٩) منظومة اللآل في الحكم والامثال

(١٠) كتاب ابداع الابداء لفتح ابواب البناء في التصريف

(١١) كشف الارب في سر الادب وهما مطبوعان في بيروت

(١٢) مهذب التهذيب في علم المنطق نظماً

(١٣) ذيل ثمرات الاوراق طبع بهامش المستطرف وغيره

(١٤) كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان الف هذا الشرح في اواخر ايامه وطبع بنفقة الاباء اليسوعيين . وله كتب اخرى ورسائل ومنظومات كثيرة . وما زال عاملاً في التأليف والتدريس حتى توفاه الله في بيروت سنة ١٣٠٨هـ

وكان رحمه الله طويل القامة معتدل الجسم ابيض اللون جميل الصورة . وكان حسن المجالسة لين الجانب بشوش الوجه واسع الاطلاع في الفقه واللغة وقد وعى كثيراً من أشعار المتقدمين وأقوالهم وآدابهم ونوادرهم

*

احمد جودت باشا

الوزير العالم التركي

ولد سنة ١٢٣٨ هـ وتوفي سنة ١٣١٢

هو الوزير احمد جودت باشا بن الحاج اسماعيل أغا بن الحاج علي افندي بن احمد اغا بن اسماعيل افندي مفتي مدينة لوفجة المشهور ابن احمد اغا أحد ضباط الحملة العثمانية التي ظهرت على بطرس الكبير امبراطور الروس في الحرب المعروفة بحرب بروث

وُلد في مدينة لوفجة التابعة لولاية الطونة سنة ١٢٣٨ هـ وكان والده من أعيان لوفجة وعضواً من أعضاء مجلسها فربي احمد في حجر والديه وتهذب على يديهما وتلقى مبادىء العلوم البسيطة في وطنه وقد ظهرت عليه مخائل النجابة منذ نعومة أظفاره فلما شبَّ قدم الاستانة العلية سنة ١٢٥٥ هـ في أواخر ايام المغفور له السلطان محمود الثاني المصلح الشهير . فاقام فيها يتلقى العلوم والاداب على أحسن علمائها فاتقن الفقه وأصوله والحديث والتفسير وعلم الكلام والمنطق والفلسفة على انواعها والرياضيات بفروعها والجغرافية والتاريخ واللسان الفارسي وانقن اللسان التركي والعربي حتى نظم الشعر فيها جميعاً . وفي سنة ١٢٦٠ عكف على درس القضاء فنال قصب السبق على اقرانه فاحرز في السنة التالية رتبة ينالها السابقون في هذا المضمار يقال لها (رتبة رؤوس تدريس) وأخذ في التأليف فذاع صيته فعينته الحكومة السنية عضواً في مجلس المعارف العمومة سنة ١٢٦٦ وفي تلك السنة أنعم عليه بالنيشان المرصع من الرتبة الثانية. وفي السنة التالية عين عضواً في المجمع العلمي العثماني (الاكاذيمية) وفي سنة ١٢٧١ تقلد كتابة وقائع البلاد وفي السنة التالية عين قاضياً لغلطة أحد اقسام الاستانة الثلاثة

وكان كلما تقلد منصباً قام بمهامه حق القيام فانهالت عليه الرتب والمناصب والنياشين فنال سنة ١٢٧٣ باية ولاية مكة المكرمة والنيشان المجيدي من الرتبة الثالثة وتعين عضواً في مجلس التنظيمات ورئيساً للقومسيون المنعقد اذ ذاك لترتيب القوانين والنظامات المتعلقة بالاراضي وكان في جملة أعضاء هذا القومسيون وقتئذ محمد رشدي افندي شورواني الذي صار بعدئذ والياً على سوريا ثم ناظراً للمالية ثم صدراً أعظم

وفي سنة ١٢٧٥ هـ سار الصدر الاعظم محمد باشا القبرصي الى الروم ايلي للتفتيش فسار صاحب الترجمة بمعيته . وفي سنة ١٢٧٧ وجهت اليه باية استانبول والنيشان المجيدي من الرتبة الثانية وفي السنة التالية عين عضواً في مجلس الاحكام العدلية على أثر الغاء مجلس

التنظيمات واحالته الى مجلس الاحكام العدلية

واتفق اذ ذاك وقوع اختلال في جهات اشقودره افضى الى تشويش الاذهان فانتدب صاحب الترجمة ان يسير اليها بمهمة خصوصية لاصلاح أحوالها عسكرياً وملكياً فسار اليها واصلح شؤونها ورتب احكامها بمدة يسيرة وعاد

وفي آخر سنة ١٢٧٩ هـ عين مفتشاً في البوسنه والهرسك وقبل سفره وجهت اليه باية قاضي عسكر الاناطول وأحسن اليه بالنيشان المجيدي من الرتبة الاولى وكانت ولاية البوسنه والهرسك الى ذلك الحين خلواً من التنظيمات العسكرية بنوع استثنائي



(ش ٣٢) : احمد جودت باشا

فادخل اليها التنظيمات ورتب أحكامها فنال رضى الباب العالي بنوع خاص فانعم عليه بالنيشان العثماني من الرتبة الثانية ولم يحز هذا النيشان احد من العلماء قبله واهدي اليه بندقية من الطرز الذي فرقه في الجند بالبوسنه والهرسك وقد نقش عليها ما معناه « تذكرة افتخار من السر عسكرية الى حضرة جودت افندي من أجل الهمة التي بذلها في تدريب شجعان بوسنه على الخدمة العسكرية »

وفي سنة ١٢٨١ هـ أرسل في الفرقة الاصلاحية التي سارت لاصلاح ما اختل من شؤون جبال القوازق وكانت تلك الفرقة تحت قيادة درويش باشا مشير المعسكر الهمايوني الرابع فاصلحا الاحوال وضبطا أمور تلك الجبال فلما عادا سنة ١٢٨٢ انعمت الحضرة الشاهانية على صاحب الترجمة بعلبة مرصعة اشارة الى نيله رضاها لما بذله من الهمة والاقدام في اصلاح شؤون القوازق . ثم عين عضواً في المجلس العالي وبعد قليل وجهت اليه رتبة الوزارة السامية ثم ضمت ايالات حلب واطنه والوية القوزاق ومرعش واورفه الى ولاية واحدة قصبتها مدينة حلب عهدت حكومتها اليه فقدمها واستلم زمام الاحكام بهمة ونشاط نحو سنتين حتى اذا كان انقسام مجلس الاحكام العدلية العالي سنة ١٢٨٤ الى قسمين وتشكلت منه هيئتان عرفتا بمجلس شورى الدولة وديوان الاحكام العدلية ولي هو رئاسة ديوان الاحكام العدلية ثم تحولت هذه الرئاسة الى نظارة الديوان ثم الى نظارة العدلية وتشكلت تحت رئاسته لجنة علمية لتأليف كتاب في الفتاوي على مذهب أبي حنيفة فألفه وهو المعروف بمجلة الاحكام العدلية وعليه المعول في سائر المحاكم الشرعية النظامية

وفي سنة ١٢٨٨ عين عضواً في مجلس شورى الدولة وفي السنة التالية عهدت اليه ولاية مرعش ولم يلبث بها الا قليلاً ثم استقدم لتولي نظارة الاوقاف الهمايونية وفي سنة ١٢٩٠ عين ناظراً للمعارف العمومية وفي السنة التالية انحرفت صحة كامل باشا رئيس مجلس شورى الدولة فعين هو نائباً عنه واحيلت اليه ايضاً ولاية يانيه وفي سنة ١٢٩٢ أعيدت اليه نظارة المعارف العمومية . وفي أواخر هذه السنة عهدت اليه نظارة العدلية ثم اقتضت الاحوال ان يتولى تفتيش الروم ايلي مع بقائه على العدلية وفي تلك السنة سمي والياً على سوريا وقبل ان يأتيها اعيد الى نظارة المعارف العمومية وبعد أشهر رجعت اليه نظارة العدلية

وفي سنة ١٢٩٤ تقلد نظارة الداخلية وعهد اليه ان يرتب جنداً من سكان الاستانة باسم الموكب الهمايوني . وفي أواخر تلك السنة نقل من نظارة الداخليـة الى نظارة الاوقاف الهمايونية وفي سنة ١٢٩٥ تعين والياً على سوريا ولـكنه لم يقم فيهـا طويلا بسبب اختلال ظهر في قوزان اقتضى مسيره الى اصلاحه وفيما هو عائد منها فصل عن سوريا وتعين ناظراً للتجارة والزراعة في دار السعادة

وفي سنة ١٢٩٦ استعفى خير الدين باشا من مسند الصدارة فقام هو بمهامها موقتاً ثم عهدت اليه نظارة العدلية . وفي سنة ١٣٠٠ تغير الوكلاء جميعاً فاعتزل الاعمـال واكب على المطالعة والتأليف وفي سنة ١٣٠٣ تعين مأموراً لقسيرية الروم ايلي الشرقي

ولكنه تأخر عن السفر بسبب تكدير جو السياسة اذ ذاك فعاد الى نظارة العدلية . وفي السنة التالية انعم عليه جلالة السلطان بنيشان الامتياز وفي أواخر سنة ١٣٠٥ انفصل عن نظارة العدلية وبقي من أعضاء مجلس الوكلاء الى ان توفاه الله في ٧ ذي الحجة سنة ١٣١٢ وصدرت الارادة الشاهانية أن تنفق حاجيات التجهيز والدفن من الجيب الهمايوني وقد دفن في تربة السلطان محمد الفاتح وله من العمر ٧٤ سنة قضاها في خدمة الدولة والامة علماً وعملا

وكان عالماً فاضلاً اشتهر في كثير من العلوم وخصوصاً العلوم الاسلامية والتاريخ وكان يعرف اللغات التركية والفارسية والعربية معرفة جيدة تكلما وكتابة مع المام بالفرنساوية والبلغارية . وكان سهل الخلق كريم الخصال وديعاً متواضعاً واسع العلم عالي الهمة مخلصاً للدولة

(مؤلفاته) أما مؤلفاته فعديدة في التركية والعربية بين مطبوع وغير مطبوع اشهرها واكبرها تاريخ آل عثمان المعروف بتاريخ جودت طبع بالتركية في تسعة مجلدات وهو جليل في بابه بل هو المرجع الوحيد لتاريخ الدولة العلية . وقد عني في نقله من اللسان التركي الى العربي عبد القادر افندي الدنا رئيس محكمة تجارة بيروت فنشر منه الجزء الاول سنة ١٣٠٧ مطبوعاً طبعاً متقناً في بيروت . ومن مؤلفاته رسائل عديدة في العربية وبعض التعليقات طبعت مجموعة واحدة . وله تتمة شرح ديوان صائب المشهور في الدواوين الفارسية . وكان قد شرع في شرحه فهيم افندي وتوفي قبل انجازه . وله ترجمة القسم الثالث من مقدمة ابن خلدون وهي منشورة باسمه والقسمان الاولان ترجمها صائب افندي . وله بيان العنوان والمعلومات النافعة وتقديم الادوار وكلها رسائل مطبوعة بالتركية . وله في علم المنطق كتاب اسمه (ميعاد سداد) وفي علم الادب (آداب سداد) ومؤلفات في روايات الانبياء وتواريخ الخلفاء مع ترجمة التاريخ المقدس وقد طبعت وشاعت في المدارس للتدريس . وله رسالة في كيفية تربية التوت والدود وقانون نامه الاراضي والنظام المتفرع عنه مع قانون نامه الجزاء الهمايوني وجميع النظامات وتواريخ القوانين الصادرة من مجلس التنظيمات . وله كتاب في ترتيب وظائف العدلية وابتداء تشكيلها مع تنظيم مجلة الاحكام العدلية تحت رئاسته كما قدمنا . وله تعليمات مخصوصة في نظارة المعارف لتدريس الطلبة على أساليب سهلة جديدة وجميع ذلك باللغة العثمانية على ان بعضها قد ترجم الى اللغة العربية كتاريخ آل عثمان ومجلة الاحكام العدلية وغيرها

محمد مختار باشا المصري

ولد سنة ١٨٣٥ وتوفي سنة ١٨٩٧

﴿ ترجمة حاله ﴾ وُلد في بولاق مصر سنة ١٨٣٥ وقرأ مبادىء العلم في مدرسة عباس الاول وفي مدارس أخرى وتلقى الفنون العسكرية في مدرسة البوليتكنيك وانتظم في خدمة الجيش المصري وهو في الثانية والعشرين من عمره ومازال يرتقي في مناصب الجهادية حتى نال رتبة لواء سنة ١٨٨٦

وتولى عدة مناصب مهمة في انحاء السودان قبل ظهور المهدي . فلما فتحت الحكومة المصرية اقليم هرر كان صاحب الترجمة اركان حرب الحملة التي سارت لذلك الفتح . ثم تعين رئيس عموم أركان حرب السودان ولما عقد مؤتمر جنوه العلمي انتدب لينوب فيه عن القطر المصري . ويدل ذلك على ثقة الحكومة الخديوية في أهليته

وبعد خدمات متوالية في نظارة الحربية عينه الجناب الخديوي مأموراً للخاصة الخديوية وما زال في هذا المنصب حتى توفي وقد حاز النيشان العثماني الثاني والمجيدي الثاني والملوكي الايطالي الثاني ومدالية الامتياز الذهبية . وكان عاملاً نشيطاً ساهراً على مصلحته وواجباته . وأصيب في اواخر أعوامه بمرض ما زال يتردد عليه حتى قضى انفاسه الاخيرة في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٩٧

﴿ مؤلفاته وآثاره ﴾ لصاحب الترجمة عدة مؤلفات اكثرها رياضية فلكية وهي:

(١) التوفيقات الالهامية : وهو تقويم كبير لمقارنة السنين الهجرية بالسنين الافرنجية والقبطية من السنة الاولى للهجرة الى عام ١٥٠٠ بعدها مرتبة في جداول سنوية . وقد جعل الاشهر في كل سنة منها متناسقة على ما يقارن اول كل شهر عربي . وبازاء كل شهر أهم الحوادث التاريخية التي وقعت فيه وخصوصاً الحوادث الاسلامية والمصرية بحيث يصح ان يكون هذا الكتاب تقويماً حسابياً يومياً ومعجماً تاريخياً لالف وخمسمائة سنة هجرية . وقد جعله تقدمة لسمو الخديوي عباس باشا الثاني

(٢) المجموعة الشافية في علم الجغرافية ومعها اطلس جغرافي

(٣) جداول تحويل المسطحات المترية الى ما يقابلها من الفدان والقيراط والسهم يبدأ من جزء من مئة من السهم وينتهي الى الف فدان

(٤) ترجمة حال المرحوم محمود باشا الفلكي

(٥) رسالة في سيرة الجنرال ستون الاميركاني وخدماته للحكومة المصرية

(٦) مختصر في تبيين كيفية حساب التقويم وأوقات الصلاة
(٧) رسالة في الكلام على بلاد زيلع وهرر والجالا (بالفرنساوية)
(٨) رسالة في بلاد الجاديبورسي (بالفرنساوية)
(٩) رسالة في رأس هافون ووادي نهوم (بالفرنساوية)
(١٠) رسالة في الكلام على ابتداء الاشهر الهلالية في السنة الاسلامية (بالفرنساوية)



(ش ٣٣) : محمد مختار باشا المصري

(١١) رسالة في السودان الشرقي (بالفرنساوية)
(١٢) رسالة في تحديد أطوال المقاييس والمكاييل والاوزان المصرية ومقارنتها بالمقاييس الفرنساوية والانكليزية (طبعت بالعربية والفرنساوية)
(١٣) نبذة تتضمن اقامة البرهان على معرفة قدماء المصريين لحقيقة شكل الارض
(١٤) مقالة في تخطئة القائلين بامكان استعمال ساعة عامة او ساعات محددة لجميع أقطار الدنيا . وقد تليت هذه المقالة والتي قبلها على اعضاء المؤتمر العلمي في جنوه

(١٥) الطريقة العلمية لاستعمال المسطرة المصرية في قياس القواعد الجيوروزية
(١٦) جدول لرسم خطوط الاطوال والعروض لاية طريقة جغرافية

وللمترجم اختراع فلكي يهم المسلمين كثيراً وهو « دليل القبلة الاسلامية العام » وضعه بضبط وسعة لم يسبق لها مثيل وهو آلة دقيقة عرضت على الجناب الخديوي وحازت قبوله

وبالجملة ان صاحب الترجمة لم يكن يغفل يوماً عن التفكير في تأليف او اختراع . وأكثر ما وجه انتباهه اليه الرياضيات كما رأيت

*

الشهاب الآلوسي

العالم العراقي الشهير

ولد سنة ١٢١٧ هـ وتوفي سنة ١٢٧٠ هـ [١]

هو السيد محمود افندي شهاب الدين ابو الثناء المفسر الشهير بالوسي زاده البغدادي مفتي الحنفية بالعراق ابن صلاح الدين السيد عبد الله افندي رئيس المدرسين في بغداد ومدرس المدرسة العظمى في جامع الامام الاعظم . ابن السيد محمود افندي الخطيب وينتهي نسبه الى الامام الحسين . وأما أمه فصالحة بنت الشيخ حسين افندي العشاري صاحب الديوان المعروف باسمه ومؤلف حاشية شرح الحضرمية في فقه الشافعية

وُلد في جانب الكرخ من بغداد في شعبان سنة ١٢١٧ هـ وهو من بيت عريق في النسب ضليع في الادب ينسب الى آلوس وهي جزيرة وسط نهر الفرات على ٥ مراحل من بغداد فرّ اليها أجداده من وجه هولا كو التتري عند ما دهم بغداد وفتك باهلها

ومنذ نحو ثلثمائة سنة رجع ابناؤه الى بغداد ولبثوا فيها حتى الان . وكان صاحب الترجمة في صغره آية في الذكاء فقرأ العلوم على والده وغيره واستجاز علماء كثيرين كالشيخ علي البغدادي والشيخ علاء الدين الموصلي ومحدث الشام الشيخ عبد الرحمن الكزبري ومفتي بيروت الشيخ عبد اللطيف وشيخ الاسلام ومفتي الديار الرومية أحمد عارف بك واقف المكتبة العظمى في المدينة المنورة . وقرأ وهو شاب بعض الدروس في علم الكلام على الولي المشهور بمولانا خالد الكردي النقشبندي حينما ورد بغداد . ولم يبلغ الثالثة عشرة من عمره حتى نبغ في عدة علوم ثم أخذ يشتغل بالتدريس والتأليف فتخرج عليه كثير من الفضلاء وقصده الطلبة من كل صقع وناد واستجازه الجم الغفير من ذوي العلم والادب . وما لبث ان أصبح العلم المفرد وعلامة العراق فتولى المدرسة المرجانية وأوقفها وقلد سنة ١٢٤٨ هـ منصب افتاء السادة الاحناف وظل وهو في ذلك المنصب الخطير يشتغل في التأليف وتدريس العلوم وقضاء الحاجات لا يضيع ساعة من وقته ولا يضن بشيء مما انعم به الله عليه من العلم والجاه والمال . وسنة ١٢٦٢ هـ قصد الاستانة العلية في عهد السلطان عبد المجيد وعاد منها سنة ١٢٦٧ بالمنح السنية وتفصيل رحلته ذهاباً واياباً مدون في سفرين

(١) اعتمدنا في تحقيق هذه الترجمة على سليمان افندي البستاني ناظم الالياذة العربية

دعاها نشوة الشمول ونشوة المدام . وله تآليف وتصانيف كثيرة منها :

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني وهو أعظمها شأناً وأجلها قدراً في تسعة اسفار كبار جمع فيه خلاصة ما في سائر التفاسير وأزال المشكلات ببراع يدل على ما كان له من غزارة المادة ورواسخ العلم وطول الباع في هذا الموضوع وقد قال فيه أحد تلامذته

ان كان محمود جار الله قد جمعت له المعاني بتفسير وتبيان
فان محمودنا الحبر الشهاب له روح المعاني وكان الفخر للثاني

وقد طبع في مطبعة بولاق سنة ١٣٠١هـ على عهدة ولده متولي المدرسة المرجانية الشيخ نعمان افندي خير الدين

(٢) الاجوبة العراقية وقد طبع في الاستانة

(٣) الطراز المذهب في شرح القصيدة الممدوح بها الباز الاشهب : طبع في مصر

(٤) شرح درة الغواص في اوهام الخواص : طبع في دمشق الشام

(٥) كتاب المقامات الخيالية : طبع في كربلاء

(٦) كتاب الاجوبة العراقية عن الاسئلة اللاهورية : طبع في بغداد

(٧) نشوة الشمول ونشوة المدام : طبع في بغداد أيضاً

(٨) الفيض الوارد في الشيخ خالد : طبع في مصر

(٩) شرح القصيدة العينية في مدائح امير المؤمنين علي كرم الله وجهه : طبع ايضاً في مصر

(١٠) نزهة الالباب : وهي الرحلة الكبرى الجامعة لتراجم الرجال والابحاث العلمية التي جرت بينه وبين شيخ الاسلام

(١١) حاشية شرح القطر لابن هشام : ألفها في شبابه

(١٢) حاشية على شرح ابن عصام في الاستعارة : ألفها في شبابه أيضاً

(١٣) حاشية على مير ابي الفتح في علم آداب البحث

(١٤) شرح البرهان في اطاعة السلطان

(١٥) سفرة الزاد لسفرة الجهاد

(١٦) حاشية على حاشية عبد الحكم السيالكوتي : في علم المنطق

(١٧) رسالة في الامامة رداً على الشيعة

وله علاوة على ما ذكر رسائل وفتاو وحواش وتعليقات كثيرة انتهبت أيدي

الزمان كثيراً منها والباقي غير مطبوع . وتوفي في ٢٥ ﻫ ذي القعدة سنة ١٢٧٠ﻫ ودفن قرب والده المتوفى بالطاعون سنة ١٢٤٨ عن يمين الذاهب الى الشيخ معروف الكرخي قريباً من باب مسجده في الشونيزية وقبره الان مشهور يزار

وكان رحمه الله ربع القامة واسع العينين ضخم الكراديس ريان الجسم غير سمين كث اللحية ابيض اللون مشرباً بحمرة يخيل بوجهه أثر الجدري كريماً مهيباً وقوراً وديعاً محباً للفقراء . وكان مجلسه مجمعاً لارباب الفضل والعلم . ومن قرأ رسائل علماء زمانه ووقف على دواوين فحول الشعراء كعبد الباقي الفاروقي والسيد عبد الغفار الاخرس ورأى انه بيت قصيدهم والامام الذي يرجع اليه علم ما كان له من علو المنزلة والشأن . وقد كتبت الاسفار المطولة في ترجمته منها كتاب « حديقة الورود في مدائح ابي الثناء شهاب الدين السيد محمود » تأليف تلميذه الملا عبد الفتاح افندي المعروف بشواف زاده وهو كتاب كبير في نحو مجلدين وكتاب «أريج الند والعود في ترجمة مولانا العلامة شهاب الدين السيد محمود » لبعض تلاميذه أيضاً . وترجمة للسيد محمد ثابت الدين البغدادي

وله فضلاً عن تآليفه الكثيرة شعر لا نعلم انه جمع في ديوان واكثره في الورع والحكم والتصوف فمن ذلك قوله :

أنا مذنب أنا مجرمٌ أنا خاطئٌ ... هو غافر هو راحم هو عافي
قابلتهن ثلاثة بثلاثة ... وستغلبن أوصافه أوصافي

وقد نظم شعراء عصره القصائد الرنانة في وصفه وتعداد مناقبه. وفي جملة المعجبين به والناظمين في مدحه الشيخ عبد الباقي العمري والشيخ عبد الغفار الاخرس وغيرهما من شعراء العراق

وقد نال من المغفور له السلطان عبد المجيد علامات شرف في جملتها الوسام المرصع العلي الشأن

محمود حمزة الحسيني

العالم الدمشقي الشهير

ولد سنة ١٢٣٦ وتوفي سنة ١٣٠٥ هـ [١]

يتصل نسب السيد محمود حمزة الحسيني بعائلة من أقدم عائلات دمشق حسينية الانتساب أصلها من حران وهاجرت الى دمشق منذ قرون وتوالت نقابة الاشراف فيهم عدة أجيال حتى عرفوا ببيت النقيب . وأول من تولاها منهم اسماعيل بن حسين النتيف سنة ٤٣٠ هـ ونبغ منهم جماعة من العلماء وأهل الفضل ونالوا الرتب العالية لدى ولاة الامر وقد سموا بيت حمزة نسبة الى حمزة الحراني احد أجدادهم . وقد ذكر المحبي تراجم بعضهم وأورد سلسلة انسابهم الى النبي

أما صاحب الترجمة فهو محمود بن محمد نسيب وُلد في دمشق الشام سنة ١٢٣٦ هـ ونشأ في حجر والده كما ينشأ ربيب العز والجد . وكانت المدارس في ايامه ضعيفة فتعلم القرآن واتقن الخط في مكتب ابتدائي وهو في الثانية عشرة واشتهر خطه بالجمال من ذلك الحين ثم عكف على اكتساب العلم واكب على المطالعة والتبحر على علماء دمشق فاخذ الفقه والنحو والصرف والاصول والكلام عن الشيخ سعيد الحلبي وتلقى الحديث والمصطلح عن الشيخ عبد الرحمن الكزبري والتفسير والتصرف عن الشيخ حامد العطار . والمعاني والبيان عن الشيخ عمر الامامدي والفرائض والحساب والعروض عن الشيخ حسن الشطي . والحكمة والوضع والآداب عن منلا بكر الكردي واجيز من الجميع . وطالع اللغة التركية وبرع فيها وصار من اكابر علمائها والمتبحرين فيها يدرك اسرارها ويروي نكاتها ومنظوماتها وآدابها كاحسن فضلائها . ولما اشتهر فضله وجهت اليه النيابات الشرعية سنة ١٢٦٠ ولبث الى سنة ١٢٦٨ وسافر الى الاستانة والاناطول بعد ان انتظم في سلك الموالي سنة ١٢٦٦ هـ ورجع الى دمشق ثم انتظم في سلك اعضاء مجلسها الكبير الذي الغي سنة ١٢٧٧ بعد الحادثة المشهورة وكان في اثناء هذه المدة قد الف تفسيره المهمل والقاموس المهمل الذي الفه للاستعانة به على التفسير المذكور . وقدم تفسيره للسلطان عبد المجيد فانعم عليه بالنيشان المجيدي الرابع وكانت النياشين في ذلك الوقت عزيزة لاينالها الا اصحاب الاعمال العظيمة . وكان يشتغل بالتأليف والتدريس والمطالعة والنظم . وفي سنة ١٢٨٤ تولى افتاء دمشق بل افتاء الديار الشامية

(١) اعتمدنا في تحقيق هذه الترجمة على نعمان افندي قساطلي صاحب تاريخ دمشق

لان سوريا كانت ولاية واحدة . وظل في وظيفته هـذه الى آخر حياته ونال اسمى المراتب العلمية الرسمية وأوسمة الدولة العلية مجيدية وعثمانية لحد الرتبة الثانية . واهداه نابوليون الثالث أمبراطور فرنسا على أثر حادثة دمشق (المشهورة بحادثة سنة ١٨٦٠م) جفتاً بطقم ذهب في صندوق من عاج اقراراً بجميله لما اتاه من الخير بمساعدته مسيحيي دمشق في تلك الحادثة المشؤمة . وحصل بصنيعه المذكور على رضا الدولة العلية واحترام عظماء أوربا وثقتهم

وكان مع تبحره بالعلم واشتغاله به وبمنصبه آية في صناعة اليد يشتغل ادق الاشغال اليدوية واتقنها بغاية الضبط والانتظام . وأما في الكتابة فقد كان آية الزمان بهـا فكان يكتب جميع الخطوط بغاية الضبط والجمال فضلاً عن تفننه بهـذه الصنعة . فقد كتب الفاتحة على حبة ارز وبقي ثلث الحبة فارغاً وترى الكتابة بالعدسية واضحة جميلة الخط جداً . واغرب من ذلك كتابته على ورقة بمساحة فص الخاتم اسماء شهداء وقعة بدر الكبرى وهم ٣١٧ ولـكثرة مشاغله مال الى الرياضة لتجديد قواه فاختار الصيد ومال اليه وغرم به وكان يصرف به أوقات الفراغ فصار صياداً مشهوراً . وقد بلغ بالرماية مبلغاً عظيماً واشتهر بها فيرمي مئة رمية ولا يخطيء في واحدة وقيل انه ما وجه بندقيته الى شيء واخطأه الا ما ندر جداً وبالاجمال انه اتقن كل ما تعاطاه

وكان مقصوداً في قضاء الحاجات يحبه الناس على اختلاف المراتب والنحل يحترمه رجال الدولة والولاة والاجانب . وكان صادقاً في القول والفعل محباً لوطنه ودولتـه مستقيماً متضعاً يأبى الفخفخة . ومع كثرة علامات شرفه وتعداد أوسمته لم يظهر مرة بها الا عند الضرورة

وكان يعتبر الوقت ثميناً لا يضيعه بلا عمل وهذا ما مكنه من القيام بمشاغله الكثيرة وأعماله الخطيرة . ولذلك كان يميل الى الوحدة لا يتداخل فيما لا يعنيه

وكان ذا مهابة وجلال اذا مر بطريق وقف له الناس وتسابقوا بتأثير حبهم له لتقبيل يديه مع اباثه ذلك عليهم لمخالفته طبعه فلدفع هذا كان يختار السلوك في الطرق التي لا يكثر فيها المارة

وقد نظم القصائد الفريدة وصنف التصانيف المفيدة وهاك اسماء ما صنفه :

١ تفسير القرآن بالحرف المهمل في مجلدين كبيرين سماه درر الاسرار
٢ الكمل الى الكلام المهمل الفه للاستعانة به على التفسير المذكور
٣ كتاب الفتاوي نظماً في مجلد
٤ الفتاوي المحمودية (أو الحمزاوية) جلدان ضخمان

٥ نظم الجامع الصغير للامام محمد نحو ثلاثة آلاف بيت من البسيط على قافية واحدة في مجلد أوله

حمداً جزيلاً لذي الاحسان والكرم ثم الصلاة على الهادي الى الامم

٦ نظم أصول الفقه نحو ذلك من البحر والقافية المذكورة

٧ القواعد الفقهية

٨ قواعد الاوقاف

٩ تحرير المقالة في الحيلولة والكفالة على مثال لم يسبق اليه

١٠ جدول الاحق بالحضانة للولد

١١ خلل المحاضر والسجلات

١٢ كشف الستور عن المهاياه في الماجور

١٣ كشف القناع وهو شرح بديعية والده

١٤ غنية الطالب . وهو شرح رسالة الصديق لعلي بن ابي طالب

١٥ تنبيه الخواص على ان الامضاء في الحدود لا في القصاص

١٦ رسالة في الدرهم والمثقال

١٧ مصباح الدراية في اصطلاح الهداية

١٨ التفاوض في التناقض

١٩ رفع الغشاوة عن جواز أخذ الاجرة على التلاوة

٢٠ السوار اللامع في أصول الجامع

٢١ التحرير في ضمان الآمر والمأمور والاجير

٢٢ فتوى الخواص في حل ما صيد بالرصاص

٢٣ تصحيح النقول في جواز دعوى المرأة بالمهر بعد الدخول

٢٤ كشف الجانة عن الغسل في الاجانة

٢٥ الكواكب الزاهرة في الاحاديث المتواترة

٢٦ شرح صلاة ابن مشيش

٢٧ العقيدة الاسلامية

٢٨ كتاب ترجيح البينات المسماة بالطريقة الواضحة

٢٩ عنوان الاسانيد

٣٠ الاجوبة الممضاة على اسئلة القضاة

٣١ مختصر الجرح والتعديل
٣٢ صحيح الاخبار عن التنقيح ورد المختار
٣٣ اعلام الناس
٣٤ القطوف الدانية في خبث أجر الزانية
٣٥ البرهان على بقاء دولة آل عثمان الى آخر الزمان

وله غير ذلك عدة رسائل منها أرجوزة في علم الفراسة . واعتراه في أواخر عمره ضعف برجليه فلزم بيته ولم يخرج منه الا قليلاً مع ملازمة وظيفته والعمل بموجبها . وفي اليوم التاسع من محرم سنة ١٣٠٥ اخترمته المنية عن ٦٩ سنة فكبر خطبه وعظم مصابه وتعطلت دوائر الحكومة وتوقفت أشغال المدينة في ذلك اليوم وأذن له بالآذن وعمّ الحزن والاسف عموم الناس

وكان ربع القامة ممتلىء البدن قوي العضل اسود الشعر طفح الوجه عالي المحيا عريض الحاجبين افرقهما اسود العينين حاد النظر دقيق الانف متوسط اللحية وقد وخط الشيب نحو ربعها حنطي اللون أشعر الجسم وكان بالاجمال حسن المنظر عظيم الهيبة

امين شميل

ولد سنة ١٨٢٨ وتوفي سنة ١٨٩٧

(ترجمته) هو ابن المرحوم ابراهيم شميل من محتد كريم وُلد في كفرشيما من أعمال لبنان في ٢٤ فبراير سنة ١٨٢٨ وقد اشتهرت هذه القرية بجماعة من النابغين في العلم والادارة كآل اليازجي وآل شميل وآل تقلا وقد وردت تراجم بعضهم في هذا الكتاب

دخل صاحب الترجمة في السنة الحادية عشرة من عمره مدرسة المرسلين الاميركانيين فتلقى فيها مبادىء النحو والحساب واللغة الانكليزية ثم تتبع درس اللغة العربية والفقه على اساتذة أفاضل نذكر منهم السيد محي الدين افندي اليافي

ولم يكد يبلغ الحادية والعشرين من عمره حتى صار رجلاً يركن اليه في حل المشاكل فتولى الفصل في خلاف عظيم وقع سنة ١٨٤٩ بين البطريرك مكسيموس مظلوم والمطران أغابيوس فقضى من أجل ذلك سنتين في رومية وزمناً في الاستانة حتى صرف المشكل على ما أراد

وفي يوليو سنة ١٨٥٤ قصد انكلترا فتعرف في لوندرا الى أحد تجار المسلمين المشهورين السيد عبد الله ادابي قنصل الدولة العثمانية في مانشستر فاتخذه السيد مديراً لاشغاله التجارية . وفي سنة ١٨٥٦ أرسله الى بيروت بمهمة تجارية فانجزها وعاد الى منشستر واستأذن السيد عبد الله ادابي بفتح محل تجاري على حسابه الخاص في مدينة ليفربول فاذن له بذلك وشرع من ثم يشتغل بالتجارة . وفي سنة ١٨٦٢ ترك أخاه بشاره في ليفربول يدير حركة محله وجاء سوريا ثم الاسكندرية وفتح فيها محلاً تجارياً مكث فيه نحو عشرة اشهر ثم أدخل أخاه المرحوم ملحم في المحل وأطلق عليه اسم محل شميل اخوان وشركاهم . وفي سنة ١٨٦٣ عاد الى ليفربول واتسع نطاق تجارته فيها اتساعاً عظيماً حتى كان يستأجر بواخر على حسابه الخاص انقل بضائعه من سوريا ومصر الى انكلترا ومن انكلترا الى هذين القطرين . وفي ذلك الاثناء ارتفعت أسعار الاقطان وكلفه بعض عملائه بالاسكندرية ببيع ثلاثين الف قنطار على التسليم باسعار تعدل الليبره فيها ٢٥ بنساً ثم ارتفعت الاسعار الى ٣٠ بنساً وقصر تجار الاسكندرية في تسديد ما عليهم فخسر رجل الترجمة بسبب ذلك ما بين فرق كونترانات وخسائر اخرى ثمانين الف جنيه . وفي سنة ١٨٥٩ جدد محله التجاري بشركة اسهم رأس مالها أربعون الف جنيه . وفي سنة ١٨٧٥ صفى أشغال محله في ليفربول وترك تلك المدينة

وقصد القطر المصري واشتغل في التجارة بالاسكندرية ومديرية الغربية فخسر مع الفلاحين اثني عشر الف جنيه

على ان فشله في التجارة بما توالى عليه من الخسارة لم يفل عزمه ولا أقعده عن العمل وهو يكاد يناهز الستين من عمره فعمد الى استخدام مواهبه العقلية الاخرى فعدل عن التجارة الى التعيش من العلم فاختار مهنة المحاماة مع ما تحتاج اليه هذه المهنة من التعقل والصبر على المراجعة والمقابلة والتبحر والاستنتاج . واصدر سنة ١٨٨٦ جريدة حقوقية سماها الحقوق وهي أول جريدة صدرت في هذا الموضوع في اللغة



(ش ٣٤) : امين شميل

العربية . وبعد وفاته كان يصدرها المرحوم ابراهيم الجمال المحامي وقد تولى معاونة صاحب الترجمة بضع عشرة سنة وعليه اعتمدنا في كثير من حقائق هذه الترجمة

ولم يمض زمن على اشتغال المترجم في المحاماة حتى نال ثقة رجال القضاء خصوصاً والناس عموماً بما فطر عليه من الصدق والاجتهاد ولين العريكة وسلامة الطوية . على ان المصيبة التي اصابته بفقد ولديه في سنة ١٨٨٦ وهما اورن في عمر ١٧ سنة وفردريك في عمر ٢١ سنة وبين الواحد والآخر ١٢ يوماً فقط اسست في قلبه الاحزان المستمرة

ثم جاءت وفاة ابنته البكر امينة سنة ١٨٩٦ فقوضت بنية المتينة حتى انحلت قواه واتاه القدر المحتوم فلباه

(مؤلفاته) ترى مما تقدم ان المترجم قضى معظم حياته العملية في التجارة ولكنه كان وهو تاجر يشتغل في العلم التماساً للذة البحث والكتابة فكان يؤلف الكتب وينظم القصائد وينشيء المقالات فيقضي ساعات الفراغ بما يلذ ويفيد على ان اشتغال رجال التجارة بالعلم في ساعات الفراغ كثيراً مايكون عوناً لهم على الارتزاق عندالضرورة كما اتفق لصاحب الترجمة . فلما انقطع للقضاء انصب بكليته اليه فكتب فيه وفي غيره مؤلفات عديدة منها :

١ الوافي للمسألة الشرقية في كتابين ينقسمان الى ستة أجزاء كبار تشتمل على تاريخ الاسلام الى حرب الروس طبع منه جزء في نحو ٥٥٠ صفحة كبيرة

٢ مقدمات تاريخية علمية . نشرت تباعاً في الحقوق من سنة ١٨٨٦

٣ بستان النزهات في فن المخلوقات . وهو ثلاثة أقسام لم يطبع

٤ سهام المنايا . وهي رسالة ردَّ فيها على بعض المعترضين على الوافي حذا فيها حذو ابن زيدون في رسالته المشهورة

٥ المبتكر هو كتاب مبتكر في بابه يشتمل على خمس مقامات تدعى مقامات الاوهام الآمال والاحكام وخمس وعشرين قصيدة مؤلفة من الف وستة وخمسين بيتاً شرح فيها درجات حياة الانسان السبع من حين تصوره في الرحم الى موته وتواريه في التراب (طبع غير مرة)

٦ الزفاف السياسي . وهي رواية تشخيصية رمزية تمثل حالة الدول في ابان حرب الروس سنة ١٨٧٧ (لم تطبع)

٧ مشروع البنك الوطني . رسالة عرض فيها على الحكومة المصرية انشاء بنك وطني أهلي تشتمل على تفاصيل وافية في بابها

٨ نظام الحكومة الانكليزية

٩ السدرة الجاية في المباحث القضائية

١٠ جريدة الحقوق المتقدم ذكرها . وكان شاعراً مجيداً نظم كثيراً من القصائد الحكمية والفلسفية

(صفاته الشخصية واخلاقه) كان ربع القامة ضخم العضل أبيض اللون أصلع الجبهة حليق الذقن مهيب المنظر مقداماً على الاعمال جلوداً على التعب صبوراً على المصائب كثير العناية في اشغاله شديد المحبة لبنيه وأفراد عائلته لين العريكة كريم

النفس بادي المروءة حاد الطبع في أواخر عمره سريع الرضا قوي الذاكرة شديد الذكاء عزيز النفس صادقاً حر الضمير واللسان . وبالجملة فقد كان مثال الرجولة وعنوان رجال الاعمال

وقد رثاه شقيقه الدكتور شبلي بمرثاة فلسفية نذكر منها الابيات الآتية

ذعر الناس انهم مايتونا جهل الناس انهم ذاهلونا
حيرة المرء في الوجود حياة كل يوم تريك منها شؤونا
قال قوم أعياننا باقيات قال قوم بل اننا فانونا
ان آثارنا لاتبت منا تلك آثارنا تدوم قرونا
قسم الناس بين خلق يجازى ثم قوم يعدّ ذاك مجونا
هل دريتم بما جنيتم فظلو دون انتم وانتم الظالمونا

الشيخ محمد العباسي المهدي (١)

ولد سنة ١٢٤٤ هـ وتوفي سنة ١٣١٥ هـ « ١٨٩٧ »

هو ابن الشيخ محمد امين المهدي مفتي الديار المصرية الاسبق المتوفى سنة ١٢٤٧ نجل المغفور له شيخ الاسلام الشيخ محمد المهدي — وُلد صاحب الترجمة سنة ١٢٤٤هـ وتوفي والده وهو ابن ثلاث واخوه الشيخ محمد عبد اللطيف المهدي ابن خمس . وكان لابيهما شركة مع والي مصر الاسبق المرحوم ابراهيم باشا في مصنوعات القصر من أقمشة وغيرها من تجارة الاقطار السودانية . وبعد والد المترجم حصرت المعية تركته باعتبار انه مدين . وقد استمر المترجم وأخوه في اضطهاد وضيق عيش بسبب ذلك حتى تأهلا لطلب العلم بالازهر الشريف واجتهدا في تحصيله على المرحوم الشيخ ابراهيم السقا والشيخ البلتاني والشيخ خليل الرشيدي . ثم لما ظهر الحق للمغفور له ابراهيم باشا في ادانة والد المترجم افرج عن التركة واستدعى المترجم واسدل عليه خلعة الافتاء في محفل من الاكابر والعلماء ونزل بموكب حافل في ذي القعدة سنة ١٢٦٤ وكان حين ذاك يحضر مقدمة السعد على الشيخ السقا . ومما استلفت انظار الجناب العالي الى اعادة تلك المناصب العالية الى ذلك البيت ان شيخ الاسلام في الاستانة أوصى المرحوم ابراهيم باشا بنجلي المرحوم محمد امين المهدي مفتي مصر الاسبق لما كان يعهده في ابيهما من الامانة وحسن المعاملة والحماية عن الدين

وحيث كان عمر المترجم اذ ذاك احدى وعشرين سنة قد عينه استاذه الشيخ خليل الرشيدي اميناً للفتوى ولحداثة سنه ايضاً لاقى من أهل صناعته مادعاه الى التحري والتحرز حتى اصبح اجدر ائمة عصره بهذه المكانة الرفيعة علماً وسياسة

ومن جليل مقترحاته انه اخترع تطبيق الوقائع على النصوص الشرعية كما يشهد بذلك كتابه « الفتاوي المهدية »

ثم ظهرت فيه الكفاءة التامة لاعظم وظائف الاسلام لما كان له من الادارة ولين العريكة والاقتدار العلمي والحزم والدهاء فاسدلت عليه شياخة الاسلام مع الافتاء في عهد المغفور له اسماعيل باشا في منتصف شهر شوال سنة ١٢٨٧ فدبر نظامها واعاد لها ما أمحل من مرتباتها الى ان ظهرت الفتنة العرابية فعزل عن شياخة الاسلام لتوقفه عن التوقيع على طلب عزل الخديوي السابق توفيق باشا بعد ان بذل من الحزم والدهاء

(١) بقلم نجله الشيخ محمد عبد الخالق الحفني

والسياسة والشهامة ما حير به الالباب . ولم يتمكن احد من أن يمسه بسوء مع تمكن أهل تلك الفتنة من الاستبداد والانتقام من وضيع ورفيع ومن حسن تدبير المترجم ظلَّ ناعم البال محبوباً لدى الاكابر والامراء

ثم بعد ما خمدت نار الثورة وراقت سماء السياسة وانجلت تلك الاباطيل وكانت الدائرة على أهل التضليل اعيدت اليه شياخة الاسلام بالاستحقاق واستمر هكذا مقلد بكلتا الوظيفتين حتى عزل عنهما لمعارضته الحكومة فيما خالف الشريعة الغراء في عهد المرحوم الخديوي السابق توفيق باشا يومئذ واعيدت شياخة الاسلام للشيخ الامبابي وقلد الافتاء الشيخ البنا

وكان الشيخ البنا المذكور شديد الثقة باقتدار المترجم في العلم وغيرته على الدين حتى كان اذا سألته الحكومة ان يقضي في أمر مهم اعلمها بانه لا يقول في الامر شيئاً الا بعد ان يعرضه على المترجم . فكانت الحكومة تلح عليه في الطلب وتقول له انت المفتي الرسمي لا هو . فكان يجيب وان كنت ذلك الا انه هو صاحب القول في الدين . واستمر ذلك الى أن عاد الافتاء الى المترجم بعد قليل واستمر معه الى ان اعتراه مرض المنية وقد عين في اثناء مرضه الشيخ حسونه النواوي وكيلاً عنه ثم أصيلاً بعد حياته واستمر نحو سنتين وعزل عنه وتقلده المرحوم الشيخ محمد عبده

وقد كان المترجم صاحب الحق دون غيره في تعيين القضاة الشرعيين والمفتين (بخلاف الآن فان الحقانية هي صاحبة الحق وحدها) وكان يعين الاكفاء الغيورين ولذا كان يذب عن حقوقهم في كل ما يرى فيه مساساً لكرامتهم فقد اتاه الشيخ حسن العدوي مستغيثاً به حينما استصدر شيخ الاسلام الشيخ مصطفى العروسي أمر المغفور له اسماعيل باشا بابعاده فتوسط له في العفو

وقد كان المترجم رحمه الله شديداً في الدين لا يقول غير الصدق ولا يحيد عن الحق لا تثنيه المرهفات ولا تورطه المرجفات — كم رأى في سبيله من العقبات فازالها بسيف هذا الدين وكم اؤتمن على أرقى المناصب فاداها بالامانة وكم هدده الامراء بالقتل والنفي فلم يجدهم منه شيء ولم ير غير تعزيز الاسلام ملاذاً لتطهير ذمته وشفيعاً له عند ربه يوم لا ينفع مال ولا بنون

طلب منه المرحوم عباس باشا الاول فتيا بان ما بايدي عائلة محمد علي باشا الاكبر من أطيان واملاك هو حق لبيت مال مصر اذ هو حاصل لهم من مال المصريين لما ظنه الوالي من احقية بيت المال به فلم يفته بل قال « لا يسأل المالك من أين ملك » وقد جوز ذلك وافتاه به بعضهم ولما كان من الرسميات افتاؤه تولى الطلب وهو لا يتحول عما

اجاب به الى ان أمر بنفيه في شهر رمضان الى ابي قير حيث كان بها الوالي يومئذ وكرر عليه الطلب فاجابه اخيراً « ان الامير يأبى ان اترك الشرع حتى يقال عني غير احكام الله وأهان الشريعة السمحاء ومع ذلك انا قابل النفي والقتل في سبيل تعزيز ديني » فلما رأى الوالي ان ذلك غير مجد وان المترجم مخلص لدينه ولا غرض له غير اعلاء كلمته اعاده الى مصر وانعم عليه اقراراً باحقية ما فعل وجزاءً له على ما أصاب . وبهذا كان بينه وبين الامراء المودة المكينة بعد عرفانهم بقيمته فقد كان بينه وبين سعيد باشا مودة يضرب بها المثل وخلع عليه الخلع الجزيلة ومنحه المنح الجليلة

وقد كان المترجم عضواً في المجلس العلمي مع شيخه الشيخ السقا والشيخ العروسي والشيخ البقلي وكان اسماعيل نائباً عن الوالي سعيد باشا وقد صادفهم أمور معضلة قد توقف هو وحماة الدين الاعضاء المذكورين عن التصديق عليها لجنوحهم عن الاغراض والسير على غير نمط الشريعة الاسلامية

وقد كانت عضوية هؤلاء الافاضل سبباً عظيماً في معرفة الخديوي الاسبق اسماعيل باشا قدر رجال الدين وقدر المترجم حتى ثبتت مودة المترجم في فؤاده

ومما رفع مكانته لدى الامير المذكور انه أراد الحاق الاوقاف الاهلية بالاوقاف العمومية حينما كان ناظرها وأراد أن يستعيض اربابها ما يكلف معاشهم وسأله الفتيا بالجواز حتى عظم الامر لدى الامير وتجمهر المخالفون له الى أن توالت اليه الرسائل وازداد التهديد فاعلن المترجم انه ليسهل عليه تجرده مما يملك وما ورث عن آبائه من أن يعلن انه حكم بما لم ينزل الله وانه حابى بدينه أو راعه التهديد فراعى جانب المخلوق أو اخذته في الدين لومة . فبعد ذلك دعاه الوالي وعقد مجلساً تحت رئاسته ليقف على حقيقة الخلاف فحضر المترجم ودار حديث الشيخ مع مخالفيه الواحد بعد الواحد حتى اجمع الجميع واقروا بخطأهم فازدادت مكانته رفعة وشكره الوالي لمحافظته على حقوق الشرع الشريف والغى افتاء غيره وصار المترجم مورد استشارة الحكومة في المهمات حتى أوصى المرحوم اسماعيل باشا نجله المرحوم توفيق باشا بالمحافظة على المترجم واستشارته في المعضلات لانه رجل الدولة والدين

ثم ان اسماعيل باشا شرع في بيع شركة الهاجي باشا لرغبته في أطيانها لدين غير مستغرق فتوقف معه المترجم وأورد اليه سبيلاً حلاً حتى ينال قصده عما هو اطهر واطيب عند الله فاشار باقتران ولي العهد بكريمة المدين . وقد رأى الوالي هذه الطريقة انسب واحفظ فاتبعها . وهكذا صار المترجم طول عمره في دفاع عن الدين خصوصاً في وظيفة الافتاء التي استمرت معه اثنتين وخمسين سنة . وأما الشياخة

فاستمرت ثماني عشرة سنة ثم اصيب بنقطة وهو يتوضأ لاداء فريضة الجمعة واحيلت وظيفة الافتاء الى شيخ الجامع بصفته وكيلاً عنه كما ذكر وقد كان ملازماً لاداء الفريضة جماعة طول عمره حتى في ايام مرضه الذي لازمه أربع سنين حتى مات في ليلة الاربعاء ١٥ رجب سنة ١٣١٥ لاثنين وسبعين من العمر (انتهى)

وأشهر مؤلفاته كتاب « الفتاوي المهدية في الوقائع المصرية » وهو كتاب مطول في الافتاء طبع بمصر في سبعة اجزاء وهو مشهور ومتداول

*

امين باشا فكري

ولد سنة ١٨٥٦ وتوفي سنة ١٨٩٩

وُلد امين باشا في القاهرة سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٦) وربي في حجر والده المرحوم عبد الله باشا فكري وسيأتي ترجمته بين الشعراء وكان يومئذٍ في جملة مستخدمي الدائرة السنية على عهد المغفور له سعيد باشا . فلما بلغ أشده أدخله والده المدارس الاميرية على عهد المرحوم اسماعيل باشا الخديوي الاسبق ففاق اقرانه ذكاء واجتهاداً . فكان امتيازه هذا داعياً الى ارساله في جملة الشبان الذين أرسلهم اسماعيل باشا الى



(ش٣٥) : امين باشا فكري

اكس بفرنسا لتلقي علم الحقوق . فعاد من المدرسة حاملاً الشهادة الناطقة بتبرزه في هذا الفن فتعين في المحكمة المختلطة ثم ولاه الخديوي السابق رئاسة النيابة في محكمة طنطا ثم ارتقى الى رياسة النيابة في مصر سنة ١٨٨٨ وقد عرفناه في هذا المنصب نزيهاً نشيطاً قدوة العاملين ومثال اللطف والدعة وهو مع ذلك لا يفتر عن المطالعة والبحث . فالف في اثناء ذلك كتاباً مطولاً في جغرافية مصر والسودان وهو أطول جغرافية في بابها . ثم تعين سنة ١٨٨٩ قاضياً في محكمة الاستئناف الاهلية فلم تزدد الحكومة الا ثقة به واعتماداً عليه وفي السنة التالية انتدبت المرحوم والده لرئاسة الوفد العلمي المصري في المؤتمر الذي انعقد في عاصمة اسوج اذ ذاك فصحبه نجله صاحب الترجمة في جملة أعضاء

الوفد فشاهد اوربا ودرس أحوالها فلما عاد كتب رحلة والده هذه وسماها « ارشاد الالباء الى محاسن اوربا » طبعت بمصر سنة ١٨٩٢ في كتاب ضخم

ثم رأت الحكومة المصرية ان تنتدب لخدمة مصالحها الادارية رجالا من أهل القضاء فكان صاحب الترجمة في جملة من تولى مصالح الادارة . فتولى محافظة الاسكندرية مدة اكتسب بها قلوب اهل الاسكندرية كافة . ثم انتدب لنظارة الدائرة السنية سنة ١٨٩٥ وما زال عاملاً فيها حتى داهمه المرض فقضى مأسوفاً عليه في ١٧ يناير سنة ١٨٩٩ عن ٤٤ عاماً على اثر مرض كان يتردد اليه حيناً بعد آخر وعاوده هذا العام فتحسنت حالته وعاد الى مطالعة أوراق اشغاله في منزله والكل فرحون بصحته فبات ليلة ١٧ يناير والامل ملء صدورهم فاصبحوا فاذا هو قد فاضت روحه وهم لا يشعرون . وكانت وفاته بعارض لا علاقة له بالعلة الاصلية

ومن مآثره فضلا عن الجغرافية المتقدم ذكرها وكتاب ارشاد الالباء انه عني بنشر مآثر المرحوم والده فجمع منظوماته ورسائله في كتاب سماه « الآثار الفكرية » وطبعه ونشره . وله كثير من الرسائل والمنظومات ولو مدَّ في أجله وأوتي صحة لجاء بما يخلد ذكره لانه كان أهلا للعمل بما طبع عليه من الذكاء والنشاط ولكن المنون عاجلته

*

الدكتور دري باشا

ولد سنة ١٢٥٧ وتوفي سنة ١٣١٨

﴿ ترجمة حياته ﴾ وُلد في القاهرة سنة ١٢٥٧ وقد قام والده المرحوم السيد عبد الرحمن احمد من محلة ابي علي القنطرة (بالغربية) الى مصر بعد ان دخل العسكرية في زمن المغفور له محمد علي باشا الكبير وأقام بها سنوات التحق فيها بالدكتور الطائر الصيت كلوت بك لامتيازه اذ ذاك بمعرفة الكتابة والقراءة . ثم عوفي من تلك الخدمة واختار الاقامة في مصر واشتغل فيها بالتجارة في الحبوب وغيرها ورزق باولاد منهم صاحب الترجمة ورباهم كلهم تربية حسنة بتثقيفهم في المدارس واختاروا الطب علماً وعملا فكان لهم فيه ولاولادهم من بعدهم العمل النافع للبلاد والعباد

ولما بلغ صاحب الترجمة السابعة من عمره (١٢٦٤ هـ) ادخل مدرسة المبتديان المعروفة الان بمدرسة الناصرية ولم يتم فيها سوى بضعة أشهر . ثم ألغاها المرحوم عباس باشا الاول في تلك السنة التي عرفت بسنة (البرار والبراماز) أي سنة ما ينفع وما لا ينفع . فانتقل مع من انتخبوا من التلامذة الى المدرسة التجهيزية وكانت في الازبكية ومكانها الان فندق شبرد . وبعد بضعة اشهر انتقل تلامذة هذه المدرسة الى مدرسة ابي زعبل فاقام فيها صاحب الترجمة الى ان أكمل دروسها او كاد . ثم انتخب تلميذاً في مدرسة المهندسخانة وكانت في بولاق مصر وناظرها المرحوم علي باشامبارك. على انه كان يميل بطبعه الى الطب فكان يترقب الفرص لنيل مقصده . ولكنه لم يوفق الى ذلك الا سنة ١٢٦٩ هـ بعد صبر وعناء . فالحق بتلامذة الفرقة الخامسة منها (سنة اولى . وفي الامتحان العمومي السنوي نقل الى الفرقة الرابعة وفي مثله من السنة التاليـة نقل الى الفرقة الثالثة وهو يجد في الطلب لا يعلم ما خبأه القدر له ولسائر التلامذة . فلم تشعر المدرسة الا وقد جاءها المرحوم علي بك علوي يدعو تلامذتها جميعاً الى الديوان الخديوي بالقلعة بامر المغفور له سعيد باشا فخرجوا اليها واصطفوا امام الديوان ينتظرون ما لا يعلمون حتى خرج اليهم المرحوم سعيد باشا بنفسه في ابهة ملكه ومعه المرحوم الدكتور محمد بك شافعي الحكيم ناظر المدرسة الطبية وغيره وفرز التلامذة بنفسه فجعلهم ثلاثة اقسام بحسب أعمارهم . فحديثو السن جداً أمر بطردهم من المدرسة والمتوسطون ان يلحقوا بالشوشخانة السعيدية (اورطة عسكرية) والمتقدمون ألحقهم بالمدرسة العسكرية الحربية في بلدة طره . وكان صاحب الترجمة من المتوسطين في السن فالحق بالعسكرية . فصرفت لهم الملابس العسكرية والجربنديات

واقفلت مدرسة الطب وخلت المدارس المصرية من علوم الطب والاطباء

ولكن صاحب الترجمة لم يجيء في خاطره مع ذلك ان يترك ما تعلمه من العلوم بل بقي يتذكره ويتعهده بالتفكر فيه طمعاً في أن يعود الحاكم الى صوابه فيعيد المدرسة الطبية فيعود هو اليها ويكمل علومها . وغلب اليأس على رفاقه وهو يعزيهم وينشطهم حتى صدرت الاوامر بالعفو عنهم وجعلهم تمرجية (ممرضين) في الجيش



(ش ٣٦) : الدكتور دري باشا

وبقي صاحب الترجمة تمرجياً ينتقل من أورطة الى أورطة ومن آلاي الى آلاي حتى نال رتبة الجاويش ثم جاءت الهيضة سنة ١٢٧٢هـ فاشتغل في معالجة المرضى وتلطيف حالهم زمناً طويلاً مع العناية بالمرض والرفق بالمريض. وابتدأ من ذلك العهد في تأسيس آرائه في هذا المرض وتدوين مشاهداته فيه ونشر اكثر ذلك في رسالته المعروفة

بالاسعافات الصحية في الامراض الوبائية الطارئة على مصر في سنة ١٣٠٠ هـ وهي مشهورة طبعت على نفقته في المطبعة الاميرية

وفي سنة ١٢٧٣ هـ عاد الى مصر مؤسس مدارسها الطبية الشهير كلوت بك والتمس من ولي أمرها المرحوم سعيد باشا اعادة المدرسة الطبية الى ما كانت عليه فاجابه الى ذلك وصدر أمره العالي بجمع تلامذتها من الالايات وارجاعهم الى المدرسة فعادوا اليها وامتحنوا فعاد صاحب الترجمة الى الفرقة الثالثة . وما زال في المدرسة حتى اتم الطب وخرج منها طبيباً ماهراً وعالماً مدرساً في فنونها وتعين فيها بوظيفة مساعد ومعيد لعلم الجراحة بمرتب قدره ثلاثة جنيهات في كل شهر

وفي عام ١٢٧٨ هـ توجه سعيد باشا الى أوربا وصحبه في رحلته اليها المرحوم محمد علي باشا الحكيم فشاهد تقدم فن الجراحة في باريس فحرك ذلك غيرة سعيد باشا لارسال فريق من النابغين في المدرسة الطبية المصرية الى باريس ليتقنوا هذا الفن ويعودوا الى مصر في زمن قريب التماساً لقلة النفقات ولامكان الانتفاع بهم قريباً من جهة أخرى . فبعث بهذه الارسالية في عام ١٢٧٩ هـ وفيها صاحب الترجمة وكان اصغرهم سناً ورتبة . وبعد أقل من عام توفي المرحوم سعيد باشا وخلفه المرحوم اسماعيل باشا فعرض عليه شافعي بك الحكيم ناظر مدرسة الطب استرجاع تلك الارسالية لان مصر في حاجة الى الاطباء فصدر أمر اسماعيل بارجاعهم فعادوا جميعاً ما عدا صاحب الترجمة لصغر سنه

وبعد رجوع رفاقه اشتغل هو باتمام معارفه العلمية والعملية على أشهر الجراحين في ذلك الوقت الدكتور نيلاتون والدكتور نيليو ولازم عيادة الاول الجراحية مدة سنتين كاملتين فاظهر من العناية والمهارة بحيث لم يتمالك هذا الاستاذ عن الاعجاب به وتبشيره بمستقبل مجيد وحث رفاقه على الاقتداء به

وظل صاحب الترجمة مقبلا على العلم والعمل في باريس الى أن نال شهادة الدكتورية فاراد رئيس الارسالية هناك ان يعيده الى مصر فالتمس بقاءه مدة أخرى لاتمام العمل في بقية المستشفيات فألح عليه الرئيس في الرجوع الى مصر . وبلغ ذلك الدكتور نيلاتون فكتب الى هذا يقول « يجب الالتفات لدري المصري والعناية بشأنه لانه قلَّ أن يوجد له نظير في الاقبال على العمل والاستفادة مما يشاهده منه وانني في غاية الامتنان واثني عليه أحسن الثناء » فاقتنع رئيس الارسالية بذلك وبعث الى صاحب الترجمة ان يخبره بكل ما يحتاج اليه

وفي هذه الاثناء وصل الخديوي اسماعيل باشا الى فرنسا فلقيه الدكتور نيلاتون

واطنب له كثيراً بصاحب الترجمة واثنى على اعماله واجتهاده وساعده على ذلك جمهور من الحكماء الذين كانوا في حمامات فيشي . فحرك ذلك عاطفة الرعاية في الخديوي اسماعيل وأمر بان يعطى لصاحب الترجمة عدة كتب وبعض آلالات الجراحية ومئة بينتو . فاخذ الكل وضم المال المنعم به عليه الى ما كان معه واشترى به القطع التشريحية التي أحضرها معه من البلاد الاوربية الى الديار المصرية وبقيت أثراً له الى الآن

وفي عام ١٢٨٦ هـ وصل الى مصر وانعم عليه برتبة الصاغقول أغاسي وعين حكيمباشي قسم العطارين في الاسكندرية ثم عين حكيما ثانياً لقسم الجراحة في مستشفى الاسكندرية . وبقي بها الى أواخر عام ١٢٨٨ ثم نقل الى مصر وعين معلماً ثانياً لعلم التشريح وجراح باشي اسبتالية النساء بالقصر العيني وظل بها الى عام ١٢٩١ ثم عين معلماً أول لفن التشريح وجراح باشي اسبتالية النساء وانعم عليه برتبة البكباشي . وبقي كذلك الى عام ١٢٩٤ فانعم عليه برتبة امير آلاي . وما زال في مستشفى القصر العيني بوظيفة جراح باشي وأستاذ أول الجراحة والكلينيك الجراحي الى عام ١٢٩٩هـ وفيها انعم عليه برتبة المتمايز . وفي عام ١٣١٥ انعم عليه برتبة امير ميران الرفيعة الشأن وفي اثناء هذه المدة قلد عدة نشانات علمية منها نشان الحرب بين الدولة العلية والروسيا فانه كان قد أرسل مع الجيش المصري وعين حكيمباشي اسبتالية صوفيا . وكان له من العمل في هذا السفر والاهتمام بالمرضى ما لم يشاركه فيه سواه

وما زال استاذ أول للجراحة في القصر العيني حتى جعلوا التعليم فيها باللغة الانكليزية فاحيل على المعاش فتفرغ لاعماله الخصوصية ثم دهم بفقد صهره وابن اخيه حامد بك صدقي فأثرت وفاته تأثيراً شديداً على صحته فتوالت عليه العلل حتى توفاه الله في ليلة ٣٠ يوليو سنة ١٩٠٠ (١٣١٨ هـ)

(أخلاقه واعماله) كان رحمه الله محباً لقومه ساهراً على مصلحتهم مستهلكاً في خدمتهم حتى لقد يحيي ليله مفكراً في أحوالهم ومصيرهم . وقد حدا بهذلك الى صرف عنايته وماله وراحته في رفع منار بلاده في السبيل الذي يستطيعه . فانفق معظم ثروته في اختيار الكتب وجمع رسوم مشاهير المصريين وغيرهم وحفرها كلها على النحاس في باريس ولا غرض له من ذلك الا احياء ذكر الفضلاء . ناهيك بما انفقه من العناية في رسم صور الامراض التي لها أجسام واشكال . ولم يقف عند هذا الحد ولكنه كلف نفسه عملاً ليس هو من لوازم مصلحته فاحضر مطبعة كاملة الادوات سماها المطبعة الدرية طبع فيها مؤلفاته ومؤلفات غيره . ولا ريب عندنا انه لم يكن يستثمر من

وراء ذلك غير التعب والخسارة ولكنه كان يفعله مدفوعاً بغيرته على العلم والعلماء ورغبته في خدمة وطنه ومواطنيه

واشتهر الدكتور دري باشا بفن الجراحة وفي منزله مجموعة تشريحية جاء بها من أوربا وجمع شيئاً آخر هنا . وقد شاهدناها منذ بضع وعشرين سنة وكنا قد جئنا لاتمام درس الطب في مدرسة قصر العيني . وكان هو من جملة اساتذتها وبيدنا كتاب توصية باسمه من صديق له في بيروت . فصحبنا الى منزله أحد اصدقائنا من تلامذة القصر يومئذ (الدكتور نعمة الله بك طحان من أطباء الجيش المصري الآن) فاستقبلنا الدكتور دري أحسن استقبال وأحب من باب المباسطة أن يمتحن معرفتنا في فن التشريح فجاءنا بجمجمة صناعية ظهرت فيها الاعصاب أحسن ظهور وسألنا عن العصب الخامس وفروعه وهو من أصعب مسائل التشريح فاجبناه بما حضرنا وهو يسمع ويبتسم . ثم دعانا الى حجرة التشريح واطلعنا على ما عنده من التماثيل التشريحية وغيرها . فعلمنا من ذلك اليوم انه ذو ولع شديد في مهنته وقد تحققنا ذلك فيما بعد مما سمعناه عنه وشاهدناه من آثار فضله

وكان مدققاً كثير الانتباه للفرص التي تعرض له في معاطاة مهنته . فاذا جاءه مريض ذكر في دفتر خاص بالمرضى اسم المريض ومرضه والعلاج الذي عالجه به وتاريخ سير العلة بالتفصيل والايضاح . فلما احيل على المعاش في آخر حياته جمع ذلك كله في مجموعة اهداها الى قصر العيني . وهي لا تزال محفوظة هناك وقد كتب عليها « مجموعة محمد دري باشا الحكيم »

واشتهر بين الاطباء بدقة التشخيص وصدق الانذار حتى يكاد يقرب ذلك من الالهام . فاذا شاهد مريضاً وانذره أو بشره كان كما قال . وكان متعلق الذهن بمرضاه فاذا عمل عملية مهمة وعاد الى بيته لا يهدأ باله على مريضه حتى يفتقده مراراً اما برسول خاص واما أن يذهب هو بنفسه . ولا فرق عنده في ذلك بين الغني والفقير وربما كان اكثر عناية بالفقير مما بالغني . ويذكرون من فضله بنوع خاص مواساته الناس في أزمنة الاوبئة الوافدة ومعالجتهم بما سهل ورخص . ومن آرائه الخصوصية في الجراحة ان العمليات الجراحية تكون عاقبتها سليمة اذا عملت في شهر بؤونة وابيب ويليهما كيهك وطوبه . اما مؤلفاته التي ظهرت في عالم المطبوعات فهي :

١ رسالة في الهيضة الوبائية وفيها وصف الهيضة وطرق معالجتها بالادوية البسيطة

٢ كتاب بلوغ المرام في جراحة الاقسام . هو كتاب في الجراحة مطول مزين

بالرسوم والاشكال ظهر منه ثلاثة مجلدات ضخمة طبعت كلها في مطبعته والرابع كان عند وفاته لا يزال تحت الطبع

٣ كتاب التحفة الدرية في مآثر العائلة المحمدية العلوية جاء فيه على خلاصة تراجم أعضاء العائلة الخديوية مع رسومهم ورسوم انجالهم

٤ كتاب تذكار الطبيب طبع مرتين اخيرتهما سنة ١٣١٣ يشمل كل التذاكر الطبية التي كان يصفها مشاهير الاطباء في مستشفى قصر العيني. وهو كتاب ضخم صفحاته ٤٣٦ صفحه ويسهل حمله في الجيب

٥ ترجمة حياة المغفور علي باشا مبارك استخرجه من الخطط التوفيقية وطبعه في مطبعته سنة ١١٣١ وهناك كتب أخرى لم يطبعها. وقد ظهرت في مطبعته كتب أخرى لمؤلفين آخرين

*

السيد اقليميس يوسف داود

رئيس اساقفة دمشق على السريان

ولد سنة ١٨٢٩ وتوفي سنة ١٨٩٠

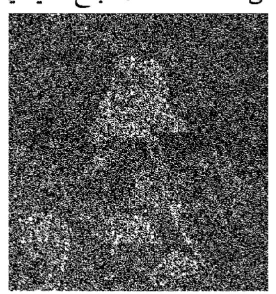
هو يوسف بن داود بن بهنام من عائلة زبوني وُلد في العمادية من بلاد كردستان على مسافة ثلاث مراحل من الموصل . وأصل عائلته من الموصل فلما بلغ الخامسة من عمره عاد به ابوه اليها فتلقى مبادىء العلوم في بعض المدارس الابتدائية فاظهر من النجابة والذكاء ما جعله في مقدمة رفقائه التلامذة ثم اتفق بعض ذوي الفضل وفي مقدمتهم الاب يوسف والركا (الذي صار بعد ذلك بطريركا أورشليمياً على اللاتين) على ارساله الى المدرسة الاربانية برومية للتبحر في العلوم اللاهوتية ونيل رتبة الكهنوت . فبرح الموصل سنة ١٨٤٥ وله من العمر ١٦ سنة فمر ببيروت وقضى بمدرسة غزير بضعة اشهر ثم سار الى رومية وهناك اكب بكليته على اكتساب العلوم على انواعها وفيها العلوم النحوية والبيانية والبديعية والمنطق والطبيعيات والكيمياء والرياضيات والجبر والهندسة والمساحة والجغرافية والفلك والفلسفة العقلية والادبية واللاهوت الادبي والنظري والفقه الكنائسي والتاريخ البيعي والموسيقى وعلم الكتاب المقدس.وتعلم اللغات اللاتينية والايطاليانية والعبرانية واليونانية والافرنسية والانكليزية والالمانية . واكمل اللغة السريانية والعربية والكلدانية وذاع خبر نجاحه وذكائه وامتيازه على اقرانه فوقع نزاع بين الطائفتين الكلدانية والسريانية من أجله فادعت كل منهما انه من ابنائها رغبة في اكتساب خدماته لها . ولما طال النزاع خيروه في الانحياز الى احداهما فاختار الطقس السرياني وفي سنة ١٨٥٥ سيم قسيساً للسريان

وفي منتصف سنة ١٨٥٥ غادر رومية قاصداً الموصل فوصلها في أواخر تلك السنة واستلم الاعمال الكهنوتية وجعل يعظ ويعلم ووجه انتباهه بنوع خاص الى المدارس لعلمه ان التعليم اساس كل فضيلة . فاسس بالموصل سنة ١٨٥٦ مدرسة بالاتفاق مع الاباء المرسلين الدومنكيين كان يعلم فيها النحو والصرف بالعربية ومبادىء اللغتين الايطالية والافرنساوية والرياضيات والجغرافيا والتاريخ والموسيقى . ثم انشأ المرسلون الدمنكيون مدرسة عالية كان هو استاذها الاول فاتت بفوائد يذكرها الدارسون . ويقال بالاجمال ان جميع كهنة الموصل وتوابعها كانوا من تلامذته أو تلامذة تلامذته . ونظراً لقلة المؤلفات التدريسية اذ ذاك اضطر الى تأليف الكتب اللازمة للتدريس وقد طبعت

بعد ذلك وستذكر بين مؤلفاته . وكان مع كل ذلك لا يغفل لحظة عن رعاية رعيته والقيام بواجباته نحوهم دينياً وادبياً

وفي سنة سنة ١٨٦٢ ترقى الى رتبة الخورفسقفس وعهدت اليه النيابة العامة على الابرشية

وفي سنة ١٨٦٧ أوعز اليه بامر البابا بيوس التاسع ان يكون مستشاراً في اللجنة المعينة لاعداد الامور المتعلقة بقوانين الكنائس الشرقية وتواريخهن . وهي احدى اللجنات الخمس التي اقامها البابا استعداداً للمجمع الفاتيكاني المسكوني الذي كان في النية التئامه وان يستنسخ ما يقع في يده من الكتب الخطية السريانية والعربية فقام بمهمته حق القيام حتى استدعى سنة ١٨٦٩ الى المجمع الفاتيكاني فسار وحمل معه ما كان قد



(ش ٣٧) : السيد اقليميس يوسف داود

استنسخه من الكتب النفيسة الى مكتبة مدرسة البروبغندا وكان رحمه الله في جملة اللاهوتيين العظام في ذلك المجمع وهو العضو الشرقي الوحيد هناك . وقد سمي ترجماناً فيه فنال على أثر اعماله هذه شهرة عظيمة جداً وكان لا يضيع فرصة لا يؤلف فيها أو يطالع

وفي سنة ١٨٧٠ عاد الى الموصل وعمل على تصحيح ترجمة التوراة العربية بمقابلتها على الترجمات السريانية واليونانية واللاتينية والعبرانية وعلق الحواشي على بعض الايات الغامضة وقد طبعت هذه الترجمة في مطبعة المرسلين الدومنكيين بالموصل مرتين . وراجع ايضاً الترجمة السريانية البسيطة وطبعها بالمطبعة المذكورة باحرف كلدانية ولولا هذه الطبعة لفسدت الترجمة البسيطة

وفي سنة ١٨٧٦ توفي المطران يعقوب حلياني أسقف دمشق على السريان وبقيت طائفة السريان هناك بلا أسقف سنتين . وفي سنة ١٨٧٨ انتخب صاحب الترجمة اسقفاً لها باجماع الطائفة وتحريض البطريرك ولكنه كان ميالا الى الابتعاد عن مهام الاسقفية لعهده بما يترتب على قبولها من التبعة وكثيراً ما عرضت عليه قبل ذلك ولم يقبلها . أما هذه المرة فاعتذر وتردد مدة حتى ملّ المكاتبة وورد عليه كتاب من البطريرك يقول فيه « ان الحضرة البابوية تريد منك ان تذعن لصوت الجمهور وتسلم للارادة الالهية التي تدعوك لتلك الوظيفة السامية وان تقبل الانتخاب » فلم ير بدّاً اذ ذاك من القبول فسار في أوائل سنة ١٨٧٩ من الموصل الى دمشق لتولي مهام منصبه الجديد وقد غادر الاهل والخلان والرفاق والجمعيات والمدارس والاخويات والكنائس والمطابع واكثرها من غرس يمينه وهو لم يكد يجني ثمار اتعابه . فمر بحلب وهناك رقي الى رتبة الاسقفية ولقب اقليميس فصار من ذلك الحين يدعى السيد اقليميس يوسف داود . وسار من حلب الى دمشق ولا تسل عن فرح الدمشقيين بنيل تلك الامنية التي لم يكونوا يرجون الحصول عليها لعلمهم بابائه قبلاً عن قبول الاسقفية

أما هو فاخذ يدبر شؤون الطائفة بهمة ونشاط فانشأ الاخويات ومجلساً طائفياً للنظر في أمور الابرشية وشيد بعض الكنائس ورمم البعض الآخر وانشأ كثيراً من المدارس الصغيرة للقرى ووجه التفاته الى جمع الكتب فجمع مكتبة يعز وجود مثلها لما حوته من الكتب الخطية المتعلقة بالمشرق التي يندر وجودها . وأخذ في التأليف والتصنيف واصلح الكتب الطقسية فعانى في اصلاحها مشقات جسيمة

ومما لا تنساه الطائفة السريانية سعيه في انشاء مجمع السريان اللبناني فانه هو الذي هيأ مواده . والمجمع المذكور انعقد في الشرفة بلبنان سنة ١٨٨٨ ونظر في أحوال الطائفة السريانية وضبط أمورها الطقسية وقوانينها الشرعية وكانت الطائفة قد حاولت عقد هذا المجمع غير مرة ولم تنجح الا على يده

وفي أوائل سنة ١٨٨٩ اصيب رحمه الله بداء القلب فقاسى فيه أهوالا جسيمة وفي ١٤ اغسطس (آب) سنة ١٨٩٠ توفي الى رحمه الله وله من العمر ٦١ سنة وبضعة أشهر

مؤلفاته

لصاحب الترجمة مؤلفات كثيرة بين مطبوع وغير مطبوع في لغات مختلفة وهاك اسماء مؤلفاته التي طبعت مع اسم اللغة التي الفها فيها

١ كتاب التمرنة في الاصول النحوية مع مقدمتين في أصول الكتابة والقراءة (مجلدين) عربية
٢ التمرين في التمرنة (مجلدين) «
٣ غراماطيق افرنسي مع الشرح العربي افرنسية وعربية
٤ اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية مع الشرح العربي بطريقة جديدة أي بالمقابلة مع اللغة العربية واللغة العبرانية خاصة سريانية عربية
٥ نحو اللغة السريانية مع الشرح اللاتيني لاتينية
٦ نبذتان في العروض والشعر (الحقهما بكتاب التمرنة) عربية
٧ مدخل الطلاب في علم الحساب (مختصر) «
٨ تروّض الطلاب في علم الحساب (مطول) «
٩ علم الجغرافيا «
١٠ التواريخ البيعية «
١١ مختصر التواريخ البيعة «
١٢ تاريخ مجمع السريان اللبناني المعقود سنة ١٨٨٨ في الشرفة افرنسية
١٣ بيان رئاسة بطرس زعيم الرسل وخلفائه الاحبار الرومانيين من تقليد البيعة السريانية (طبع رومية) لاتينية
١٤ مقالة في تعليم البيعة السريانية في انبثاق روح القدس سريانية
١٥ خطبة تاريخية في رئاسة بطرس الرسول مع تأييدها بنصوص من آباء الكنيسة السريانية عربية
١٦ القصارى في حل ثلاث مسائل تاريخية تتعلق ببلاد الشام وما يجاورها «
١٧ بيان طقس البيعة الانطاكية السريانية ونافورتها افرنسية
١٨ المقابلة بين نافورة القديس يعقوب المستعملة عند السريان ونافورة القديس يوحنا فم الذهب المستعملة عند اليونان (وتخللها شرح طويل عن الطقوس اللاتينية والكلدانية والارمنية والمارونية والحبشة والقبطية) افرنسية
١٩ مقالات شتى طقسية وتهذيبية الفها وطبعها في رومية لاتينية ايطالية
٢٠ بيان لغة أهل دمشق العربية في أيامنا افرنسية
٢١ بيان اللغة التي تكلم بها يسوع المسيح على الارض «

٢٢ بحث عن لغة أهل سوريا وفلسطين حين ظهور اللغة العربية فيها وبيان انها كانت اللغة السريانية — افرنسية
٢٣ مواد مجمع السريان اللبناني المعقود في الشرفة — عربية لاتينية
٢٤ طقوس جديدة سريانية لاعياد مستحدثة في البيعة الكاثوليكية — سريانية
٢٥ كاندار عام للبيعة السريانية على مدار السنة — عربية
٢٦ كاندار عام لجميع الطقوس غربية وشرقية (الحقه بكتاب تحفة الزهور) — «
٢٧ نبذة من القوانين البيعية لكهنة ابرشية الموصل — «
٢٨ المقدمة والنتيجة في الخطبة والزيجة — «
٢٩ الكنارة الصهيونية — عربية وسريانية
٣٠ خدمة القداس الاشحيمي — عربية وسريانية
٣١ فهرست القرآت من العهدين القديم والجديد التي تقال على مدار السنة بحسب الطقس السرياني — عربية
٣٢ تروّض في آلام المسيح لكل يوم جمعة من الصوم الكبير — «
٣٣ الرسالتان الاولى والثانية — «
٣٥ التعليم المسيحي — «
٣٦ التصاريف العربية — «
٣٧ تصاريف الافعال الكلدانية — كلدانية
٣٨ كراسة الاشتقاقات — عربية
٣٩ تعليم القراءة السريانية — «

وهذه اسماء مؤلفاته التي لم تطبع

٤٠ جامع الحجج الراهنة — عربية
٤١ تاريخ السريان — «
٤٢ علم الهندسة — «
٤٣ علم الجبر — «
٤٤ اغلاط ترجمة العهد الجديد العربية التي انشأها البروتستنت في بيروت — «
٤٥ رياضة درب الصليب (وهي مؤثرة للغاية) — «
٤٦ مجموع خطبه أو مواعظه الدينية — «

٤٧ مقالات في حقيقة سر الاوخارستيا عربية وافرنسية
٤٨ قداس حبري سرياني على أصول الموسيقى الاوربية « سريانية
٤٩ تصانيف موسيقية شتى عربية سريانية
٥٠ مجموع المناشير أو الرسائل الرعوية التي انفذها من حين اسقفيته عربية
٥١ التوطئة الى الاحتجاج والتبرئة (فوائد تاريخية مهمة) «

وله فضلاً عن ذلك خدمات جزيلة خدم بها العلم كتنقيح بعض الكتب أو ترجمتها أو ضبطها ومنها ما قد طبع كالكتاب المقدس وكتاب الصلوات السريانية وغيرهما وبعضها لم يطبع . وقد بلغ عدد الكتب التي ترجمها أو نقحها أو ضبطها ٣١ كتاباً بعضها يزيد على عدة مجلدات فيكون عدد كتبه بين تأليف وتصنيف وترجمة وضبط ٨٢ كتاباً في لغات مختلفة اكثرها في مواضيع وعرة المسالك

صفاته

كان رحمه الله ربع القامة بشوش الوجه سريع الخاطر رقيق الجانب واسع العلم في سائر العلوم التاريخية واللغوية والدينية وكان يعرف من اللغات ١٥ لغة ولكنه كان مغرماً بنوع خاص باللغات الشرقية وتحليلها بما يسمى علم الفيلولوجيا أو الفلسفة اللغوية وكان عمدة هذا العلم ومورد قصاده . فلما طبعنا كتابنا « الالفاظ العربية والفلسفة اللغوية » سنة ١٨٨٦ ارسلنا اليه نسخة منه على سبيل الهدية فكتب الينا كتاباً يدل على حسن ظنه بنا ورغبته في تنشيطنا وهاك نص الكتاب بعد الديباجة ننشره اقراراً بفضله ودليلاً على رقته ودعته قال :

« أما بعد فاقول اني قرأت كتابك النفيس الذي عنوانه الالفاظ العربية الخ في النسخة الذي تفضلت باهدائها اليَّ فوجدته مؤلفاً كاملاً في فنه وافياً بكل الشروط على اتم وجه ودالاً على طول باع مؤلفه في هذا الفن الجديد من العلوم اللغوية الذي لم ينتبه اليه قبل اليوم أهل وطننا . فلله درك كم تجرت في هذا العباب الصافي وكم استخرجت منه من الدر الثمين . فحقك ان اهنئك واشكرك باسمي وباسم الجمهور كله ولا سيما أهل وطننا اذ انك على ما أعهد اول من فتح لهم هذا الباب الجليل والسلام

المحب الشاكر

عن دمشق الشام في ٤ شباط سنة ١٨٨٨ اقليميس يوسف داود

مطران دمشق على السريان »

وقد دارت بيننا وبينه بعد ذلك مكاتبات بشؤون مختلفة مرجعها الى مبحث اللغات وفلسفتها لا محل لها هنا وكم تمنينا ان نلقاه وجهاً لوجه وقد عزمنا على ذلك وقصدنا زيارة دمشق سنة ١٨٩٠ لهذه الغاية فانبئنا بوفاته ونحن في منتصف الطريق في بلدة زحلة فعدنا ولم ننل وطراً

أما في التاريخ فكانت له باع طولى ولا سيما في تاريخ الدول القديمة كالفارسية والاشورية والبابلية والمصرية والفنونية واليونانية والرومانيـة . وكان ورعاً تقياً سليم القلب مخلصاً غيوراً متواضعاً محافظاً على الفروض الدينية كارهاً لنعيم الدنيا راغباً عنها

*

مارون النقاش

مؤسس فن التمثيل في اللغة العربية

ولد سنة ١٨١٧ وتوفي سنة ١٨٥٥ م

وُلد رحمه الله في صيدا وتربى في بيروت وكان من حداثته ميالاً الى العلم فاتقن الآداب اللسانية وغيرها كالصرف والنحو والعروض والبيان والمنطق وأخذ في نظم الشعر وهو في الثامنة عشرة وتعلم الحسابات التجارية على الاصول الافرنجية وعلمها الكثيرين فكان امام هذا الفن في بيروت . وتعلم ايضاً القوانين التجارية وكان التجار يرجعون الى رأيه فيها . واتقن اللغة التركية والايطالية والفرنساوية . وكان له ولع بالموسيقى . وارتقى في مبدأ عمره الى رئاسة كتاب جمرك بيروت ثم انقطع للتجارة الى آخر حياته

وكان فيه ميل الى السفر مع صعوبته في ذلك الحين فساح في سوريا كلها . ثم جاء الاسكندرية ومصر سنة ١٨٤٦ في أواخر ايام محمد علي وشخص منها الى ايطاليا وهي يومئذ لا تزال اكثر ممالك اوربا علاقة بالشرق وحضر فيها تمثيل الروايات على المراسح فادهشه ما في ذلك من اللذة والفائدة بتمثيل العبرة حتى يراها الناس رأي العين . وخطر له ان ينقل هذا الفن الى العربية لفائدة ابناء وطنه واخذ في العمل حال رجوعه الى بيروت . فضم اليه جماعة من اصدقائه الشبان النجباء الادباء وأخذ يعلمهم التمثيل وألف لهم رواية « البخيل » وهي اول رواية تمثيلية الفت في اللغة العربية . فعلمهم أدوارها حتى اتقنوها ومثلوها في بيته سنة ١٨٤٨ في ليلة حضرها قناصل المدينة واعيانها فاعجبوا بما شاهدوه من دقة التمثيل واتقان التأليف مع حداثة هذا الفن . فشاع خبر ذلك حتى تناقلته الصحف الافرنجية . فزاد نشاطاً واقداماً فألف رواية « ابي الحسن المغفل » او « هارون الرشـيد » مثلها في بيته ايضاً في اواخر سنة ١٨٥٠ ودعا اليها والي سوريا وبعض الوزراء ورجال الدولة وكانوا يومئذ في بيروت فاعجبوا به واثنوا على نشاطه . فلما تحقق نجاح عمله انشأ مرسحاً خاصاً بالتمثيل بجانب منزله خارج باب السراي بفرمان سلطاني — وقد تحول بعد موته الى كنيسة عملاً بوصيته . وفي هذا المرسح شخص رواية الحسود السليط وهي كثيرة الفكاهة والعبرة . وكان مع ذلك يتعاطى أشغاله التجارية وانما يشتغل بالتمثيل حباً في الفن وكذلك سائر أصدقائه الممثلين . وكانوا في بادىء الرأي يتزلفون الى النـاس ويتملقونهم ليحضروا تمثيلهم ثم صار الناس يتقاطرون اليهم وقد نبغ منهم بعد ذلك جماعة

من كبار الوجهاء واهل الادب . ولو مدّ الله باجل النقاش لكان لفن التمثيل شأن آخر ولكنه توفي سنة ١٨٥٥ في طرسوس وكان قد ذهب اليها لبعض أشغاله التجارية وهو لم يتجاوز الثامنة والثلاثين من عمره

نخلف النقاش في أهل بلاده حب التمثيل ورغب بعض أدباء بيروت في هذه الصناعة فجعلوا يمثلون الروايات في المراسح الخصوصية او المدارس الكبرى او المراسح العمومية وأشهرها مرسح سوريا ولا يزال باقياً الى اليوم . ومن قدماء المشتغلين بالتمثيل في سوريا بعد النقاش سعد الله البستاني مثل رواية انتظم في سلكها جماعة من نوابغ الشبان يومئذٍ ومنهم الآن غير واحد من العلماء وأهل الوجاهة

ناصيف المعلوف

ولد سنة ١٨٢٣ م وتوفي سنة ١٨٦٥ م

هو ناصيف بن الياس منعم المعلوف وُلد في قرية زبوغه في ٢٠ اذار (مارس) سنة ١٨٢٣ م ومال منذ نعومة اظفاره الى العلوم وشغف بها لانه كان وهو صغير يرافق والده الى دار الامير بشير الشهابي الكبير وكان مجلسه حافلا بالشعراء والعلماء كالشيخ ناصيف اليازجي وبطرس كرامة والشيخ رشيد الدحداح وغيرهم . فكان الامير وأولاده يقولون لوالده « علم ناصيف فننظمه في سلك كتبة هذا الديوان » وهو يسمع مقالهم فيزداد رغبة . فتلقى مبادىء العلوم على أحد الكهنة في دير القديس سمعان العمودي واتصل بالطيب الذكر المطران اغابيوس الرياشي فكان يكتب له لحسن خطه وانشائه فاتم بعض علومه على الخوري اغابيوس البناء في بيروت . واتصل ببعض علماء عصره ودرس مبادىء اللغتين الفرنسية والايطاليـة على بعض المرسلين ومال الى توسيع معارفه وحدثته نفسه بالسفر ولا سيما بعد ان انقطع حبل آماله لخروج الامير بشير الكبير من سورية

وفي تلك الاثناء قدم التاجر المشهور يوحنـا العرقتنجي من مدينة أزمير لترويج تجارته في بيروت اذ كانت قد بدأت حياتها التجارية . فكان يختلف الى الدار الاسقفية لزيارة السيد اغابيوس صديق نسيبه الطيب الذكر المطران باسيليوس العرقتنجي مطران حلب فصادقه ناصيف وعرف منه ترقي أزمير العلمي فرغبه في السفر معه ولما كان اليوم التاسع عشر من ايار (مايو) سنة ١٨٤٣ ابحرا من بيروت الى أزمير وكانت المدينـة الثانية في عمرانها بين مدن الممالك المحروسة وعدد سكانها نحو مائة الف نفس واكثر ابنيتها خشبية . ولما وصلاها اتخذ يوحنا ناصيف مدرساً لاولاده العربية والفرنسية واعتمد عليه بادارة شؤونه التجارية لمهارته في فن الحساب فاغتنم ناصيف الفرصة لاستزادة علومه فدخل مدرسة اخوة التعليم المسيحي سنة ١٨٤٤ م ومارس الفرنسية والتركية . وسنة ١٨٤٥ انتظم في سلك اساتذة اللغات الشرقية في مدرسة البروباغنده التي كانت بادارة الآباء العازاريين . وكانت له رغبة شديدة بتحصيل اللغات فاتقن التركية والانكليزية واليونانية الحديثة فوق ما كان يعرفه منها واكب على التاليف في بعضها فنال منزلة لدى العلماء ورؤساء تلك المدرسة فاثنوا عليه كثيراً ولا سيما الاب اوجان بوره رئيسها الشهير فانه اثنى مراراً على براعته وحسن اسلوبه في التدريس. وبقي ناصيف زهاء عشر سنوات يلقن العلوم ويضع بعض التآليف وقد زار باثنائها

الاستانة العلية وباريس ولندن وغيرها من عواصم اوربا ومدنها

وفي صيف سنة ١٨٤٨ م اغتنم فرصة العطلة المدرسية ورافق بعض السياح الاوربيين القادمين الى سورية لتفقد آثارها وجاء مسقط رأسه زبوغة في شهر تموز (يوليو) فشاهد اسرته ثم ذهب الى زحلة لملاقاتهم يوم الثلاثاء في ٢٧ منه وفيها بلغهم ان الهواء الاصفر تفشى في حلب قادماً من مصر ويوم الخميس في ٢٩ منه كانت الاسر الكثيرة من دمشق تتقاطر الى زحلة هرباً من الوباء . فذهب ناصيف مع رفقائه الى بعلبك وعادوا بسرعة الى بيروت وبرحوها قاصدين ازمير فما وصلوها حتى بلغهم ان الوباء تفشى في بيروت في منتصف آب (اوغسطس) . ومنذ ذاك الحين اختبر ناصيف بنفسه



(ش ٣٨) : ناصيف المعلوف

حاجة السياح الى معرفة اللغات الشرقية فشرع في وضع بعض المؤلفات باللغات التي اتقنها واشتهر بتضلعه بالشرقية منها

ولما ذاعت معارفه في انحاء الممالك المحروسة واتصلت باوربا استقدمه اليه اللورد ركلان (L. Raglan) قائد الجيوش المتحدة في حرب الدولة العلية وروسية فلبى طلبه مستأذناً الدولة العلية ورافقه في أسفاره في أول آب (اوغسطس) سنة ١٨٥٥ وبقي الى ٣٠ ايلول (سبتمبر) من السنة التالية بمهنة ترجمان فشهد الوقائع الكبيرة وكان يدرّس الضباط اللغة التركية وأظهر اخلاصه لدولتنا العثمانية العلية

وفي سنة ١٨٥٦ م ذهب الى مدينة لندن فنال لدى كبار علمائها مقاماً رفيعاً ونظمته جمعية الاثينيوم العلمية في سلك أعضائها فشكر لهم حفاوتهم هذه برسالة مؤرخة في آب سنة ١٨٥٧ لا تزال نسخة منها في مكتبتنا . وبقي في عاصمة الانكليز الى شهر تشرين

الاول (اكتوبر) من تلك السنة فبرحها الى مدينة بخارست حاضرة بلاد رومانيا وانضم الى السر هنري بلور معتمد انكلترة وظل في خدمته ثم رافقه الى الاستانة العلية في حزيران (يونيو) سنة ١٨٥٨ وكان ترجماناً له يدرسه اللغة التركية فاهدى اليه معجمه التركي الفرنسي. وفي العام التالي بينما كان يتأهب للسفر الى بر الاناطول قنصلاً للدولة الانكليزية فيها فرغ منصب الترجمان الاول لقنصلية انكلترا في ازمير ففضله على منصبه الاول لاسباب صحية وناله برخصة الدولة العلية وباشر القيام به في شهر ايار (مايو) نخدمه خدمة اكسبته رضى هاتين الدولتين وغيرهما من الدول الشرقية والغربية. وكان مع انهماكه بهذا المنصب مكباً على التأليف وتصحيح المطبوع من مؤلفاته بجلد غريب حتى كثيراً ما كان ينسخها بخط يده مرتين او ثلاثاً. وفي اول تشرين الاول سنة ١٨٦٣ م نشر بعض علماء عصره سيرته باللغة الفرنسية في جريدة رائد الشرق (Courrier D'orient) ثم طبعت على حدة في ١٩ صفحة

وبقي مثابراً على العمل والتأليف الى أن تفشى الهواء الاصفر في مصر وسوريا واتصل بازمير فاشار عليه الاطباء ان يبرحها الى أوربا ترويحاً للنفس فشخص الى بعض عواصمها حتى انقطع دابر الوباء فعاد الى أزمير مريضاً واصطفاف في قرية كوتجه من ضواحيها فتوفي في ١٤ ايار (مايو) سنة ١٨٦٥ م غريباً عزيباً فنقل الى أزمير ودفن في كنيسة الآباء العازاريين بضريح خاص وقد ارخت وفاته بقولي الذي كتب تحت رسمه الفوتوغرافي:

فقيد بني المعلوف ناصيف منعمٌ ولكن لاهليه وللعلم تكدير
ونفس أديب العصر كالشمس ارخت فمطلعها لبنان والغرب أزمير

وكان ربعة القوام الى الطول رقيق الجسم أبيض اللون يضرب لونه الى السمرة خفيف الشعر لطيف المنظر حلو الحديث. وقد نال لدى معاصريه شهرة ذائعة. أما اخلاصه لدولتنا العلية ايدها الله فاشهر من ان يذكر اذ كافأته بالوسام المجيدي الخامس ببراءة سلطانية في أواسط ذي القعدة سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥ م) وتنازل ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان فقبل هدية تأليفه وانتظم في سلك أعضاء جمعية العلوم والآداب التركية (انجمن دانش) التي انشئت في الاستانة سنة ١٨٥١ م وفي الجمعيتين الاسيويتين الفرنسية والبريطانية. واتقن من اللغات العربية والتركية والفارسية والفرنسية والانكليزية والايطالية واليونانية والف في جميعها. واهداه المغفور له ناصر الدين شاه العجم وسام الاسد والشمس (شيرخورشيد) من الطبقة الرابعة ببراءة

مؤرخة في ربيع الآخر سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) وفتحت جرائد الممالك المحروسة العربية والتركية والارمنية ابوابها لمقالاته وتقريظ مؤلفاته والثناء عليه . وتكرر اسمه في الجرائد الاوربية ومجلاتها ولا سيما في باريس ولندن وبخارست ومالطة ولقبته بالعالم المتضلع باللغات الشرقية وبالمستشرق الشهير الذائع الشهرة ليس في الممالك المحروسة فقط بل في عواصم أوربا أيضاً . وقال غرسان دي تاسي من مشاهير علماء فرنسا « ان تآليف ناصيف المعلوف تنطق بسعة معارفه واجتهاده » . ولما اعاد الطباع ميزونوف في باريس طبع معجمه الفرنسي التركي الذي طبع أولا في أزمير سنة ١٨٤٩ م تولى مراجعة مسوداته العلامة أوبيشيني فصدره بمقدمة بين فيها فضل الكتاب وافاض في وصف صاحبه وتوسع في اظهار مزايا مؤلفاته ولاسيما سهولة طريقته ووضوح عبارته وتضلعه باللغات الشرقية . واعظم هذه الشهادات ما قاله المسيو بيانكي وكان أول من عني من المستشرقين في وضع معجم فرنسي تركي طبعه سنة ١٨٣١م فاحرز رواجاً مذكوراً في أوربا وبقي نسيج وحده فيها الى ان نشأ ناصيف فوضع معجمه واحتذى طريقة بيانكي وتوسع في ذكر المصطلحات اللغوية للفنون والاداب والعلوم فنال رضى العلماء ولا سيما بعد ما جدد طبعه وأعاد النظر فيه - قال بيانكي في كتاب أرسله من باريس الى المترجم سنة ١٨٥٤ م اثنى فيه على تآليفه وخصوصاً على كتابه الفوائد الشرقية . « فانت أول شرقي يشتغل بهذه الاعمال لان مؤلفاتك الكثيرة النافعة قد ساعدت على تقدم الدروس العربية والتركية والفارسية .. الخ » وكتب اليه مثل ذلك العلامة الفرنسي رينو (J. Reinaud) وغيره من كبار العلماء ومما هو جدير بالذكر ما كتبه بعضهم في مقدمة غراماطيقه التركي الفرنسي المطبوع في باريس سنة ١٨٦٢ م نقتطف من قوله ما تعريبه : « ان الكتب الكثيرة التي مثلها الموسيو معلوف بالطبع قوبلت جميعها بحفاوة وانالته شهرة واسعة فبينما كان يشتغل بتدريس التركية في مدرسة البروباغندة الفرنسية في أزمير ورئاسة كتابة (باش كاتب) قومندان الفرمان العثمانيين وباعباء الترجمان الاول لقنصلية انكلترة في أزمير ما انقطع قط عن سعيه في نشر تآليفه التي سهلت درس اللغات الشرقية على الاوربيين ولا سيما التركية منها . كيف لا وانه في مطاوي اثنتي عشرة سنة فقط الف ومثل بالطبع اكثر من خمسة وعشرين مصنفاً كانت مرشداً للسياح في الشرق ومرجعاً لعلماء الاشتقاق » الى أن قال : « ان المؤلفين لم يعثروا حتى الان على أسلوب أسهل واكمل من الاسلوب الذي ابتكره المسيو معلوف فانه بعد ان يشرح القواعد بايضاح يمرن الطلاب بمحاورات وأمثلة من مألوف الرسالات وذلك بلا نكير من أسد الطرق وأقوم المناهج للتوصل الى اتقان التكلم بكل لغة الخ »

أما تآليفه التي طبعت فهي وفقاً ابرناج مكتبة ميزونوف في باريس سنة ١٩٠٠ وغيرها مع ما وجد من المتحف البريطاني ومكتبة الاباء اليسوعيين الشرقية ومكتبة المدرسة الكلية السورية في بيروت كما يأتي :

(١) مفتاح اللغة التركية طبع في ازمير سنة ١٨٤٦ م (٢) محاورات فرنسية وعربية وانكليزية في ازمير سنة ١٨٤٦ (٣) محاورات فرنسية وتركية . أزمير سنة ١٨٤٧ م (٤) تمارين تركية . الاستانة سنة ١٨٤٧ (٥) محاورات تركية وعربية باللغة العامية . الاستانة سنة ١٨٤٧ (٦) فكاهات شرقية بالتركية لنصر الدين خوجه. ازمير ١٨٤٧ والاستانة ١٨٥٩ (٧) مجموع جديد للجمل ومحاورات بالفرنسية والتركية . ازمير ١٨٤٩ (٨) مبادىء القراءة بالعربية والتركية والفارسية . ازمير ١٨٤٩ (٩) معجم بالفرنسية والتركية طبع أولا في ازمير سنة ١٨٤٩ وثانية في باريس سنة ١٨٥٦ وثالثة في باريس في مجلدين بعد تنقحيه واضافة اكثر من ستة آلاف كلمة جديدة اليه من علمية وفنية وصناعية وتجارية وسياسية وحقوقية سنة ١٨٦٣ وقد قدمه للسر بلوير كما مرّ (١٠) محاورات ومنتخبات تاريخية وقصصية مختصرة بالتركية والفرنسية . ازمير ١٨٥٠ (١١) الوادي الطيب بالتركية والعربية . ازمير ١٨٥١ (١٢) مختصر الجغرافية القديمة والحديثة . ازمير ١٨٥١ (١٣) كتاب المراسلات التركية (انشائي جديد) . الاستانة ١٨٥٢ (١٤) مختصر التاريخ العثماني بالفرنسية. ازمير سنة ١٨٥٢ (١٥) دليل الحادثات بالتركية والعربية والفارسية . ازمير ١٨٥٣ (١٦) محاورات بالتركية والفرنسية وبالفرنسية والتركية . ازمير ١٨٥٤ (١٧) فوائد شرقية في اللغات التركية والعربية والفارسية . ازمير ١٨٥٤ (١٨) الهجاء العثماني طبع اولا في ازمير ١٨٥٤ وثانية في باريس ١٨٦٣ (١٩) المخاطبات المعلوفية بالتركية والعربية . الاستانة ١٨٥٦ (٢٠) دليل الحادثات باللغات الخمس الايطالية واليونانية والتركية والفرنسية والانكليزية طبع مرتين في باريس سنة ١٨٥٧ و ١٨٨٠ (٢١) دليل الحادثات باللغات الاربع الفرنسية واليونانية الحديثة والانكليزية والتركية طبع ثلاثاً في باريس سنة ١٨٥٩ و١٨٦٣ و١٨٨٠ (٢٢) دليل الحادثات باللغات الاربع الايطالية والتركية والفرنسية والانكليزية . باريس سنة ١٨٥٩ (٢٣) دليل الحادثات باللغتين الانكليزية والتركية طبع مرتين في باريس ١٨٥٩ و١٨٨٠ (٢٤) دليل الحادثات باللغات الثلاث الانكليزية والفرنسية والتركية طبع في باريس مرتين سنة ١٨٦٠ و ١٨٨٠ (٢٥) غراماطيق اللغة التركية بالعربية طبع في باريس سنة ١٨٦٢ ثم ١٨٨٩ بعد ان نظر فيه المسيو كليمان هوارت (C. Huart) ترجمان

السفارة الروسية الثاني في الاستانة العلية قبلاً ومدرس في مدرسة اللغات الشرقية حالا وهو مصنف كتاب تاريخ آداب اللغة العربية بالفرنسية (٢٦) معجم تركي وفرنسي بمجلد واحد . باريس سنة ١٨٦٣ و١٨٦٧ (٢٧) دليل المحادثات باللغات الثلاث الفرنسية والانكليزية والعربية طبع في باريس سنة ١٨٦٢ ثم سنة ١٨٨٠ فيها — هذا وهناك مؤلفات له لم نعثر على اسمائها وزمن طبعها اخصها نقل حكايات باركن (Berquin) من الفرنسية الى التركية وما رواه صاحب راشد سورية في الصفحة ٨٠ واعله الجغرافية التي وصفت بعدد ١٢ فضلاً عما بقي مخطوطاً

وهاك بعض ألقابه المطبوعة تحت اسمه في الفراماطيق التركي المطبوع في باريس سنة ١٨٦٢ وفي بعض مؤلفاته الاخرى كالمعجم الفرنسي التركي المطبوع في باريس سنة ١٨٥٦ وهي : « استاذ اللغات الشرقية وعضو الجمعية الاسيوية في باريس وواضع التآليف الكثيرة بالتركية والعربية والفارسية والفرنسية وغيرها المؤذنة بنشرها جمعية العلوم والآداب الملكية في الاستانة العلية . وكاتم أسرار وترجمان قومندان الفرسان الانكليزيين العثمانيين وممتحن الضباط الانكليزيين باللغات الشرقية ومدرسهم اللغة التركية . والترجمان الاول لقنصلية بريطانيا في ازمير وعضو الجمعية الاسيوية الملكية البريطانيا العظمى وارلانده . ونائل الوسام المجيدي العثماني ووسام الاسد والشمس الايراني الخ »

« عن دواني القطوف »
في تاريخ بني المعلوف

*

سليم دي نوفل

ولد سنة ١٨٢٨ وتوفي سنة ١٩٠٢

نعي الينا من مدينة بطرسبورج عاصمة الروس رجلٌ من خيرة رجال سوريا الذين احرجتهم أحوالها فالتمسوا العمل في بلاد الغربة فنالوا ما شاءوا من الثروة والجاه والمقام الرفيع في ممالك اوربا واميركا . والسوري مقدام لا يبالي بالاسفار في طلب العلى — ورث ذلك من اسلافه الفينيقيين . على اننا لا نظنه كان عرضة للمهاجرة وتجشم الاخطار في عصر من العصور السالفة مثل تعرضه لذلك في هذا العصر بالنظر الى سهولة الاسفار واتساع أبواب الرزق

وفي جملة الذين قضوا حياتهم في ديار الغربة ونالوا جزاء اجتهادهم وفضلهم المرحوم سليم دي نوفل مستشار الدولة الروسية وترجمان امبراطوريتها واستاذ اللغتين العربية والفرنساوية والفقه الاسلامي في قسم اللغات الشرقية بنظارة الخارجية الروسية — وهاك خلاصة ترجمة حاله مما نقله الينا أحد اصدقائه القدماء قال :

وُلد رحمه الله نحو سنة ١٨٢٨ في طرابلس الشام من عائلة عريقة في الفضل والوجاهة والعلم ومنها المرحوم نوفل نعمة الله نوفل صاحب المؤلفات الشهيرة في آداب العرب وعلومهم (راجع ترجمته في هذا الكتاب) تلقى مبادىء القراءة في بعض المدارس الابتدائية وهي قليلة في ذلك العهد ثم كان أكثر ما اكتسبه من العلم بعد ذلك بجده واجتهاده فظهرت مخايل النجابة عليه من نعومة أظفاره . فلما شب نال ثمرة أتعابه فتعين وكيلا لشركة البواخر الروسية في طرابلس الشام ثم تاقت نفسه الى السياحة فخرج الى اوربا فطاف ممالكها وخصوصاً مملكة الانكليز ورجع الى طرابلس

واتفق نحو سنة ١٨٧٠ ان دولة الروس طلبت من قنصلها في بيروت أن يبعث اليها رجل يحسن اللغة العربية ليعلمها للشبان الروسيين الذين يتهيأون للخدمة السياسية في الشرق . فوقع الاختيار على صاحب الترجمة فشخص الى بطرسبورج ومعه عائلته وأقام مدة في التدريس نال في اثنائها ثقة أهل البلاط وكبار رجال الحكومة فجعلوا يرقونه ويزيدون راتبه ويخلعون عليه حتى صار من مستشاري الدولة فضلا عن منصبه في تعليم اللغتين العربية والفرنسوية . وانتدبه جلالة القيصر غير مرة لينوب عنه في مهمات سياسية بباريس ورومية . وبعضها للمخابرة بشأن الكاثوليك في بولونيا نظراً لما كان له من سعة الاطلاع في تاريخ الاديان والآداب الشرقية . وانتدب غير مرة

للحضور في المؤتمرات الشرقية التي كانت تعقد في اوربا للبحث في اللغات الشرقية وآدابها

وكان يعرف اللغات العربية والفرنساوية والانكليزية والايطالية والروسية والتركية واليونانية وبعض اللغات الشرقية القديمة . وكانت له مهارة خصوصية بالانشاء



(ش ٣٩) سابم دي نوفل

الفرنساوي وكانت حكومة الروس تراعي جانبه وتكرمه فاعطته قصراً في أحسن احياء بطرسبورج للاقامة فيه مع امرأته وأولاده . وله عدة مؤلفات في الفرنساوية منها كتاب الزواج والطلاق وكتاب سيرة النبي طبعا بنفقة نظارة المعارف الروسية

محمد بيرم

ولد سنة ١٢٥٦ هـ وتوفي سنة ١٣٠٧ هـ

هو من علماء تونس ووجهائها ومن اكثر المسلمين تفانياً في نصرة الاسلام . وُلد في تونس سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م) ويتصل نسبه ببيرم أحد قواد الجند العثماني الذي جاء تونس بقيادة سنان باشا سنة ٩٨١ هـ تفقه في جامع الزيتونة ونشأ حر الضمير يكره الاستبداد فسره انشاء مجلس الشورى في الحكومة التونسية على عهد الصادق باشا وكان من اكبر نصرائه وتولى رئاسة المجلس الوزير خير الدين باشا

وتعين بيرم سنة ١٢٨٧ هـ مدرساً في الجامع المذكور وبعد سنتين توفي والده عن ثروة طائلة وظهرت في أثناء ذلك فتنة عمومية في الايالة التونسية على أثر انحلال مجلس الشورى فشق ذلك عليه وتمكنت علائقه مع خير الدين باشا من ذلك الحين لاتفاقهما في النقمة على الحكومة

وفي سنة ١٢٩٠ هـ عاد خير الدين باشا الى الوزارة الكبرى في تونس فجاهر بيرم بنصرته وصرح بآرائه السياسية على صفحات الجرائد وهو أول من تجاسر على ذلك هناك . واعجب الوزير بنشاطه وتعقله فعهد اليه ادارة الاوقاف سنة ١٢٩١ هـ فاحسن ادارتها ونظمها واصيب في السنة التالية بانحراف حمله على السفر الى أوربا للاستشفاء والتقى في باريس المارشال مكماهون فاكرمه وحضر المعرض العام وشاهد كثيراً من ثمار قرائح أهل هذا التمدن فلما عاد الى تونس اخذ في تنظيم مستشفاها على نحو ما رآه في مستشفيات أوربا

ووقع في اثناء ذلك بين قنصل فرنسا الكونت دوسانسي والحكومة التونسية نزاع على قطعة أرض كانت الحكومة منحته اياها لتربية الخيل على شروط أخل بها فارادت استرجاعها فابى وبينما هي تنازعه وتجادله عليها ذهب الوزير وهو يومئذ مصطفى ابن اسماعيل الى تلك الارض ودخلها عنوة في زمرة من اعوانه . فاغتنم القنصل هذا التعدي لتمكين سيادة دولته في تونس فرفع أمره اليها وطلب عزل الوزير فخاف هذا واسرع الى الترضية فعينوا لجنة تحكيم كان بيرم أحد أعضائها فاخذ جانب الدفاع عن الحكومة بكل قواه وكان نحيف البنية مصاباً بمرض في الاعصاب الموصلة بين المعدة والقلب مع ضعف شديد في الدم يستخدم المورفين لتسكين آلامه

فأثر ذلك في صحته واضطر ان يشخص الى باريس للاستشفاء وأما اللجنة فصدر حكمها لمصلحة القنصل

ونهض التونسيون على أثر ذلك يطلبون الجنوح من الحكم الاستبدادي الى الشورى وسعوا في ذلك سعياً حثيثاً لم يأت بنتيجة لان أمير البلاد يومئذ لم يعضد مطالبهم . ويقال ان ذلك كان بتحريض فرنسا لانها تعتقد ان الحكومة الدستورية تخالف مصلحتها هناك . وأما بيرم فقد كان في مقدمة الراغبين في الشورى وعاتبه الامير على تعضيده الاهالي في مطالبهم فاجابه بحرية لم يعهد مثلها وبين له خطأه

وتوجه تلك السنة الى باريس كالعادة واغتنم وجوده هناك فرفع الى غمبتا تقريراً مسهباً يشكو فيه سوء تصرف القنصل ووقوفه في سبيل كل مشروع نافع للبلاد . وبلغ خبر ذلك الى القنصل فزاد غضباً ونقمة وافق في اثناء طلب التونسيين الشورى ان الدول كانت مشغولة بخلع اسماعيل باشا خديوي مصر وكان الصدر الاعظم في الاستانة يومئذ خير الدين باشا ونظراً لما يعلمونه من علائق بيرم بخير الدين استنتج الفرنساويون أن مطالب التونسيين لم يكن الغرض منها الا فتح السبيل لمداخلة الباب العالي واتهموا صاحب الترجمة انه الواسطة بذلك . ولما بلغه الخبر استعفى من منصبه في تونس وعزم على البقاء بعيداً عنها لكنه عاد اليها بعد الحاح أصدقائه . وكان قد فهم وهو في باريس رغبة فرنسا في ضم تونس الى املاكها ضماً كلياً وانها أغرت الوزير مصطفى فمالأها طمعاً بالترقي فذهبت آمال صاحب الترجمة بانقاذ بلاده فعزم على الخروج منها فلم تأذن الحكومة بسفره فاحتال بطلب الرخصة للحج فاذن له فخرج سنة ١٢٩٦ وجاء مصر وسافر منها الى الحرمين ثم عم سوريا فالقسطنطينية فاحسنت الدولة وفادته . ولكن الوزير التونسي كتب الى الباب العالي بارجاع الشيخ بيرم لانه لم يقدم حساباً عن ادارة الاوقاف التي كانت في عهدته فنصره خير الدين ولم يسلمه . ولما تم لفرنسا ضم تونس الى املاكها سنة ١٢٩٨ عزلت الوزير مصطفى وعاملته معاملة الخائن

واشتغل الشيخ محمد بيرم في اثناء اقامته في الاستانة بالكتابة والتحرير وراعى صحته فتحسنت كثيراً وقلَّ استعماله للمورفين وكانت وجهته النظر في ما آل اليه حال البلاد الاسلامية من طمع الاجانب ووصف الادوية لملافاة ذلك ولم يجد الكلام نفعاً

ولما تحقق رسوخ قدم فرنسا بتونس يئس من العودة اليها فاراد ان يكون قريباً من أهله فانتقل الى مصر بعد الحوادث العرابية سنة ١٨٨٤ وقد باع املاكه في تونس ونقل عائلته منها وانشأ في مصر جريدة سياسية اسمها «الاعلام» تصدر ثلاث مرات

في الاسبوع ثم صارت اسبوعية وكانت خطتها محاسنة الانجليز والاستفادة منهم فانتقد بعضهم عليه هذه الخطة لانها تخالف ما كان عليه في تونس وانه انما هجرها فراراً من الحكم الاجنبي فكيف يكلف المصريين عكس ذلك ؟ ولكن الذين يرون رأيه كانوا يعتذرون بأنه انما حث على محاسنة الانكليز والاستفادة منهم لان معاكستهم وأمر البلاد في ايديهم لا يجدي نفعاً وان مجافاة الفرنساويين أوجدت اسباباً ساعدتهم على ضم تونس الى بلادهم . وقد ألجأه الى انتهاج هذا المسلك ايضاً ما قاساه من ظلم الحكم الاستبدادي في تونس وما آنسه من العوامل المحركة في مصر باغراء بعض الاجانب الذين يغرون صدور الناس على حكامهم مما يعود بالضرر

واضطر بعد اقامته سنتين بمصر أن يعود الى أوربا فتمم سياحاته فيها وعاد الى مصر فعينته الحكومة سنة ١٨٨٩ قاضياً في محكمة مصر الابتدائية وكثيراً ما كلفته الوزارة كتابة ملاحظاته على القضاء الشرعي لانه كان واسع الاطلاع فيه وما زال عاملاً مجتهداً رغم ما يعتوره من المرض حتى توفي سنة ١٣٠٧ (١٨٨٩)

وقد خلف آثاراً كتابية اكبرها كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار طبع بمصر في خمسة اجزاء وهو عبارة عن رحلة عامة في أوربا ومصر والشام والحجاز وغيرها وذكر فيها كثيراً من الحقائق التاريخية والاجتماعية عن بلاد العرب وتونس والجزائر لا تجدها في كتاب آخر واكثرها شاهده بنفسه أو كان داخلاً فيه ولا سيما تاريخ تونس والجزائر

وله ما خلا ذلك رسالة « تحفة الخواص في حل صيد بندق الرصاص » ومختصر في فن العروض . ورسالة في « التحقيق في شأن الرقيق » بحث فيها عن كيفية معاملة الرق عند المسيحية وان منع الحكومات الاسلامية لتجارة الرقيق شرعي وكتاب « تجريد الاسنان للرد على الخطيب رينان » رد فيه على ما كتبه رينان في الاسلام والعلم . ورسالة في جواز ابتياع أوراق الديون التي تصدرها الممالك الاسلامية حتى تبقى أموال المسلمين في بلادهم ولا يحجبهم عنها اشتباه الربا وهو لا ينطبق في هذه الحالة عليها . والف كتاباً مسهباً في شأن التعليم بمصر ذهب فيه الى وجوب انتشاره باللغة العربية لسهولة تناوله وتعميمه بين طبقات الناس

وله كتابات أخرى لم نقف على اسمائها ويؤخذ من مجملها ان صاحب الترجمة كان من محبي الاصلاح وتقريب المسلمين الى عوامل التمدن الحديث وازالة ما قد يعترضهم من أشباه الموانع الدينية على نحو ما كان يفعله الشيخ محمد عبده رحمهما الله

نقولا توما

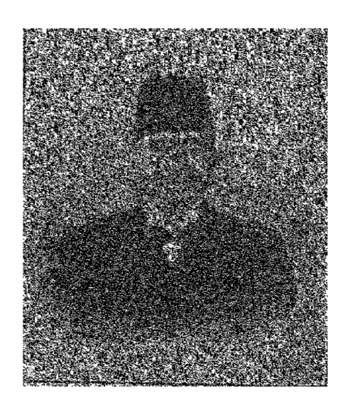
ولد سنة ١٨٥٣ وتوفي سنة ١٩٠٥

وُلد في صور وقد نفدت ثروة والده ونشأ وهو يسمع ما كان لهم من سعة الرزق وكان فيه نشاط وهمة وذكاء فانصرفت أفكاره الى انهاض عائلته والاخذ بيد والده الشيخ . وقبل أن يدرك السادسة من عمره أخذ في تلقي العلم ببعض المدارس الصغرى ثم في مدرسة الآباء اليسوعيين فظهر ذكاؤه ونبغ بين أقرانه وسبق كثيرين منهم وكان من حداثته ميالاً الى القاء الخطب والأساتذة يلاحظون ذلك فيه ويبشرون والده ان ابنه سينبغ خطيباً

وكأنه رأى من والده عجزاً عن القيام باجرة تعليمه (ريال مجيدي في الشهر) فعرض على الاباء اليسوعيين ان يعلم بعض صفوف المبتدئين في مقابل أجرة تعليمه فاجابوه . واتفق انه سمع بعض رفاقه من آل ابيلا يتباحثون في بعض المسائل النحوية فرغب في النحو والتوسع فيه فوق ما تدرسه تلك المدرسة فبث أمره الى والده فاخذ يبحث عن المعلم واجرة التعليم فوجد ان المعلم هو عم أولئك التلامذة الخواجه ميخائيل ابيلا فمضى اليه وقص رغبة ابنه عليه فتبرع الخواجه ابيلا بتعليمه مجاناً وصاحب الترجمة يومئذ في الثانية عشرة وقد كبر عليه أن يتعلم بدون أجرة أو ما يقوم مقامها فجعل يخدم معلمه في جميع مصالحه جهد طاقته . وكان قوي الحافظة فتعلم النحو وبرع فيه ومال الى الشعر فدرس العروض . ولم تمض عليه سنة في هذه الدروس حتى عزل والده من وظيفته بالكمرك وزادت ماليته ضيقاً فنغص الغلام فاستشار والده في الذهاب الى بيروت ليعمل عملاً يعينه فيه على المعاش فابى الا ان يتم دروسه فادخله مدرسة المعلم بطرس البستاني في بيروت . واتفق ان أخته كانت مقيمة مع زوجها هناك ورأت في اخيها ذكاء ورغبة في العلم فرتبت له معلماً يعلمه الفرنساوية في بيتها وحاطته أحسن حياطة وهو راغب في العمل فلم بعد نصف سنة أن جريدة التقدم تحتاج الى محرر او مترجم فتقدم اليها فاستخدموه فيها براتب زهيد فكان ذلك اول اشتغاله بالصحافة وهو لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره

وأخذت مواهبه تظهر من ذلك الحين وعمد الى استحثاث رفاقه على تأسيس جمعية وطنية لم يتم له انشاؤها . وكان خاطره مع ذلك قلقاً على حال عائلته بعد ان اقيل والده من وظيفته فاغتنم قدوم والي سوريا لتمضية فصل الشتاء في بيروت ونظم

قصيدة رفعها اليه فامر له بجائزة على جاري العادة فرفضها فاستغرب الوالي ذلك منه واستقدمه وسأله عن سبب الرفض فقال «اني رفعت اليك مديحي التمس منك ان تستخدمني في بعض دوائر الحكومة للقيام بأود عائلتي» وقص عليه حديث والده فاعجب الوالي بنباهته فوظفه في قلم الاملاك والنفوس في قائمقامية صور والتقى هناك بزوج عمة له اسمه نقولا الزهار كان عالماً بالفقه فاحس بميل الى هذا العلم فدرسه عليه ثم أخذ يتبحر به لنفسه حتى كثيراً ما كانوا يستقضونه في بعض الشؤون . وكان من حداثته ميالاً الى الاعراب في كلامه فاذا تكلم تكلم فصيحاً معرباً وتعود ذلك حتى صار ملكة فيه الى آخر ايامه



(ش ٤٠) : نقولا توما

قضى تلك الحداثة الضيقة ونفسه تطلب المزيد ومطامعه لا ترضى غير العلى والاحوال تقعده وتمنعه فاتفق استقالة الوالي الذي استخدمه ورأى مقاومة من رئيسه فذهب الى بيروت وقدم استعفاءه فاعفوه فطلبه المطران اغابيوس الرياشي ان يتولى التدريس في مدرسة عين القش بلبنان فاجاب ووجد في تلك المدرسة مكتبة حافلة بالكتب المنطقية والفلسفية والتاريخية فاستفاد من مطالعتها كثيراً . ولكنه عاد الى مطامعه ورأى نفسه اكبر من ان تسعها تلك الحالة فاستعفى ونزح الى الاسكندرية في

آخر سنة ١٨٧٤ وأخذ يبحث عن عمل يرتزق به فوفق الى وظيفة مترجم بمصلحة الملح وظل ملازماً التدريس في أوقات الفراغ فرأى في تلك المصلحة فساداً فانتقده فعزلوه فأتى القاهرة ونظم قصيدة رفعها الى رياض باشا ارفقها بكتاب ذكر فيه انه يستطيع عرض نظام مفيد لمصلحة الملح والوزير حر بقبوله أو رفضه . فاستحسن الوزير عزة نفسه واجاب طلبه فرفع عدة تقارير كان لها وقع حسن عند الحكومة وعملت بمقتضاها فاصدرت أمرها باحتكار الملح سنة ١٨٧٩ واعتمدت على صاحب الترجمة في كثير من مهامها وارتقى في هذه المصلحة الى وظيفة مفتش في المديريات ولكن نفسه مازالت تطلب المزيد فاستقال سنة ١٨٨٥

وكانت الصحافة العربية يومئذ لا تزال طفلة ولها مع ذلك تأثير في دوائر الحكومة والنفس الكبيرة ترى في صناعة القلم باباً لسد مطامعها في سبيل الشهرة فضلاً عن لذة الكتابة فأخذ صاحب الترجمة يشتغل في تحرير جريدة مرآة الشرق . ثم سافر الى باريس للسياحة فالتقى هناك المرحومين السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ورحل منها الى لندن وعرف في رحلته هذه عدداً من رجال الفضل واطلع على حقيقة التمدن ورأى الدنيا كما هي فعاد الى مصر وقد عدل عن الصحافة الى المحاماة فالتى مشقة كبرى فاز في آخرها ونفسه لا تزال تميل الى القلم فاستخدمه في سبيل المحاماة فانشأ مجلة الاحكام المصرية وكان لها شأن حسن في عالم الصحافة على أن سعة اعماله في المحاماة أدت الى أيقافها من عامها الثاني . وظل مثابراً على تلك المهنة ونبغ فيها حتى عد من اكبر رجالها وامتاز عن معظم زملائه بفصاحة العبارة واعرابها فقد شهدناه في بعض مجالس القضاء يعرب الكلام ويلقيه فصيحاً بليغاً لا يتوقف ولا يتلجلج مع جرأة واستقلال فكر فلا تأخذه في الحق لومة لائم ولا يبالي ان يقول للمخطىء اخطأت ولو كان قاضياً أو اميراً فاضطغنت عليه صدور البعض حتى اذا سنحت لهم فرصة حاسبوه فيها على عمل لا يعد في عرف المحامين ذنباً وان كان القانون لا يسوغه ورافق ذلك قرائن أخرى آلت الى اخراجه من سلك المحامين وهو في ابان الحاجة الى الراحة وكان الاطباء قد أشاروا عليه بها منذ أعوام وهو لا يستطيع ايقاف تيار أعماله بعد ان اتسعت اشغاله وحام اصحاب القضايا حوله . فلما حكم عليه بالراحة كان ذلك لازماً لصحته بعد ان انهكها الجهاد في طلب العلى . وكان الراحة اتت بعد فوات الفرصة فذهب للاستشفاء في بعض مدن أوربا فقضى هناك في مدينة افيان في ٢٥ اوغطس سنة ١٩٠٥ وحملت جثته الى مصر

حسن باشا محمود

ولد سنة ١٢٤٧ ه وتوفي سنة ١٩٠٦ ه

هو من أهل الدور الثاني للنهضة الطبية الاخيرة باعتبار تفاوتهم في أسلوب التأليف واختلافهم في المصادر التي تلقوا العلم عنها . نبغ من بين العامة وارتقى بجده واجتهاده حتى صار من أرقى طبقات الخاصة علماً ووجاهة . ونبوغ العامة الى طبقة الخاصة يكثر



(ش ٤١) . حسن باشا محمود

على الخصوص في اثناء الانتقال من عصر الى آخر او من دولة الى اخرى . اذ تصبح السعادة فوضى يتنازع الناس في اغتنامها فينالون منها على مقادير قواهم وحظوظهم

وُلد حسن باشا محمود في قرية صغيرة على طريق الاهرام يقال لها الطالبية وتلقى مبادىء العلم في المدرسة الحربية حتى اذا آن زمن الارسالية العلمية لعام سنة ١٨٦٢ بعد وفاة المسيو جومار أرسلوها الى المانيا وكان صاحب الترجمة في جملة أعضائها للتفقه في الطب فاقاموا حيناً في مونيخ يتعلمون بالالمانية ثم أتموا دروسهم في فرنسا لاسباب اوجبت ذلك الانتقال . فعاد صاحب الترجمة الى مصر سنة ١٨٧٠ وبيده الدبلومة

الطبية فعينته الحكومة المصرية استاذاً للتشريح في مدرسة القصر العيني ثم تولى تدريس علوم اخرى ورواتبه يزداد والانعام تتوالى عليه وكان راغباً في الشهرة فانتظم عضواً في جمعيتين قبل رجوعه من باريس فلما صار استاذاً في مدرسة قصر العيني انتدبته الاكاذمية البرازيلية لعضويتها وعين عضواً في عدة مؤتمرات طبية وتقلب في مناصب كثيرة بدوائر الامراء وفي المالية السنية وفي مصلحة الصحة والمدرسة الطبية . وما زال يرتقي في ذلك حتى تولى ادارة مجلس الصحة ثم رئاسة مدرسة الطب وكان كثير التفكير في العمل والسعي في التقدم . ومن مساعيه انه انشأ مجمعاً طبياً بمصر لم يطل عمره كثيراً

وكان مع ذلك كثير الاشتغال في الكتابة والتأليف وله مقالات طبية وعلمية تناقلتها الجرائد والمجلات وتباحثت بها الاندية والجمعيات . أما مؤلفاته فاكثرها منقول او ملخص عن الالمانية ولكنه كان كثيراً ما يبث آراءه واختباراته فيها . أولها كتاب ألفه في الفرنساوية قبل رجوعه من باريس موضوعه « داء الفقاع » اتى فيه على تاريخ هذا الداء من أول عهد الطب الى الآن وذكر رأيه في كثير من ابوابه وكان له وقع حسن عند أطباء الافرنج

وأكثر ما الفه من الكتب بعد ذلك منشور بمصر في العربية ككتاب الفرائد الطبية في الامراض الجلدية ذكر فيه كثيراً من الامراض الجلدية الشائعة في القطر المصري وكتاب الخلاصة الطبية في الامراض الباطنية . وكتاب البواسير ومعالجتها وتحفة السامع والقاري في داء الطاعون البقري الساري . والف رسائل في حمى الدنج وحمامات حلوان والكوليرا والنزلة الوافدة ومقالات كثيرة نشر أهمها في المقتطف منها مقالة ضافية في النباتات المصرية ومقالات في الزراعة بوادي النيل والحشيش والدمل المصري والتراخوما والسل غير ما نشر من قلمه في المجلات الطبية بمصر وغيرها

وبالجملة فقد كان رحمه الله عاملاً نشيطاً مجتهداً مع رقة طباعه وسهولة اخلاقه ورغبته في خدمة وطنه بما يبلغ اليه امكانه

*

جميل المدوّر

توفي سنة ١٩٠٧

هو جميل بن نخلة المدوّر وُلد في بيروت ببيت مجدٍ وأدب وخدم آداب هذا اللسان خدمة حسنة يذكرها له التاريخ ما بقيت اللغة العربية نعني كتابه « حضارة الاسلام في دار السلام » فانه من الآثار الباقية وقد مثل به ما بلغت اليه الدولة العباسية من أسباب الثروة والترف والعز والسؤدد برسائل على لسان رحالة فارسي قدم بغداد في أوائل تلك الدولة فلقي المهدي والرشيد وغيرهما ووصف حال تلك الدولة سياسياً واجتماعياً وأدبياً وتجارياً على أسلوب بليغ تلذ مطالعته وأشار في الحاشية الى المآخذ التي نقل عنها . من ذلك قوله على لسان ذلك الرحالة يصف دار الخلافة وداخلية بيت الرشيد : —

« لقد مضى بي في بغداد بعد العودة من خراسان نحو من ست سنين ما زلت منقطعاً فيها الى البرامكة وحافظاً لمقامي في الدولة تحت ظلهم وعنايتهم . وكنت اتردد في خدمتهم الى دور الخلافة فاقف على أحوال الرشيد في داخليته وأهل بيته فرأيته أعزه الله صالح السيرة شديد الاعراق في الدين محافظاً على أوقات الصلاة [١] وشهود الصبح لاول وقتها يصلي في كل يوم وليلة مئة ركعة لا يتركها الا لعلة تطرأ عليه [٢] وأذكر انه لما حصل في العام لزنة وغلاءُ سعر للناس واشتد الكرب عليهم اشتداداً عظيماً أمرهم بكسر الملاهي وكثرة الدعاء والتوبة [٣] فذلك دليلٌ فيه على حسن العبادة اذ مظهر يروم منه تأييد الدولة بايهام الائمة والعلماء ان الاسلام مغتبط بمناحيه . . .

« ولئن كنت رأيت له في تدبير المملكة ذلك التصرف الجميل فاني ما وجدته له في تدبير أهل بيته ومواليه وانما يرجع الرأي في ذلك الى زوجه أمّ جعفر وهي انفذ نساء العباسيين كلمةً في الدولة اذ كانت خير بنات بني هاشم وقد ربيت على مهاد الدعة والدلال كما يشير اسمها اليه فانها سميت زبيدة لغضاضة بدنها [٤] وكان جدُّها ابو جعفر يرقصها تهللاً بها [٥] وينظر الى غضاضتها وملاحتها فسماها زبيدة لذلك . فلما بنى بها الرشيد ووجدها طرفةَ حديث ومصدر رأيٍ جميل لم يرَ بدّاً من الانقياد اليها في قضاء جميع ما ترومه من الحوائج [٦] حتى اذا مكّنها من بيوت المال انفقت من سعة

(١) الفخري ٢٣٠ (٢) المقدمة ١٥ (٣) المستظرف ١ * ٨٢
(٤) اغاني ٩ * ١٠٢ (٥) الشريشي ٢ * ٢٤٥ (٦) اتليدي

ما ينيف عن ثلاثين الف الف دينار . فبنت مسجداً مباركا على ضفة دجلة بقربة من دور الخلافة يسمى بمسجد زبيدة [١] ومسجداً سامي الحسن في قطيعتها المعروفة بقطيعة أم جعفر [٢] بين باب خراسان وشارع دار الرقيق [٣] وحفرت العين المعروفة بعين المشاش بالحجاز ومهدت الطرق لمائها في كل خفض ورفع وسهل ووعر [٤] حتى اخرجتها من مسافة اثني عشر ميلاً الى مكة [٥] فبلغ جملة ما انفقت عليها الف الف دينار وسبعماية الف دينار [٦] وهذا من الاعمال التي لم تباشرها امرأة في الاسلام الا الخيزران ام الرشيد فانها عمرت كثيراً من المساجد [٧] ايضاً وبنت دار ابن يوسف بمكة التي وُلد فيها النبي صلى الله عليه وسلم مسجداً جزيل البركة [٨] وتوفرت عندها الاموال حتى بلغ الذي خلفتهُ مع ما توسعت فيه من النفقة مئة الف الف درهم [٩].

فان لم يكن لزبيدة من الاموال الخاصة ما يبلغ هذا القدر الجسيم فان لها بالسياسة رأياً يسمو بها الى التداخل في امور الدولة كافطن ما يكون من الرجال

« وقد صير الرشيد الامر في داخلية بيته بعد زبيدة الى مسرور خادمه العبد [١٠] وهو حاجبه وسيد مواليه [١١] وله في قصور الخلافة دواوين يقيم فيها حوزته من خدم وحرس وغلمان والكاتب له هو زياد بن ابي الخطاب [١٢] يقيم بقربة من مجلس يوسف بن القاسم صاحب ديوان الانشاء والذي قام [١٣] بين يدي الرشيد حين اخذت له البيعة على المسلمين . وفي ذلك دليل على مكان كتابه من الشرف وعلو المرتبة ولا غرو فان له من نفاذ الكلمة في الدولة ما ليس للامراء والحكام مثله اذ كان سيد دور الخلافة والحارس لها لا يدخلها شيء ولا يخرج منها شيء الا بعلمه واذنه . وكثيراً ما كنت أرى الملوك يتزلفون بالهدايا اليه ليخاطب الرشيد في حاجاتهم اذ ليس في اهل بيته من يجرأ عليه سواه [١٤] حتى كان اذ ركب لا يجسر أحد على سؤاله الى اين يذهب غيره [١٥]

« والى مسرور هذا الخصي الامر فيما هو خاص بالسراري والقيان وانهن لكثيرات في دار الرشيد يبلغن زهاء الفي [١٦] جارية يرفلن في أحسن زي من كل

(١) الف ليلة وليلة ١ ٭ ٨٣ (٢) ياقوت ٤ ٭ ١٤١
(٣) ابن خلكان ١ ٭ ١٨٩ والمستطرف ١ ٭ ٢٨٩ (٤) المسعودي ٢ ٭ ٤٠٢
(٥) ابن جبير ١٧٣ (٦) الشريشي ٢ ٭ ٢٤٥ (٧) ابن جبير ٢٧٦
(٨) المسعودي ١ ٭ ٣٠٦ (٩) المسعودي ٢ ٭ ٣٠٧
(١٠) الف ليلة وليلة (١١) ابن خلدون ٣ ٭ ٢٢٣ (١٢) أغاني ٤ ٭ ٩٩
(١٣) المحاضرة ٢ ٭ ١٣٢ (١٤) الاتليدي (١٥) أغاني ٩ ٭ ٩١
(١٦) اغاني ٩ ٭ ٨٨

نوع من انواع الثياب والجوهر . . . غير ان المقدم عليهن ثلاث اهداهنّ اليه الفضل ابن الربيع سحر وضياء وخنث ذات الحال لهن صورة تستنطق الافواه بالتسبيح وعيون لا ترتد الا باقتناص النفس وهن اللواتي يهواهنّ ويقول فيهن الشعر [(١)] ومن ذلك قوله :

أخذت سحرٌ ولا ذنبٌ لها   ثاني قلبي وربّاها الثلث
ان سحراً وضياءً وخنث   هن سحرٌ وضياءٌ وخنثْ

« وكنت اذا حضرت مجلسهُ وهن يغنين له من وراء الستارة ومعهن غانية منقطعة الى حمدونة بنته يقال لها دقاق لم يطق الستر ان يحجبهن عن نظره فيخرجهن اليه ويقول واللهِ لا صبر لي على الحجاب وانما هو ضعف يميل بي مع هوى النفس

« اما حريم الخلافة فانه دوائر كبيرة لا اتصال لها في بعض ولكل هاشمية من بنات الخلفاء دائرة منفردة عما سواها من الدوائر وأعظمها دائرة ام جعفر ودائرة اولاد المهدي ودائرة اولاد الهادي ودائرة أولاد الرشيد من غير زبيدة زوجه . ولهن جميعاً من الخدم والغلمان والخصيان ما ينتهي اليه اسراف الملوك في السعة ويتجلى به جمال السلطان بالزينة والاشراق . وحسبي من انغماسهن في النعيم وتقلبهن على مهاد الدعة والرخاء انهن يجلسن على فرش الحرير ويتخذن المخدات حشوها من الورد النثير . . . وكنت أرى الجواري من خدم الحاشية يلبسن الوشي المنسوج بالذهب ويتخذن العصائب مكللة بالجوهر وهذه هي الزينة التي عمت نساء القصر اقتداءً بعلية اخت الرشيد اذ كانت اول من اتخذ العصائب لعيب في جبينها فسترته بها فكان ذلك أحسن ما ابتدعته النساء ثم اتخذها بعدها سحاءُ جارية اسحق النديم وفريدة ومنة من مغنيات البرامكة حتى انطلق استعمالها في جميع النساء وصرن يكتبن عليها الكلام الذي يروق لاهل الهوى . . » اه

وكل الكتاب على هذا النسق البديع . وللمؤلف كتاب في تاريخ بابل وأشور صححه الشيخ ابراهيم اليازجي . وحب الفقيد للعلم والادب موروث من المرحوم والده نخله المدور وللوالد فضل كبير على آداب اللغة العربيـة بطبع كتاب « مجمع البحرين » لليازجي الكبير طبعه على نفقته يوم كانت بضاعة الادب كاسدة فبذل المال الكثير في نشر ذلك الكتاب رغبة في نشر العلم فنظم الشيخ ناصيف اليازجي يومئذٍ في الثناء عليه قصيدة قال في جملتها :

اذا عدَّت رجال العصر يوماً   فانك واحد بمقام الف

(١) أغاني ٥ * ٦٧ و١٥ * ٨١

المطران يوسف الدبس

ولد سنة ١٨٣٣ وصار مطراناً سنة ١٨٧٢ وتوفي سنة ١٩٠٧

١ — ترجمة حاله

أصل عائلته من غزير بلبنان وانتقل جده في أواخر القرن الثامن عشر الى كيفا ثم استقر ابوه في كفرزينا من زواية طرابلس فولد له صاحب الترجمة سنة ١٨٣٣ فتلقى مبادىء العلم في مدرسة القرية فلما بلغ الرابعة عشرة أدخل مدرسة عين ورقة وهي ارقى مدارس الطائفة المارونية في ذلك العهد فتلقى فيها اللغات العربية والسريانية واللاتينية والايطالية والمنطق واللاهوت الادبي في مدة اقصر مما تقدره لها المدرسة واضطر مع ذلك ان يغادر المدرسة سنة ١٨٥٠ ولم يمكث فيها الا ثلاث سنوات فأتم ما ينقصه من العلم بالدرس على نفسه لانه كان عالي الهمة ثابتاً صبوراً . ومدارس لبنان في ذلك العهد كانت تعدّ تلامذتها على الغالب اما للتعليم او للكهانة الا من رحل منهم في طلب الرزق . ولم يكن صاحب الترجمة انتظم بالكهانة فعمد الى التدريس فافتتح سنة ١٨٥١ مدرسة بطرابلس يعلم بها العربية ويغتنم الفراغ للمطالعة والدرس وعرف بين أقرانه بالنشاط وتوقد الذهن فاستقدمه مطران ابرشية طرابلس سنة ١٨٥٣ وكلفه ترجمة كتاب اللدع ودحضها ففعل

واتفق في السنة التالية وفاة البطريرك يوسف الخازن وقيام البطريرك بولس مسعد وكانت للدبس صحبة مع احد مطارنته فاستقدمه البطريرك واقامه معلماً في مدرسة ماري يوحنا مارون ثم آنس منه نفعاً للطائفة اذا انتظم في خدمتها فجعله سنة ١٨٥٤ شماساً واخذ يرتقي في رتب الكهنوت فلم يمض عليه ثماني عشرة سنة حتى صار مطراناً على بيروت وهو المنصب الذي توفي فيه . وانما ارتقى اليه على أثر ما بدا من غيرته على الطائفة وسعيه في خدمتها بالدفاع عنها بلسانه وقلمه بما خطبه او ترجمه او الفه . وازداد بعد توليه ذلك المنصب اجتهاداً في هذا السبيل فارتقت الطائفة على عهده واجتمعت كلمتها بما كان يبثه فيها من روح الغيرة وما كانوا يرونه من سهره على مصلحتهم ودفاعه عن حياضهم

ومما زاده رفعة في أعينهم حتى استهلكوا في خدمته انه كان لا يطعن طاعن على المارونية الا انبرى للدفاع عنها بتأليف الردود وأشهر حرب من هذا القبيل انتشبت بينه وبين المطران يوسف داود . فقد احتدم الجدال بين الرجلين نحو سنة ١٨٧١ وكلاهما عالم قوي الحجة فاجادوا في الاخذ والرد بما يلائم روح ذلك العصر من

المناظرات الطائفية التي يعانها أهل هذا الجبـل . واشهر ما ظهر من آثار صاحب الترجمة في سبيل الدفاع كتاب روح الردود وقد ترجم الى اللاتينية والفرنساوية وطبع غير مرة

وقد زاد الطائفة تمسكاً به وتفانياً في تعظيمه سعي بعض حساده في تحقيره بوشاية رفعوها الى رومية فلما ظهرت براءته عاد مكرماً مبجلا واحتفل رعاياه باستقباله احتفالا احتشدت فيـه الجموع من لبنان وبيروت فقيلت الخطب ونظمت القصائد وتواردت عليه رسائل التهنئة بما لم يسبق مثله لمثله — وذلك طبيعيٌّ في سير الرجال العظام فان ما يلاقونه من المشاق او يقام في طريقهم من العقبات يضاعف شهرتهم لانه



(ش ٤٢) : المطران يوسف الدبس

يحمل مريديهم على المناداة بفضلهم واذاعة آثارهم وينشطهم على العمل . مَن من عظيم لولا العقبات التي أقامها اعداؤه في سبيله لظل خامل الذكر او اقتصر في جهاده على بعض ما يستطيعه من الاعمال . فالرجل العاقل اذا كان على ثقة من نفسه وجب عليه ان يسرّ بما يقيمه أعداؤه او حساده من العقبات في طريقه لان بالضغط والمقاومة تظهر القوى الـكامنة ويوافق ذلك قول الشاعر :

عداي لهم فضل عليَّ ومنةٌ فلا ابعد الرحمن عني الاعاديا

هم عرّفوني زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

وفي سنة ١٨٩٧ انقضت السنة الخامسة والعشرين من مطرانيته فاحتفلت الطائفة بيوبيله . وكان قدوة حسنة لابناء ملته فتسابقوا الى الاعمال المبرورة بانشاء الجمعيات الخيرية والاخذ بيده في مشروعاته وما زال عاملاً حتى توفاه الله . وقد رحل الى اوربا خمس رحلات زار بها رومية ومرّ بالاستانة ونال كثيراً من أوسمة الدولة العلية وفرنسا وغيرها

٢ — مآثره

مكث صاحب الترجمة في مطرانية بيروت ٣٥ سنة اتى في اثنائها أعمالا تخلد ذكره بعضها كتب والبعض الآخر ابنية كالمدارس والكنائس والاديرة غير ما خلفه من الاثر الحسن في نفوس رعيته من الاقتداء باجتهاده وفضله . اما الكتب فبعضها من تآليفه او ترجمته قبل المطرانية وبعدها والبعض الآخر نقحه وهذبه ومجموع ذلك ٣٥ كتاباً اليك اشهرها :

مؤلفاته

(١) تحفة الجليل في تفسير الاناجيل
(٢) معجم للفقه لم يطبع
(٣) مغني المتعلم عن المعلم بالنحو (مدرسي)
(٤) مربي الصغار ومرقي الكبار «
(٥) سفر الاخبار في سفر الاحبار (رحلة)
(٦) روح الردود على المطران يوسف داوود
(٧) خطبة في الفلسفة واللاهوت ثلاثة اجزاء
(٨) تاريخ سوريا مطوّل ومزين بالرسوم في تسعة مجلدات

ترجماته

(١) كتاب البدع ودحضها
(٢) « الرسوم الفلسفية لم يطبع
(٣) « اللاهوت الاعتقادي ٤ مجلدات
(٤) « الحق القانوني لم يطبع

ما نقحه وطبعه

(١) كتاب تفسير رؤيا يوحنا للقس يوسف الباني
(٢) القداس

(٣) الرسائل وكتب الجنازات والافراميات والحسابات والشحيم الكبير
(٤) الكاتيكزمو الروماني وذخيرة الالباب وغيرها

مشروعاته

(١) مدرسة الحكمة وهي من أكبر مدارس بيروت تمّ بناؤها سنة ١٨٧٨ وقد مضى عليها نحو ٤٤ سنة وهي تعلم العلوم واللغات فتخرج منها جماعة كبيرة من شبان هذه النهضة وانشأ من تلامذتها وكهنتها جمعية علمية لها حفلات وأعمال

(٢) الكنيسة الكاندرائية الكبرى في بيروت فرغ من بنائها سنة ١٨٩٤ وقد انفق عليها نحو ٢٠٠٠٠ ليرة وبنى كنائس اخرى ومدارس ونحوها فبلغ مجموع ما انفق عليها كلها وعلى مدرسة الحكمة ٧٠٠٠٠ ليرة ولم يكلف الابرشية من هذه النفقات قرشاً واحداً وانما كان يجمعه بسعيه وحسن أسلوبه

*

سليم مخائيل شحادة

ولد سنة ١٨٤٨ وتوفي سنة ١٩٠٧

وُلد في بيروت يوم الثلاثاء في ١٤ دسمبر سنة ١٨٤٨ م في بيت عرف بالفضل والعلم فدرس في المدرسة الارثوذكسية الكبرى المعروفة بالثلاثة اقمار التي أسست اولاً في سوق الغرب نحو سنة ١٨٠٢ م) على أشهر اساتذة عهده ولا سيما الياس حبالين فاتقن عليه الفرنسية والعربية على بعض الاساتذة ثم درس الانكليزية والعلوم على بعض المرسلين وتعمق في التاريخ والجغرافية وانقطع الى مكتبته الغنية بالمؤلفات المطبوعة والمخطوطة (مجلة المشرق ١٠ : ٩٦١) وتبحر في المعارف وتبسط في التاريخ تبسطاً كافياً وكان يتمرن بمساعدة والده مخائيل شحادة في القنصلية الروسية التي دخلها في سنة ١٨٦٦ م وعرف باصالة رأيه وحصافة عقله ومقدرته في اللغتين العربية والفرنسية وله مع والده اليد الطولى في تأسيس الجمعية الخيرية الارثوذكسية في مدينة بيروت فترأسها نحو سبع عشرة سنة وتولى ادارة شؤون مدارسها نحو عشر سنوات فنجحت وازهرت . وفي اثناء ذلك تجددت الجمعية السورية العلمية سنة ١٨٦٨ م بعهد المغفور لها راشد ناشد باشا والي سورية وكامل باشا متصرف لواء بيروت فانتظم المترجم في سلك اعضائها العاملين . ونحو سنة ١٨٨٠ م تجدد انتظامها ثانية باسم المجمع العلمي الشرقي وكان من أهم اعضائها من نذكرهم بحسب الحروف الهجائية ابراهيم الحوراني ابراهيم اليازجي اسبر شقير الدكتور اسكندر بك البارودي بطرس البستاني جرجس همام جرجي زيدان جرجي يني سليم البستاني سليم شحادة سليم نوفل الدكتور فارس نمر الدكتور كرنيليوس فان ديك مراد بك البارودي نعمة يافث الدكتور يعقوب صروف الدكتور يوحنا ورتبات وغيرهم . فالقى المترجم مثل كثير من زملائه الاعضاء خطباً شائقة منها رسالات سنيكا الفيلسوف الروماني الى لوسيليوس نشرت في المجموعتين الثامنة والتاسعة لاعمالها . ولما نشرت جريدة حديقة الاخبار لصديقه المرحوم خليل الخوري باللغتين الفرنسية والعربية سنة ١٨٧٠ م حسب طلب المغفور له فرنكو باشا ثاني متصرفي لبنان كان المترجم ينشيء القسم الفرنسي مع زميله المرحوم سليم شقيق صاحب الحديقة . وله فيها مقالات تشهد بطول باعه في السياسة والانشاء . وعلى منضدة مكتب تلك الجريدة اتفق السليمان على وضع « آثار الادهار » في التاريخ والجغرافية وساعدهما في بعض أبوابه المرحوم اديب اسحق الكاتب الشهير . فطبعا الجزء الاول

من القسم الجغرافي في أوائل سنة ١٨٧٥ م بالمطبعة السورية في ١٩٢ صفحة ثم على أثر ذلك هصرت المنية زميل المترجم بالهواء الاصفر فبقي هو مثابراً وحده على العمل وطبع الجزء الثاني في ١٥ نوفبر سنة ١٨٧٥ م والثالث في ١٢ مارس سنة ١٨٧٦ م ثم الجزئين الرابع والخامس . وجميعها الآن في مجلد واحد لم تجاوز حرف الباء وصفحاتها ٩٨٠ صفحة بقطع كبير في عمودين بحرف من الجنس الثاني ونهاية مباحثه بعض تاريخ بلجيكا . ومن فوائده انه ذكر فيه جميع قرى ومدن سورية وأوربا واميركا الخ القديمة والحديثة وما تقلب عليها وتاريخ نشأتها وعمرانها . ومن انصاف المترجم انه ابقى جميع الاجزاء باسمه واسم زميله الذي عاجلته المنية على أثر انجاز الجزء الاول . أما القسم التاريخي فطبع الجزء الاول منه سنة ١٨٧٧ م في ٣٨٤ صفحة وحفظ فيه اسم زميله بعد ان مضى على وفاته سنتان وفاء بحقوق الاخاء . ورفع الكتاب بقسميه خدمة للاعتاب السلطانية . وصدر القسم التاريخي بمقدمة في فلسفة العمران صدرها بالبحث عن الانسان وشؤونه ثم استرسل الى علم التاريخ وأحواله ومنشأه ونتائجه وتقسيمه في ١٤ صفحة بقطع الكتاب وحرفه وجاء بما لم يجيء به الا كبار علماء العمران

وعلى الجملة فان آثار الادهار هو أول دائرة للمعارف التاريخية والجغرافيـة في اللغة العربية مرتبة على الحروف الهجائية وافية المباحث المفيدة وعلى انقاضه قامت دائرة المعارف العربية التي أسسها المرحومان بطرس البستاني وولده سليم . ولقد ذكر الآثار كثيرون من المستشرقين

ولما انشأ الصحافي الشهير خليل افندي سركيس اللبناني مجلة (المشكاة) انشأ المترجم فيها مقالات هامة في تاريخ الاندلس وتراجم أهله ونوادرهم ونشر في المقتطف مقالة ضافية في الجغرافية وجغرافيي الاسلام . وانشأ سنة ١٨٨٥ مجلة ديوان الفكاهة الروائية القصصية بشركة صديقه المرحوم سليم بولس طراد

وكان رفيع المنزلة بين أصدقائه وجيهاً في قومه تولى الترجمة في القنصلية الروسية أعواماً عديدة فانعم عليه القيصر بوسام القديسة حنة الثالث سنة ١٩٠٢ فقضى حياته يخدم السياسة والعلم واشتغل في أواخر ايامه بوضع تاريخ مطول للكنيسة لم يتمه . وتوالت عليه المحن في أواخر عمره بوفاة معظم اخوته ووالديه فاثر به الحزن فأصيب بعلة قلبية ذهبت بحياته في ١٥ اكتوبر سنة ١٩٠٧ في سوق الغرب فحمل الى بيروت ودفن فيها

قد لخصنا هذه الترجمة من دواني القطوف بتصرف

الدكتور يوحنا ورتبات

استاذ التشريح والفسيولوجيا في المدرسة الكلية السورية

ولد سنة ١٨٢٧ وتوفي سنة ١٩٠٨

١ — فضل الارسالية الاميركية في سورية

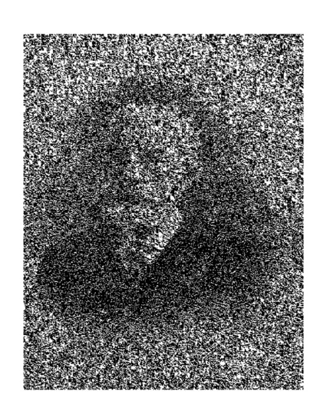
لكل الارساليات الدينية فضل على سوريا ولكن للارسالية الاميركية ما عدا مدارسها العالية التي تخرَّج فيها الالوف من الشبان والشابات في العلم والطب والصيدلة والتجارة ومشروعاتها الخيرية التي اعالت الالوف من المعوزين وذوي الاسقام فضلاً يربو في نظر الباحث الاجتماعي على كل ما تقدم نعني تربية الاخلاق. ان فضل المرسلين الاميركان في هذا السبيل لا يمكن تقديره حق قدره. انهم بلا خلاف من اكبر دعائم هذه النهضة العلمية. ولعلنا لا نغالي اذا قلنا ان هذه التربية كانت في جملة الاسباب التي مهدت السبيل لاعلان الدستور لانها ترقي نفوس الشبان وتعودهم استقلال الفكر والاعتماد على النفس والصراحة في القول والجاهرة بالرأي فيخرج الطالب من مدرستهم رجلاً يثق بنفسه فيبث هذه الروح بين أهله وينشأ مقداماً لايبالي بالاسفار في استدرار الرزق أو طلب الغنى. ناهيك بما استفاده السوريون من جوارهم بالقدوة ولا سيما في أوائل هذا العصر لمسيس الحاجة الى الاصلاح. ولتفرد بعض المرسلين يومئذ بمناقب تجذب القلوب وتستهوي العقول فيحلو للنفس تقليدها والاقتداء باصحابها — اذا جمعت هذه الحسنات وغيرها مما لا محل له هنا هان عليك تصور فضل الارسالية الاميركية وانما عمدنا الى ذكر هذا الفضل الآن لنتطرق منه الى سبب ظهور صاحب الترجمة استاذنا المرحوم الدكتور ورتبات لان ظهوره من جملة افضال تلك الرسالة كما سترى

٢ — أصله ارمني

كان للرسالة الاميركية عمل في بر الاناطول قبل عملها في سوريا وكان الانكليز قد سبقوها الى هناك وفيهم القسيس والقنصل والتاجر والكاتب فاخذوا بناصرها واصبح مرجع الاميركان في شؤونهم الى سفير انكلترا في الاستانة. ولكن الاباء اليسوعيين كانوا أسبق الجميع الى التعليم والتبشير هناك. ولهم شأن خاص في أرمينيا فقد دخلوها ونشروا الكثلكة فيها من أواسط القرن الخامس عشر فظهرت طائفة الارمن الكاثوليك وعرف الباقون باسم الارمن الارثوذكس وكانوا أقل علماً واضعف عزيمة لتفوق الكاثوليك بالعلم والنظام واجتماع الكلمة مع ارتباطهم برومية. فاضطر الارثوذكس

اخيراً الى استنجاد بطرس الاكبر قيصر الروس لحمايتهم — ولا تزال كنيستهم تحت حماية روسيا مثل سائر الكنائس الارثوذكسية في الشرق الاسلامي

وللكنيسة الارمنية ثلاث طبقات من الاكليروس وهي الاساقفة والكهنة والشمامسة . والاساقفة ثلاث درجات (١) رئيس الاساقفة (٢) الاسقف (٣) نائب الاسقف ويسمونه في اصطلاحهم « ورتباد » وهو في الاصل يقابل لقب « دكتور في اللاهوت » في أواخر القرن الثامن عشر أو اوائل التاسع عشر حدث في أرمينيا حادث بعث على مهاجرة جماعة من كبار الاكليروس الارمني نزحوا من أرمينيا الى بر



(ش ٤٣) : الدكتور يوحنا ورتبات

الاناطول وصل الينا اسماء ثلاثة منهم وهم اسقفان أحدهما قرابيت ديونيسيوس والثاني يعقوب ابكاريوس والثالث كان برتبة ورتباد التي تقدم ذكرها ثم قيل بالتحريف « ورتبات » ولم نقف على اسمه

. لا نعلم سبب تلك المهاجرة وقد يكون السبب اختلافاً في المذهب أو الرأي ويقال ان الكنيسة الارمنية ادعت عليهم انهم تصرفوا باموال دير أو كنيسة هناك . فلم يجدوا من ينصفهم فانضموا الى الكنيسة الانجيلية ولجأوا الى سفير انكلترا في

الاستانة اللورد ستراتفورد فلما تفحص قضيتهم اعتقد براءتهم فاخذ بناصرهم وتوسط في اطلاق سراحهم وأشار عليهم بالذهاب الى سوريا وارفقهم بكتب توصية الى قنصل الانكليز في بيروت واسمه بطرس ابوت وهو حمو استاذنا الدكتور فنديك وجد صديقنا المستر ادوار فنديك لامه وعليه معولنا في تحقيق اصل عائلة صاحب الترجمة ونشأته الاولى

شخص هؤلاء الى سوريا والمرسلون الاميركان لاول عهدهم فيها فرحبوا بهم فاقاموا فيها وتزوجوا . فاقام يعقوب ابكاريوس في بيروت وعرف بيعقوب آغا واشترى منزلاً قرب القشلاق عرف باسمه . ثم اشتراه الارمن وجعلوه ديراً لهم ولا يزال الى الآن وعائلة ابكاريوس مشهورة

واما ديونيسيوس فتزوج واولد وعرفت عائلته في بيروت باسم قرابيت . وأما ورتبات فتزوّج واولد يوحنا صاحب الترجمة وكركور ويعقوب.ومات ابواهم وهم اطفال فعنيت بتربيتهم مسز هوانين المرسلة الاميركانية أحسن تربية وعلمتهم . فلم يصبُ الى الدين منهم الا يوحنا . وأما اخواه فاحدهما يعقوب نزح في شبابه الى أميركا واختفى خبره وكركور تعلم الطب في بلاد الانكليز وتعاطاه في الكرنتينات فاقام رئيساً لكرنتينا كربلاء عدة سنين ثم نقل الى جدة ومات فيها

٢ — سيرة حياته

أما يوحنا ورتبات فقد وُلد سنة ١٨٢٧ وتلقى مبادىء العلم في مدارس المرسلين الاميركان في بيروت وكانوا لا يزالون حديثي العهد في التعليم يعلمونه كل شيء في اللغة الانكليزية فساعد ذلك على اتقانه هذا اللسان تفهما وتلفظاً . وقرأ آداب اللغة العربية على الشيخ ناصيف اليازجي وتفقه بالمنطق والعروض على الشيخ عقل من علماء حلب. وقرأ على المرسلين ايضاً بعض اللغات القديمة كالعبرانية واللاتينية واليونانية في أثناء درسه علم اللاهوت . وكانت التقوى قد ظهرت فيه منذ نعومة أظفاره فتفقه بالدين على أن يتعاطى التبشير . ورأى ان عمله يكون اكثر نفعاً اذا تعلم الطب فتلقى معظمه على المرحوم الدكتور فنديك . ولم يكن يشترط بالطبيب لمعاطاة الطب ان يكون في يده شهادة فارسله المرسلون مبشراً الى حاصبيا . فاقام في هذا المنصب مدة طويلة تزوَّج في اثنائها بسالومي ابنة قرابيت المتقدم ذكره . واشتغل وهو في حاصبيا بالعلوم الدينية ودرس الاديان الشائعة في سوريا وخصوصاً الدرزية . وقد وفق الى الاجادة في ذلك بمطالعة كتب وقعت لاحد الفرنساويين على أثر حادثة سنة ١٨٦٠ وهو ينهب بعض الخلوات. توصلت هذه الكتب الى ورتبات واستفاد منها كثيراً في هذا الموضوع

وادت الحادثة المشار اليها الى تشتت شمل الناس فنزل جماعات من أهل لبنان وحاصبيا وسائر سوريا الى بيروت وفي جملتهم يوحنا ورتبات وترك مهنة التبشير أو التعليم . فاشار عليه استاذنا الدكتور فنديك ان يتم دروسه الطبية في بلاد الانكليز فيسهل عليه الارتزاق من الطب فسافر الى ايدنبرج واتم الطب في مدرستها . وعاد الى سوريا وبيده الدبلوما الطبية فاستخدمته جمعية التبشير C. W, S. طبيباً ومبشراً في حلب مكث فيها بضع سنين وعاد الى بيروت . وكانت المدرسة الكلية في أول نشأتها وتعليمها في اللغة العربية فهي تحتاج الى اساتذة من الاطباء يعرفون الانكليزية والعربية جيداً فوجدوا في صاحب الترجمة الرجل المطلوب وانما ينقصه الاختصاص بفن يتقنه لاجل التعليم . فاقترحوا عليه ان يتخصص للتشريح والفسيولوجيا واشار عليه الدكتور فنديك أن يتقنهما في أميركا ويحصل على الدبلوما الاميركية ليسهل على اللجنة تعيينه في عمدة المدرسة فذهب الى نيويورك وتفقه بالتشريح والفيسيولوجيا وعاد الى سوريا فعينته عمدة المدرسة الكلية استاذاً للتشريح والفيسيولوجيا فيها

قضى في هذا المنصب نيفاً وعشرين سنة وهو موضوع احترام التلامذة فتخرج تحت يده مئات من الشبان وكلهم يحبونه ويجلون قدره . وقد كنا في جملة الذين قرأوا عليه التشريح والفيسيولوجيا الى سنة ١٨٨٣ درسناهما في كتابيه اللذين الفهما في هذين العلمين باللغة العربية وهما مشهوران وعبارتهما سهلة ممتنعة . وقد عانى المشاق الجسيمة في تأليفهما وان كان اكثرهما منقولا عن الانكليزية وانما المشقة في ايجاد الاوضاع العربية الملائمة للمصطلحات الافرنجية في ذينك الفنين . وكان يعتقد ان عبارة كتاب الفيسيولوجيا أحسن من عبارة كتاب التشريح واكثر التلامذة يرون عكس ذلك فكنا اذا اردنا مداعبته قلنا له « ان عبارة كتاب التشريح أحسن » فيظهر استغرابه

وما زال استاذاً لهذين الفنين حتى جرى في المدرسة الكلية الخلاف المشهور بين العمدة وطلبة الطب سنة ١٨٨٢ واستقال الدكتور فنديك من منصبه وكان يعلم الباثولوجيا فعهدوا بتعليمها الى الدكتور ورتبات فعلمها اربع سنوات . أي حتى خرج الطلبة الذين كانوا بدأوا الطب باللغة العربية ثم جعلوا يعلمون الطب في اللغة الانكليزية فلم تبق حاجة الى أستاذ يعرف العربية

وقد اولد ثلاثة ابناء هم هنري وأمين ووليم توفي هذا الاخير في شبابه وابنتين هما لوسي وادلا ولما توفي في بيروت لم يكن في منزله من أهله الا ابنته ادلا لان ولديه كانا

بعيدين . فتولى نعيه جماعة من نخبة وجهاء بيروت واكثرهم من تلامذته واصدقائه فنعوه الى الناس فاحتفل أهل المدينة بتشييع جنازته احتفالا يليق بمنزلته

وكان له مقام رفيع بين العلماء والوجهاء واحرز من علامات الشرف وسام الاستحقاق الذهبي وساعة من أصحاب المستشفى البروسياني في بيروت بعد تطبيبه فيه ١٥ سنة والمجيدي الرابع من الدولة العثمانية مكافأة على خدمته في الكوليرا التي تفشت سنة ١٨٧٥ ثم العثماني الرابع جزاء عمله في نشر العلم

٤ — مناقبه ومؤلفاته

كان ربع القامة مع ميل الى القصر ممتلىء الجسم . عرفناه في كهولته وقد وخطه الشيب وزاده هيبة ووقاراً . وكان ذكي الفؤاد حسن النظر لكنه كان ضعيف الذاكرة الى ما يفوق التصديق ولا سيما في اسماء الاشخاص — فقد يلتقي باحد تلامذته الذين تلقوا العلم عليه وعاشروه سنتين في الصفوف على الاقل وسنتين اخريين في المستشفى ولا يذكر اسمه وانما يذكر صورته فيقول له « انك من تلامذتي ولكنني لا اذكر اسمك » فاذا تسمى تذكر كل مايعرفه عنه . ومن أمثلة ذلك انا بعد ان تركنا المدرسة الكلية في أثناء حادثتها المشار اليها اخذنا في درس اللغة العبرانية فعلمنا ان عند الدكتور ورتبات كتاباً مطولا في نحو هذا اللسان فاستعرناه منه للمطالعة ثم دوهمنا بالسفر الى بلاد الانكليز وبقي الكتاب معنا سهواً . وفي السنة التالية عدنا الى مصر واعدناه اليه مع بعض الاصدقاء لكنه لم يسلمه اليه بيده فلم يكن يعلم انه جاءه . واتفق اننا جئنا بيروت بعد سبع سنوات فالتقينا بالاستاذ في منزل أحد الاصدقاء فلم يخاطبنا لانه نسينا على عادته . لكنه لم يكد يسمع اسمنا حتى التفت الينا وقال « ماذا جرى بالكتاب العبراني ؟ » فاخبرناه الواقع

وكان طيب السريرة خالص الطوية يميل الى البساطة في كل شيء حتى في اعتقاده وآرائه وفي عشرته وسيرته . فاذا استوصفه مريض وصف له أبسط العلاجات ولم يكن يعول في الطب الا على الوسائل الهيجينية كالاستحمام بالماء البارد وتبديل الهواء والاعتماد على التغذية البسيطة ويميل في انذاره الطبي الى التهوين على المريض . وكان قنوعاً في مطالبه لا يهمه جمع المال انما يهمه ان يشفى المريض وأن يكون وسيلة لتخفيف الآلام والمصائب . فاذا كان مريضه فقيراً أحسن اليه بما يستعين به على الغذاء والدواء لا يفرق بين المسيحي وغير المسيحي ولذلك سموه فنديك الثاني لاشتهار صديقه استاذنا الدكتور فنديك بهذه المناقب من قبل

وله مؤلفات عديدة بعضها كتب مطبوعة والبعض الاخر رسائل نشرت في المجلات

أو على حدة . وكتبه اكثرها طبي وبعضها غير طبي . أما الكتب الطبية فهي :

١ كتاب أصول التشريح . وهو كتاب كبير فيه مئات من الرسوم كان عليه معوله في اقراء هذا العلم بالمدرسة الكلية

٢ كتاب الفيسيولوجيا : وهو مزين بالرسوم وقد تقدم ذكره

٣ حفظ الصحة: سماه كفاية العوام في حفظ الصحة وتدبير الاسقام وهو مجموع فوائد عامة لحفظ الصحة وتدبير المرض عند غياب الطبيب

٤ كتاب التشريح الصغير في مبادىء هذا العلم وهو جزيل الفائدة ومعه أطلس كبير فيه صور الاعضاء لافادة غير تلامذة الطب

٥ رسائل عديدة اكثرها صدر بالانكليزية وكل رسالة في مرض خاص كالجزام والطاعون والكوليرا والحمى التيفوئيدية والتريخينيا وغيرها

أما مؤلفاته في غير الطب فمنها :

١ كتاب في اديان سوريا نشر في اللغة الانكليزية واسمه Researches into the religions of Syria وهو بحث في الاديان الشائعة في سوريا بحثاً تاريخياً واعتقادياً ويشتمل بحثه بضعة عشر ديناً أو مذهباً

٢ قاموس انكليزي عربي : هو منسوب الى ابنه ولكن له فضلاً كبيراً في تأليفه

٣ قاموس انكليزي وعربي وعربي وانكليزي له وللدكتور بورتر

٤ كتاب حكمة العرب في اللغة الانكليزية

٥ رسائل عديدة في الوصايا والتربية وغيرها نشرت في المقتطف وغيره يضيق المقام عن تعدادها

وله رسائل في اللغة الانكليزية وترجمات كثيرة في مواضيع مختلفة . وكان وسيلة في نشر بعض الاثار الشرقية الدينية منها الكتب والاوراق التي استخرج منها كتابه في اديان سوريا فانه دفعها الى جان هندرسن أوف بارك الكويكري في لندن فطبعها

الدكتور جورج بوست

استاذ الجراحة في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت

ولد سنة ١٨٣٨ وتوفي سنة ١٩٠٩

ترجمة حاله

وُلد في نيويورك سنة ١٨٣٨ وكان ابوه الدكتور الفريد بوست من مشاهير الجراحين وعضواً في اللجنة المركزية التي انشأت المدرسة الكلية الاميركية باموالها ومساعيها . انتظم الدكتور الفريد في سلك هذه اللجنة في نيويورك سنة ١٨٧٣ — ١٨٨٦ واشترك في عملها بمال وقفه لتنشيط القسم الطبي من هذه المدرسة بما ينتج من ريعه . فكان ينفق من هـذا الريع حسب الحاجة في سبيل المدرسة الطبية وما زاد منه يحفظ . وبلغ ما اجتمع من ذلك الريع ولم ينفق نحو ٧٠٠٠٠ ريال اميركاني (١٤٠٠٠ جنيه) وهي مرصودة لعمل الخير في سبيل الطب وعهد بانفاقها بهذا السبيل الى ابنه صاحب الترجمة ولعلها تصير الآن الى حفيده

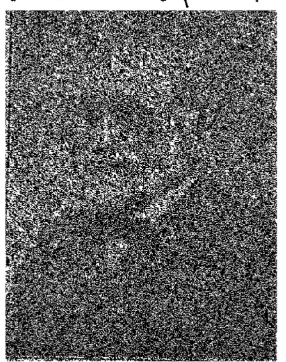
تلقى الدكتور جورج بوست العلم في كلية نيويورك وتعلم الطب في جامعتها وكان ابوه من أساتذتها فنال شهادتها سنة ١٨٦٠ ثم تعلم اللاهوت فصار من المبشرين الاطباء وقضى مدة في خدمة الامة الاميركية أثناء الحرب الاهلية . وفي سنة ١٨٦٣ قدم الى سوريا للتبشير والتطبيب فقطن طرابلس وأخـذ في اتقان اللغة العربية ليسهل عليه مخالطة الناس وتبشيرهم او معالجتهم فنال منها حظاً وافراً . وكان يستعين على حفظ المفردات العربية بقوائم من الفاظها يلصقها على جدران غرفته بحيث يراها كيفما اتجه . وما زالت لهجته عند التكلم كثيرة الشبه بلهجة الطرابلسيين الى آخر ايامه

وكان المبشرون الاميركان في سوريا لا يزالون مضطهدين يخافون على حياتهم من القتل لان رؤساء النصرانية هناك كانوا يسيئون الظن بهم ويعدونهم غرماء ينافسونهم على السيادة . فكثيراً ما أصاب المتقدمين من مبشري الاميركان اذى أو لحق بهم اهانة في سبيل التبشير ومن هـذا القبيل ان الدكتور بوست خرج يوماً الى دوما للوعظ بدلاً من الدكتور جسب لانه كان مريضاً . فحضر الوعظ رجالٌ من بسكنتا صاحوا به وهموا بقتله فضربه احدهم بالعصا على كتفه وأطلق آخر الرصاص عليه فأخطأه فاسرع بعض الاصدقاء وحملوه الى البيت وقد تعطلت كتفه

وبعد بضع سنوات عاد الى نيويورك سنة ١٨٦٧ وكان المرحومان الدكتور فنديك

والدكتور ورتبات قد باشرا تأسيس المدرسة الطبية وأخذا في العمل فعينت اللجنة المركزية الدكتور بوست استاذاً للنبات والمواد الطبية والجراحة فيها

فعاد الى سوريا وأخذ في العمل مع رفيقيه المذكورين وقد جعلوا تعليم الطب في اللغة العربية ولم يكن فيها كتب تلائم التدريس فاخذوا يشغلون ساعات الفراغ بالتأليف ويلقنون التلامذة ما يؤلفونه فينسخونه في دفاترهم ويدرسونه في منازلهم . ولذلك كان تلامذة مدرسة الطب في السنين الاولى من انشاء هذه المدرسة ينسخون الكتب بايديهم لا يجدون في ذلك مشقة لان اساتذتهم كانوا قدوة لهم بالنشاط والهمة والمواظبة . وما زال الدكتور بوست يعلم في هذه المدرسة ويطبب في المستشفى



(ش ٤٤) . الدكتور جورج بوست

البروسياني ويعالج في المنازل ويخطب على المنابر ويؤلف الكتب الى سنة ١٩٠٨ فالتمس اقالته فاقيل وعينوا ابنه الدكتور الفريد مكانه ففاجأه المرض ولم يجد حيلة في دفعه فمات مأسوفاً عليه

أعماله وآثاره

قضى ٤١ سنة وهو يعلم الجراحة وغيرها في المدرسة ويعالج المرضى في المستشفى بالجراحة ـ وهو الفرع الذي خصص نفسه له وأشتهر به بين الخاصة والعامة حتى أصبح لفظ « بوست » في عرف البعض مرادفاً للفظ « جراح » لانه أول من اشتهر بينهم بهذا الفن في أثناء هذه النهضة . ولم يكن عمله قاصراً على التعليم والتطبيب والتأليف

فقد كان يشتغل بعلوم اخرى يساق اليها شغفاً بالعلم ورغبة في العمل كاشتغاله بالنبات وكان مولعاً به وله فيه وفي علم الحيوان آراء واكتشافات مهمة وخصوصاً في النبات. فانه اكتشف كثيراً من انواعه في سياحاته بسوريا وفلسطين ومصر وسينا والاناطول وقد سمي بعضها باسمه « بوست » وألف على أثر ذلك كتابه في نبات فلسطين وسوريا وأصبح ثقة بجغرافية فلسطين الطبيعية

وقد جمع بتوالي الاعوام معرضاً نباتياً بالمدرسة الكلية يعدُّ من المعارض الثمينة وكان رحمه الله يقضي اكثر ساعات الفراغ فيه وقد أعانه في جمعه تلامذته في النبات لانه كان يفرض على كل منهم أن يجمع أمثلة من النبات ويجففها ويقدمها له فيختار هو ما يستحسنه منها ويضيفه الى معرضه وكنا في جملة من فعل ذلك. فهو بهذا الفن وحده يستحق لقب العالم العامل ويعد من كبار علماء النبات. وقد عرف فضله علماءُ اوربا واميركا فادخلوه في جمعياتهم الطبية والعلمية. فهو عضوٌ في جمعية لينيوس في لندن وفي نادي النباتيين وعضو في اكاذيمية الطب في نيويورك. ونال النيشان العثماني من الدولة العثمانية ونيشان ال دوكان السكسوني والنسر الاحمر من حكومة المانيا ولقب فارس من جمعية فرسان اورشليم الالمانية جراء خدمته في المستشفى البروسياني في بيروت

وكان له في المدرسة فضلاً عن معرض النبات معارض المواد الطبية والمستحضرات الجراحية وفيها آثار ما اجراه من العمليات الجراحية كالحصى المثانية والاورام والعظام

وكان مع ذلك يجد فراغاً يشتغل فيه بهندسة أبنية المدرسة فقد رسم بعضها بيده وكثيراً ما كان يتعهد بناءها وينتقده وخصوصاً قاعة العلم فانه تتبع بناءها بنفسه ولم يكن يضيع فرصة لا يفيد بها تلامذته حيثما التقى بهم من شرح عملية في المستشفى أو تفسير حادثة على الطريق او في المنزل. وكان رابط الجأش وهو يعمل العمليات فكثيراً ما سمعناه يتحدث في السياسة أو الادب أو الاجتماع ويداه غائصتان في الدم لا يظهر عليه الارتباك مهما يكن من خطر العملية التي يشتغل بها فضلاً عن خفة يده في العمل

وكان يرحل الى اميركا سعياً في جمع الاموال للمدرسة وخصوصاً للقسم الطبي ومن ثمار سعيه في هذا السبيل انشاء قاعة العلم التي جعلوها داراً للمعارض العلمية وقد سميت باسمه G. E. Post Science Hall ومن آثاره الادبية في خدمة هذه المدرسة انه أنشأ لتلامذة الطب جمعية سماها الجمعية الكلية يتباحث فيها التلامذة في المواضيع المفيدة. وقد تولى رئاستها مدة طويلة ووضع لها نظامات كانت مثالاً لكثير من الجمعيات التي نشأت في سوريا بعد ذلك. أما آثاره القلمية فأهمها في الطب وفروعه

وبعضها في سبيل الكتاب المقدس وهي :

(١) مبادىء التشريح والهيجين والفسيولوجيا

(٢) علم الحيوان في جزئين : الاول في نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات والثاني في الطيور

(٣) مبادىء علم النبات ويتضمن شرح بنيته ووظائفه ووصف الفصائل الطبيعية

(٤) نبات سوريا وفلسطين الذي ألفه بعد رحلته التي تقدم ذكرها وهو من أهم مؤلفاته وقد خدم فيه علم النبات خدماً جزيلة

(٥) كتاب الاقرباذين او المواد الطبية

(٦) المصباح الوضاح في صناعة الجراح وهو مطول في الجراحة العلمية

(٧) مجلة الطبيب انشأها وحررها هو بنفسه بضع سنين . ثم حررها المرحومان الشيخ ابراهيم اليازجي والدكتور زلزل والدكتور خليل سعادة سنة واحدة ثم تولى رئاسة تحريرها المرحوم الدكتور اسكندر بك البارودي

(٨) فهرس الكتاب المقدس وهو فهرس ابجدي مطول لكل الالفاظ الواردة في التوراة والانجيل والزبور

(٩) قاموس الكتاب المقدس في مجلدين كبيرين

غير ما كان يتلوه من الخطب او ينشئه من المقالات مما نشر في المجلات العلميـة وغيرها

أخلاقه ومناقبه

قد رأيت مما تقدم انه كان مثالا في النشاط والهمة والثبات والمواظبة على العمل مع المحافظة على الوقت وكان يعد التقصير في ذلك رذيلة . ويغضبه الاخلال في الوقت لاي سبب من الاسباب . ذكروا من امثلة ذلك انه كان في سفر بعيد فلما رجع ذهب اصدقاؤه لملاقاته ولم يذهب معهم ولده لاشتغاله بدرس كان عليه في تلك الساعة فسألوه عن سبب تخلفه فقال « لان والدي لا يرضى ان أترك درسي في هذا السبيل »

وكان مدققاً في سائر معاملاته لا يقصر في ما عليه للآخرين ولا يحتمل تقصير الآخرين في حقه . وهذا هو السبب في ما أشيع عنه من التدقيق في اقتضاء حقه من مرضاه . فلم يكن يتجاوز عن شيء من اجرة العيادة او العملية . وربما نقص المبلغ المطلوب قرشاً او بعض القرش فلا يتحول ما لم يقبضه ولو كان المريض فقيراً معوزاً ويعدون ذلك بخلاً منه . وظهر هذا البخل مجسماً بالمقابلة مع اريحية زميله الدكتور

فنديك وسخائه فقد كان رحمه الله كثير التساهل مع مرضاه يعين بعضهم بثمن الدواء والطعام فضلا عن اجرة العيادة . فظهر تدقيق صاحب الترجمة بخلا قبيحاً وتحدث الناس به . والحقيقة انه انما كان يفعل ذلك جرياً على طبيعته في دقة المعاملة كما تقدم بدليل ما علمناه عن ثقة انه كان اذا دعي لاعانةٍ في مشروع خيري تبرع باضعاف مايتبرع به سواه والتمس ان لا يذكر اسمه في قاعة المتبرعين

وكان عصبي المزاج حاد الطبع يتسرع الى سوء الظن — ربما بعثه على ذلك بالاكثر صممٌ كان في احدى اذنيه فاذا رأى اثنين يتخاطبان سبق الى ذهنه انهما يتكلمان عنه فيحكم بالظن وقد يعاتب على الشبهة . وكثيراً ما جرَّ ذلك الى التنافر بينه وبين تلامذته حتى آل الى التقاضي لدى عمدة المدرسة . وتجسم الخلاف مرة حتى اشتكاه طلبة الطب كافة الى لجنة المبشرين الكبرى في سوريا على اثر الخلاف الذي وقع بين الطلبة وعمدة المدرسة سنة ١٨٨٢ وكنا من اولئك الطلبة . فاجتمعت تلك اللجنة من انحاء سوريا للنظر في ذلك الخلاف لكنها لم تحسن السياسة في حكمها فخرج معظم طلبة الطب من المدرسة واستعفى الدكتور فنديك انتصاراً لهم في حديث طويل لا محل له هنا — والكمال لله وحده

الشعراء

الشيخ امين الجندي الحمصي

توفي سنة ١٨٤١ م

هو أشهر من نظم المقطعات او الادوار الغنائية في سوريا ووقعها على الالحان وُلد في مدينة حمص في اوائل القرن الثالث عشر للهجرة ونشأ فيها وطلب العلم على علمائها وتردد الى دمشق وقرأ على أئمتها وفي جماتهم الشيخ عمر اليافي الشهير ثم عاد الى موطنه وأقام فيه ومارس الشعر فنبغ به

وفي سنة ١٢٤٦ هـ جاء الى حمص عاملٌ من قبل المغفور له السلطان محمود الثاني فوشى اليه بعض أعوانه ان الشيخ امين الجندي هجاه وطعن فيه وبلغ ذلك الشيخ ففر الى حماه فبعث العامل في طلبه بعض رجاله فقبضوا عليه وحبسوه في اصطبل الدواب ومنعوا عنه الطعام الا قليلا من خبز الشعير وبعض الماء . واتفق بعد ايام قليلة ان رجلا من قبيلة الدنادشة يقال له سليم بن باكير غشي مدينة حمص بمئتي فارس من عشيرته ودخلها عنوة وقتل عاملها واخرج الشيخ من السجن بعد أربعة أيام من سجنه وفرح به الناس وظل موقراً محترماً حتى توفاه الله سنة ١٢٥٦ (١٨٤١ م) ودفن في حمص

وقد عني بعضهم في جمع منظوماته في كتاب يعرف بديوانه جمع فيه كثيراً من القصائد والمقامات والموشحات ننقل بعض الاغاني على سبيل المثال لان أهل الشام ومصر ظلوا يتغنون بمنظوماته معظم القرن الماضي . من ذلك قوله على نغم ابيات

يا بدر حسنٍ تبدى من ورا الحجب   يفترّ يا قوته عن لؤلؤ رطب
ويا غزالاً زها بالتيه والعجب   أراش عمداً لقتلي أسهم الهدب

سل بنديه . عن عطفية . في برديه . ليلاً اذا بانا
من جفنيه . ام لحظيه . ام كفيه . دارت حميانا

دور

يا ذا الرضاب الشهي والمبسم الحالي   سل كل من تشتهي في الحي عن حالي
يا بدر لا انتهي ان لامني الخالي   حيرت للمنتهي في نقطة الخالي

خف مولاك . في اهلاك . من يهواك . وارفق بمفتونك
من افتاك . يا فتاك . او اغراك . في قتل محزونك

وله من عروض حجاز :

هيمتني تيمتني عن سواها اشغلتني
اخت شمس ذات انس لا بكاسٍ أسكرتني
لست اسلوها ولو في نار هجرانٍ سلتني
كعبة لبيت اسمى للصفا لما دعتني
لنظام الحسن ابدت طرة فيها سبتني
ام رماح من لجين تحت رايات غزتني
جدل الشال السليمي فوق اعطاف شجتني

وله من عروض صبا :

ان انعمت ليلايا بالقرب يا بشرايا
دور شمسٌ الى الاقمار تهدي سنا الانوار
يا نسمة الاسحار ابدي لها شكوايا
دور سلت على العشاق سيفاً من الاحداق
لا تنكروا اشواقي فيها ولا بلوايا

وله من قدّ لحنه رصد :

اقبل الساقي علينا وهو كالبدر التمام
وانثنى عجباً لدينا حاملاً كاس المدام كالفرقد
بالخد المورَّد والثغر المنضد
ولديه ايه ايه ايه ولديه ايه ايه ايه قم واطرب واسكر كم بدر اسفر
دور تحسد الاغصان طولك كلما حيت طلولك
والهوا يثني قوامك والصفا يجلو شموسك يا اغيد
يا ذا القد الاملد والناحظ المهند
بجمال خال حال عال في روض الزهر وبشال سال طال مال يزهو بالجر

وقال مخمساً :

افدي التي لو رآها الغصن مال لها شوقاً ولو قتلت صباً لحلَّ لها
حوريةٌ لو رآها عابدٌ للها مرت بحارس بستان فقال لها
سرقتِ رمانتي نهديك من شجري
قالت وقد بهتت من قوله خجلاً فتش قميصيَ حتى تذهب الوجلا

فهمّ ان يقبض النهدين ما مهلا فصاح من وجنتيها الجلنار على
قضيب قامتها لا بل هما ثمري

وقال مشطراً :

يا ناقل المصباح لا تمرر على ربع به صبح المحاسن اسفرا
واحذر بان تغشى اشعة نوره وجه الحبيب وقد تكحل بالكرى
اخشى خيال الهدب يجرح خده فيبث مسك الخال منه العنبرا
او ان يدب لفيه نمل عذاره فيقوم من سنة الكرى متذعرا

المعلم بطرس كرامة

ولد سنة ١٧٧٤ وتوفي سنة ١٨٥١

هو بطرس بن ابراهيم كرامة من أعيان حمص وُلد فيها سنة ١٧٧٤ ونشأ وتأدب فيها ثم حدث اضطراب واضطهاد للطائفة الكاثوليكية . وكان عمه المطران ارميا كرامة على ولاية دمشق ارتدم عليها سنة ١٧٦١ فقدم السيد ارميا المذكور الى حمص ونزل ضيفاً على أخيه ابراهيم . ووفد في تلك السنة على حمص مطران من السريان الكاثوليك أصله من (صدد) ولم يقبله السريان اليعقوبيون فنزل على المطران ارميا في بيت أخيه ابراهيم واقام القداس هناك بضعة ايام ثم سافر الى الجبل فاغتاظ من ذلك شيخ صدد واغرى مسعود آغا سويدان حاكم حمص يومئذ ان يشكوه الى بطال باشا عند قدومه الى حمص ويقول له ان ابراهيم كرامة جعل بيته كنيسة ويشكو سائر الكهنة الكاثوليكيين اضطهاداً للكاثوليك على الاجمال . فقبضوا عليهم وسجنوهم واهانوهم وضربوا عليهم مالا لا يخرجون الا بعد دفعه فجمعوه ودفعوه . فكره ابراهيم الاقامة في حمص بسبب ذلك فخرج الى عكا مع ابنه بطرس ومنها الى لبنان

وكان بطرس ذكياً من حداثته يقول الشعر ويحسن اللغة التركية وكان ذلك عزيزاً في تلك الايام . واتفق ان الامير بشيراً الشهابي الكبير أمير لبنان الشهير احتاج الى من يعلم ولديه خليلاً وأميناً وبلغه خبر بطرس المذكور فاستقدمه اليه سنة ١٨١٠ فرأى من كفاءته وتعقله ما حببه اليه فقربه وجعله معتمداً من قبله في المسير الى عكا اذا اقتضت الحاجة مخابرة واليها . وكانت وقتئذ خزينة حكومة لبنان بلا نظام فوضع لها القوانين ورتبها على أسلوب اعجب الامير بشيراً فرفع منزلته وجعله كتخداه أي نائبه فاصبح نافذ الكلمة لا يراجعه الامير في أمر احبه فوقعت في القلوب هيبته وانتشرت شهرته . وما زال يدير أعمال لبنان بحكمة وسياسة حتى قضت الاحوال بنفي الامير بشير سنة ١٨٤٠ الى الاستانة فرافقه المعلم بطرس وكان له اكبر تعزية في تلك الغربة وتقرب هناك من رجال الدولة فتعين مترجماً في المابين الهمايوني وما زال في ذلك المنصب حتى توفي سنة ١٨٥١

وكان رحمه الله شاعراً مجيداً كثير المحفوظ متوقد الذهن فصيح اللسان بليغ القول

مهيباً مكرم الجانب . وله مصنفان لم يطبعا . وأما منظوماته فهي في ثلاثة دواوين احدها
نظوم في سوريا والثاني في مصر والثالث في الاستانة وقد طبع منها ديوان سنة ١٨٩٨
اكثر ما فيه من منظومات سوريا عدد ابياته نحو سبعة آلاف بيت اكثرها في مدح
لامير بشير ووصف أعماله ومدح من عاصره من الامراء والعظماء ومكاتبة الشعراء
الادباء — من ذلك قوله من قصيدة غزلية :

فتن القلوب وقد تمنطق خصره   من أعين العشاق أي نطاق
أمسى يداعبني بورد خدوده   لما رآه يفيض من آماقي
يفترُّ عن درّ فابكي مثله   لله در الطرف من سراق

وقال يصف رشحاً ألمَّ به :

وليلة بتُّ أشكو الرشح من ضرر   حتى فنيت وحال الحال وانسابا
قالوا اترشح يا هـذا فقلت لهم   كلا ولـكن أنني صار ميزابا
كأن عيني عين المـاء في هطل   وصار انفي دلو الماء صبابا

وقال من موشح يصف به قناة أجراها الامير بشير من ينبوع اسمه الفوار ومنهل
يعرف بنبع القاع ونهر يسمى الصفا :

دور

جاء بسم الله مجراه الى   بيت دين المجد منقاداً مطيع
كانفجار الصبح يبدو من على   ذلك السفح الى الروض البديع
وتباهى جارياً يعلو على   كل طود شامخ الانف منيع
ملئت منه السواقي قطعا   دافعاً كالعارض المنبجس
فغدا بالخصب يزهو منعما   كل ربع مقفر مندرس

دور

دار في دار السنى مثل العريس   يتهادى في رداء جوهري
حوله المنزو كعشاق عيس   في رداء من حرير اخضر
تبتغي لثم محيـاه النفيس   والحيا يمنعهـا بالنظار
خلتهن قائمات خدما   حوله منعطفات الارؤس
وعليـه ساهرات هيما   تلتوي اعناقهـا بالنعس

دور

اطلع الزنبق يسقي الياسمين   من ندا أقداحه صرف العقار

فاعتلى المضعف بالحسن المبين وانثنى البان عليه ثم غار
وشذا النسرين بالعطر الثمين فتدانى نحوه أنف البهار
نقل النمام ان النما عانق النوفر جنح أغلس
والاقاحي قد أعار الخزما خفية تاج الشقيق الاطلس

دور

غرد الميزاب كالصب الولوع وتصابى حين صب الدررا
رقصت تلك السواقي والربوع وتغنت جاريات سحرا
لاعب الطالع من تلك النبوع نوفرات مسفرات غررا
وسبيل الصفو منه قسما موكب الحزن بافراح القسي
طفح الانبوب شوقاً عندما شاهد البدر لديه يحتسي

وله قصيدة خالية تكرر لفظ الخال في كل قافية وكل منها بمعنى وهي :

أمن خدها الوردي افتنك الخال فسحَّ من الاجفان مدمعك الخال
وأومض برق من محيا جمالها امينيك أم من ثغرها أومض الخال
رعى الله ذياك القوام وان يكن تلاعب في أعطافه التيه والخال
ولله هاتيك الجفون فانها على الفتك يهواها اخو العشق والخال
مهاة بامي افتديها ووالدي وان لام عمي الطيب الاصل والخال
ارتنا كثيباً فوقه خيزرانة بروحي تلك الخيزرانة والخال
غلائلها والدر اضحى بجيدها نسيجان ديباج الملاحة والخال
ولما تولى طرفها كل مهجة على قدها من فرعها عقد الخال
اذا فتكت أهل الجمال فانما لهن على أهل الهوى الملك والخال
وليس الهوى الا المروءة والوفا وليس له الا امرؤ ماجدٌ خال
وكم يدعي بالحب من ليس أهله وهيهات ان الحب والاحمق الخال
معذبتي لا تجحدي الحب بيننا لما اتهم الواشي فاني الفتى الخال
ولي شيمة طابت ثناء وعفة تصاحبني حتى يصاحبني الخال
سلي عن غرامي كل من يعرف الهوى تري انني رب الصبابة والخال
ولا تسمعي قول العذول فانه لقد ساء فينا ظنه السوء والخال
سعى بيننا سعي الحسود فليته اشلّ وفي رجليه أوثقه خال
وظبية حسن مذ رأيت ابتسامها عشقت ولم تخط الفراسة والخال
توسم طرفي في محاسن وجهها فلاح له في بدر صيانها خال

الى مثلهـا يرنو الحليم صبابة ويعشقها سامي النبـاهة والخال
ايا راكباً يطوي الفلاة بيكرة يباع بهـا النهد المطهم والخال
بعيشك ان جئت الشآم فعج الى مهب الصبا الغربي يمن لك الخال
وسلم باشواقي على مربع عفا كأن رباه بعدنا الاقفر الخال
وان ناشدتك الغيد عني فقل على عهود الهوى فهو المحافظ والخال
وان قلن هل سام التصبر بعدنا فقل صبره ولى وفرط الجوى خال
اكل جماح ان تمادى شكيمة ولـكن جماح الدهر ليس له خال

عبد الباقي العمري

شاعر العراق

ولد سنة ١٢٠٤ هـ وتوفي سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦٢ م)

هو عبد الباقي العمري الفاروقي الموصلي الشاعر الشهير المولود بالموصل سنة ١٢٠٤هـ (١٧٩٠م) والمتوفى ببغداد سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦٢ م) يتصل نسب أبيه سليمان العمري بالخليفة عمر بن الخطاب ولهذا يعرف هو وسائر ابناء أسرته بالعمريين والفاروقيين . ولهم وجاهة ومكانة سامية في بلدتهم الموصل وسائر بلاد العراق وبيتهم بيت علم و فضل انتج كثيرين من الشعراء والادباء . وقد اتصف عبد الباقي منذ صغره بالحذق والذكاء واشتغل بالادب ونظم الشعر وهو بعد فتى وتقلد المناصب السامية ولم يتجاوز العشرين من عمره . وكان أعيان الموصل ينتدبونه لعظام المهام ويوجهونه في معضلات الامور . فاشتهر أمره لدى الولاة والحكام . وكان تعيين والي الموصل في تلك الايام منوطاً بوالي بغداد قبل ان يقره الباب العالي على ولايته . واتفق انفصال والي الموصل في اثناء ولاية داود باشا على بغداد فانتدب أعيان الموصل عبد الباقي للتوجه الى بغداد والتوسط بتعيين يحيى باشا فسار الى بغداد وكان داود باشا من أهل العلم ومروّجي بضاعة الادب فاكرمه وسأل عن سبب قدومه فاجابه بهذين البيتين

يا مليك البلاد امنيتي حا   شاك مثلي يعود منك كسيرا
أنت هارون وقته ورجائي   ان ارى في حماك يحيى وزيرا

فاستحسن داود باشا ذلك وبادر الى طلب الوزارة ليحيى باشا . وبعد أعوام انتفض داود باشا على الدولة وكان والي الموصل اذ ذاك قاسم باشا ابن عم صاحب الترجمة فاتته الاوامر من الاستانة بالمسير في جيش كثيف الى بغداد والقبض على المماليك وداود باشا من جملتهم . فسار قاسم باشا الى بغداد يصحبه عبد الباقي فاظهر المماليك الطاعة حتى أتاهم قاسم باشا بنفر قليل فغدروا به ورجع عسكر الموصل ومعه عبد الباقي فسيرت الدولة علي باشا اللاز من الاستانة الى بغداد لقمع ثورتها وقتل داود باشا . فلما بلغ الموصل ورأى صاحب الترجمة اعجب بذكائه واصطحبه معه الى بغداد . ولما استتب له الامر وقبض على داود باشا اقرّ عبد الباقي وقلده

سمى مناصبها وجعله كتخدا الولاية أي معاوناً له . وبقي من ثم في بغداد الى آخر يامه وكان نافذ الـكلمة مرعي الجانب يعهد اليه الولاة بالمهام الخطيرة وهو على اشتغاله بخدمة حكومته يصرف همه في اثناء المطلة والفراغ الاشتغال بالآداب ومجلسه حافل بالادباء ومراة الاعيان

وكان رحمه الله شاعراً مجيداً قوي البديهة سريع الخاطر متفنناً في شعره ميالاً الى التصوف كثير المدح لآل البيت محباً لعلماء عصره وادبائهم باراً بهم وبغيرهم من ذوي الحاجات ومن مؤلفاته :

١ : ديوان أهلة الافكار في معاني الابتكار

٢ : نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر

٣ : ديوان طبعه بمصر الشيخ عثمان الموصلي وسماه « الترياق الفاروقي من منشئات الفاروقي » وذيله بترجمة له مسهبة لخصنا منها معظم ما تقدم

وحسبنا ان نورد مثالا من شعره مقطوعة نظمها عند ما شخص بباخرة من بغداد لى الـكوفة يؤم ضريح الامام علي بن ابي طالب

بنا من بنات الماء للـكوفة الغرّا ... سبوح سرت ليلاً فسبحان من اسرى
تمدّ جناحاً من قوادمه الصبا ... تروم باكناف الغري لها وكرا
كساها الاسى ثوب الحداد ومن حلى ... تجملها بالصبر لاعجها اجرى
جرت فجرى كل الى خير موقف ... يقول لعينيه قفا نبك من ذكرى
وكم غمرة خضنا اليـه وانما ... يخوض عباب البحر من يطلب الدرّا
نؤم ضريحاً ما الضراح وان علا ... بارفع منه لا وساكنه قدرا
حوى المرتضى سيف القضا اسد الشرى ... عليّ الذرى بل زوج فاطمة الزهرا
مقام عليّ شرف الله وجهه ... مقام عليّ ردّ عين العلى حسرى
أثير مع الافلاك خالف دوره ... فمن فوقه الغبرا ومن تحته الخضرا
احطنا به وهو المحيط حقيقـة ... بنا فتعالى ان نحيط به خبرا
تطوف من الافلاك طائفـة به ... فتسجد في محراب جامعه شكرا
وحزب من العالين يهتف بالثنا ... عليه بوحي كدت اسمعه جهرا
جدير بان يأوي الحجيج لبابه ... ويلمس من اركان كعبته الجدرا
حريّ بتقسيم الفيوض وما سوى ... ابي الحسنين الاحسنين بها احرى

ترى منه بالدنيا الثراء لمترب ... وللمذنب الجاني الشفاعة في الاخرى
باهداب اجفان واحداق أعين ... وجرّ وجوه عفرتها يد الغبرا
امطنا القذى عن جفن وجه مذكر ... اجلّ سيوف الله اشهرها ذكرا
فوالله ما ندري وقد سطع السنا ... جلونا قراباً ام جلينا له قبرا

وخلف عبد الباقي ثلثة ابناء سليمان فهيم افندي وحسين حسني بك ومحمد وجيهي بك اقام الاول في الموصل واما الاخيران فانهما قدما مصر سنة ١٢٨١ هـ وتنقلا اعواماً في اسمى مناصب الحكومة المصرية (سليمان البستاني)

فرنسيس فتح الله مراش

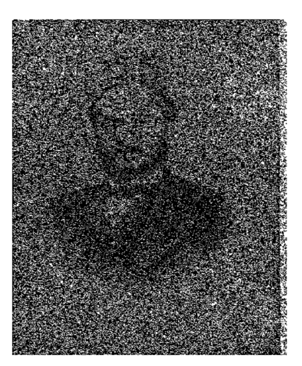
ولد سنة ١٨٣٦ وتوفي سنة ١٨٧٣

هو فرنسيس بن فتح الله مراش وُلد بمدينة حلب في ٢٩ يونيو سنة ١٨٣٦ من ارومة طيبة الاصل . ولما بلغ الرابعة من عمره أصيب بداء الحصبة وثقلت وطأتها عليه حتى كادت تودي به ثم منّ الله عليه بالشفاء الا انه بقي من آثارها في جسمه وبصره ما نغص عليه عيشه وأوهن قواه مدى العمر . ولبث في حلب الى ان يفع يتلقى القراءة ثم مبادىء العلوم الى ان كانت سنة ١٨٥٠ فسار والده الى اوربا واستصحبه معه فتجول فيها مدة تنيف على السنة ثم رأى والده ان يطيل مكثه في فرنسا لضرورة دعت الى ذلك فارجعه الى حلب وبقي فيها الى سنة ١٨٥٣ . ولما عاد والده من اوربا في هذه السنة دعته مقتضيات تجارته الى التعريج على بيروت فعرج عليها واستدعاه من حلب فسار منها الى بيروت وأقام معه بها نحواً من سنة ثم عاد الى مسقط رأسه والقى به عصا التسيار مدة مديدة وأقبل يشتغل في خلالها بالادب وهو الفن الذي كان قد ولع به منذ صبوته حتى انه عُرف له نظم على طريقة الصبيان نظمه وهو ابن تسع سنين ودونها . ولكنه لم يقصر درسه على الادب وحده بل اقبل يدرس غيره من العلوم وكان يتخرَّج في كل علم منها على من يلقاه من الاساتذة . ولما رأى آخر الامر ان علم الطب لا يبلغ احدٌ منه ارباً ما لم ينل الاجازة في تعاطيه عملاً وتيقن ان أعظم الاجازات اعتباراً في تلك الايام ما كان صادراً منها من مدرسة باريز رحل في طلب ذلك الى هذه المدينة حوالي سنة ١٨٦٧ وأقام بها نحواً من سنتين يتردد على مدرسة الطب فيها اتماماً لدروسه واستعداداً للامتحان ولكن صروف الدهر عاندته وخانته الجدود العواثر من وجوه اخرى فاعتراه من أسقام البدن وضعف البصر ما صرفه عن المثابرة على الدرس فلم يظفر بمراده من التقدم للفحص لنيل الاجازة بل اضطر ان يقفل راجعاً الى حلب وهو عليل ومكفوف البصر او يكاد ولم يزل مقيماً بحلب الى ان توفاه الله في أواسط سنة ١٨٧٣

اما تصانيفه فالمطبوع منها « غابة الحق » و « مشهد الاحوال » وكلاهما مطبوع في بيروت وله ديوان سماه « مرآة الحسناء » أرسله بحياته الى المرحوم سليم البستاني فطبعه له في مطبعة المعارف في بيروت . اما الكتابان الاولان فقد سلك فيهما مسالك فلسفية وبث فيهما آراءه باسلوب بديع . صنف معظم الاول منهما في باريز والثاني في حلب وله ايضاً رسائل موجزة في مواضيع شتى ولكنها لم تطبع فلذلك لم تعرف

وله رحلة الى باريس طبعت في بيروت وشهادة الطبيعة بوجود الله والشريعة طبعت بمطبعة الاميركان بعد نشرها في النشرة الاسبوعية وله غرائب الصدف وغيرها من الرسائل

وكان في الجملة مشاركا في كثير من العلوم الا انه كان الى العلوم الفلسفية اميل وكان يؤثرها على العلوم الرياضية وغيرها لما في تلك من سعة المجال للخواطر ولما في هذه من ضيق المجال وحرج القيود والقوانين على من يريد ان يقتدح زناد نفسه فانه كان لا يطيق احتمال الاسر المعنوي فضلا عن الحسي . ولذا كان يحاول التملص من رق العادات الجازمة بحجز حرية التصرف بل طالما كان ينزع الى الاغضاء عن قيود اللغة



(ش ٤٥) : فرنسيس فتح الله مراش

واغلال قوانينها وسلاسل قواعدها ايضاً حتى صار قليل الالتفات الى تحرير أساليبه وتنقيح عباراته على ما تقتضيه اصول الانشاء

الا انه كان يعرف حق المعرفة ان الحرية المطلقة هي كالكبريت الاحمر لا تقوم الا في الذهن ولا وجود لها في الخارج وهذا ما حداه الى ان يقول :

رقّ الزمان جرى على كل الورى واقتادهم بسلاسل وقيود
رسفَ الامير مكبلا بنضاره رسف الاسير مكبلا بحديد

وان يقول :

صدقوني كل الانام سواءٌ | من ملوك الى رعاة البهائم
كل نفس لها سرورٌ وحزنٌ | لا تني في ولائم او مآتم
كم أمير في دسته بات يشقى | بالهُ والاسيرُ في القيد ناعم
اصغر الخلق مثل اكبرها جر . | ماً لهذا وذا مزايا تلائم
هذه النمل تستطيع الذي تع | جز عن فعله الاسود الضياغم
والخلايا للنحل اعجب صنعاً | من قصور الملوك ذات الدعائم

وكل من انعم النظر في تصانيفه خيل له انه لم يكن في كل الاحوال راضياً عن الزمان واهله وانه كان كثير التبرم بالناس والاشياء كافة وان كلامه في كثير من المواطن يشف عن الشكوى من الدنيا واهلها . وهذا لا يستغرب من رجل رماه الدهر بالارزاء حتى اصبح كئيباً كاسف البال وقد حداه ذلك الى ان قال :

توتّر اقواس الردى لرمايتي | ومن أعين الحساد تبرى سهامها
يجر عليّ الدهر جيش خطوبه | فتلقاه نفسٌ يستحيل انهزامها
ومن خبر الدنيا وأدرك سرها | تساوى لديه حربها وسلامها

ومن هذا القبيل ما أورده في « غابة الحق »

اذا كان وقع السيف ليس يمضني | فعندي سواء غمده وغراره
وان كان جمر الخطب ليس يصيبني | فلا خوف لي مهما يهب شراره
انا لا ارى في الارض شيئاً يروقني | لذلك نور العمر عندي ناره
ايطربني هذا الزمان وكله | عراك على الدنيا يثور غباره

هذا ما يلمح من خلال نظمه ونثره الا انه كان في معاشرة الناس ومخالطتهم متودداً انيساً تأبى نفسه ان يصيب الناس اذى مما ابتلاه الله به من الاشجان وكان اذا عنّ له خاطر املاه على كاتب او صديق . وتوفاه الله وهو في شرخ الشباب

ومن نظمه قوله من قصيدة :

انا على ما انا من الخلق | باقٍ على مذهبي وفي طرقي
ما لي عدوٌّ سوى الكذوب فلم | يزل عدوًّا لصاحب الصدق
لا اكذب الله ان لي شيماً | تحمي فمي من شوائب الملقِ
فلا كبيرٌ سطا عليّ ولا | يدٌ لها منة على عنقي
ولا تسابقتُ في المفاخر بل | سرت الهوينا وفزت بالسبق
ولا اشتريت الثناء من احد | بالمال بل بالجهاد والارق

اسقي غروسي فان اجد ثمراً أقطف والا رضيت بالورق

وقال في وصف الجمال :

يا ربة الحسن جمالك لا يدوم الا كدوام الخيال
فحسن وجه ذاهب كالهبا وحسن طبع راسخ كالجبال
فجملي الطبع وحلي النهى لتقتني الحسن العديم الزوال
هذا هو الحسن البسيط وما للجوهر البسيط قط انحلال

ومن هذا القبيل قوله :

طرقت خباها بغتة يوم تبكير فصبحني وجه كرقعة تصوير
هناك على المرآة كانت مكبة تموه خديها بصبغة حنجور
فايقنت اني في الهوى كنت والماً بمسحوق تبييض ومحلول تحمير

السيد عبد الغفار الاخرس

ولد سنة ١٢٢٠ هـ وتوفي سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٤٧ م)

هو من نوابغ شعراء العصر وان كنا لا نكاد نسمع بذكر اسمه في هذه البلاد فهو بعيد الصيت طائر الشهرة في بلاد العراق وما جاورها من بلاد العرب والعجم يتناشد أشعاره الادباء ويتنافسون بها في مجالسهم . وهو السيد عبد الغفار الملقب بالاخرس للكنة كانت بلسانه ابن السيد عبد الواحد بن السيد وهب . وُلد في الموصل نحو سنة ١٢٢٠ هجرية ونزح منها الى بغداد وقضى حياته في العراق منتقلاً من بلدة الى اخرى واكثر اقامته انما كانت في بغداد والبصرة . وقد نمي منذ صباه خبر ذكائه وتوقد ذهنه الى داود باشا والي بغداد فارسله الى بلاد الهند في طلب اصلاح لسانه وحل لكنته فقال له أحد الاطباء انا نعالج لسانك بدواء فاما ان ينطلق وأما أن تموت. فقال لا أبيع بعضي بكلي وقفل راجعاً الى بغداد . وسنة ١٢٩٠ اتى البصرة قصد الذهاب الى الحج فاقعده مرض ألمّ به فعاد الى بغداد فلم ينجع فيه دواء فرجع الى البصرة وتوفي بها يوم عرفة من ذلك العام فشيع جنازته افاضل البصرة ودفنوه في مقبرة الامام الحسن البصري خارج قصبة الزبر

وكان رحمه الله قليل الاعتناء بحفظ شعره واثباته على كثرته فبقي منثوراً في ايدي حفظته الى ان عني بجمعه شاعر عراقي آخر وهو احمد عزت باشا الفاروقي ابن اخي الشاعر عبد الباقي العمري فحصل منه على عشرة آلاف بيت طبعها في الاستانة العلية سنة ١٣٠٤ بديوان سماه « الطراز الانفس في شعر الاخرس »

ومما يدل على اعجابه واعجاب شعراء العراق به قوله من جملة ما قال في مقدمة الديوان المذكور « ورد من مسقط رأسه الموصل الحضراء الى مدينة الزوراء . وجعلها له موطناً . وعريناً ومسكناً . وكانت أكابرها تحترمه وتشتاق لطلعته وأماجد العراق ترتاح الى مفاكهته . ورؤيته ورويته . ومدح منها الاكابر الكرام . والفضلاء والاعلام بشعر يقف مهيار عند ابوابه ويعجز ابو تمام عن الوصول الى فسيح رحابه . ويتمنى الرضي لو ارتشف الحميا من أكوابه . وابن الازري لو ازر برقيق ثيابه . من آدابه . حيث ان منواله العريض الطويل . لم يتيسر لاحد ان يأتي له بنظير او مثيل . وقد مازج برقته الارواح . ممازجة الماء القراح . باقداح الراح » . انتهى

ويؤخذ من مطالعة ديوانه انه كان بعيد التصور متوقد الذهن يتصرف بالمعاني

تصرفاً حسناً . على انه سلك مسلك اكثر شعراء المتأخرين من اتخاذ صناعة الشعر ذريعة للمعاش والترنم به في مجالس اللهو والطرب ولذلك ترى تبايناً عظيماً بين متانة قصائده والتفنن باساليبها . فاذا مدح شاعراً او عالماً اكثر فيها من الاعتناء فجاءت بخلاف مدحه لاكابر القوم الذين لم يتخذ الشعر الا وسيلة للتزلف اليهم فكانما هو باذل لكل من بضاعته

ومن رقيق شعره قوله في الغزل :

لا تلم مغرماً رآك فهاما ... كل صبٍّ تركته مستهاما
لو رآك العذول يوماً بعيني ... ترك العذل في الهوى والملاما
يا غلاماً نهاية الحسن فيه ... ما رأت مثله العيون غلاما
اتراني ابل فيك غليلاً ... ام تراني أنال منك مراما
كلما قلت انت برءٌ لقلبي ... بعثت لي منك العيون سقاما
وبوحي من سحر عينيك يوحي ... لفؤادي صبابة وغراما
عمرك الله هذه كبدي الحرّ ... ى تشكت الى لماك الاواما
فاسقني من رحيق ريقك صرفاً ... لا يريني كأس المدام مداما
حام خالٌ على زلال برود ... هو في فيك فاصطلاها ضراما
أطمعته في فيك اطماعنا فيـ ... ـك فما نال بردها والسلاما
فالامان الامان من سحر عينيـ ... ـك فقد جردت علينا حساما
لست أدري وقد تثنيت تيهاً ... اقضيباً هززته ام قواما

وقوله في المدح من قصيدة انفذها للعلامة الالوسي :

لقد اوتيت غاية كل فضل ... بخوضك في العلوم وفي اشتغالك
اذا افتخرت بنو آلٍ بآلٍ ... ففخر الدين انت وفخر آلك
وفي مرآك للابصار وحيٌ ... ينبئنا فديتك عن جلالك
فيا فرع النبوة طبت اصلاً ... ثمار الفضل تجنى من كمالك
ظفرنا من نداك بما نرجي ... على ان ما ظفرنا في مثالك
وكم لله من سيف صقيل ... بجوهرة الدراية في صقالك
وما انا قائل بنداك وبلٌ ... لان الوبل نوع من بلالك
اذا الايام يوماً اظمأتنا ... وردنا من يمينك او شمالك
وان جاوزت بالبرهان قوماً ... تحامى من يرومك في نزالك
وكل منهم وله مجالٌ ... فما جالت جميعاً في مجالك

وانك اكثر العلماء علماً ... ولست اقلهم الا بمالك
نعم هم في معاليهم رجال ... ولكن لم يكونوا من رجالك
وما في الناس من تلقاه الا ... ويسأل من علومك أو نوالك
فتولي من جميلك كل شخص ... كأن الخلق صارت من عيالك

وقوله في العتاب :

بقيت بقاء الدهر هل أنت عالم ... من العتب ما يملي عليك وما أملي
لقد كنت تجزيني بما انت أهله ... على الشعر قبل اليوم بالنائل الجزل
فارجعُ عن نعماك في الف درهم ... ازيل بها فقري واغني بها أهلي
فنقصتني شيئاً فشيئاً جوائزي ... واوقفت حظي منك في موقف الذل
ولي فيك ملء الخافقين مدائح ... ولي غررٌ ما قالها أحد قبلي
فمن أي وجه انت انزلت رتبتي ... وأصبحت بعد الوبل اقنع بالطل
فان كان من بخل فلم يرَ قبلها ... فتى من رسول الله يوصف بالبخل
وان كان من قلٍّ هناك وجدته ... فما تعذر القوم الكرام من القل
وان كان من طعن العداة وقدحهم ... فما قولهم قولي ولا فعلهم فعلي
اكان لمولانا بذلك حكمة ... فقصر عن ادراك حكمته عقلي
فليس من الانصاف مثلي تضيعه ... وتجهله ظلماً وحاشاك من جهل
وبحرك تيار ومالك وافر ... وجودك معلوم وانت ابو الفضل
وتبلغ منك الناس أقصى مرامها ... ويحرم من دون الورى شاعر مثلي

وقوله في الحماسة :

واقتحمها اذ نبت بك يوماً ... فارى المجد بابه الاقتحامُ
ادفع الشرّ ان علمت بشر ... ربما يدفع السقام السقام
فتى تكبر العزائم بأساً ... صغرت عندها الامور العظام
وتقلد بالرأي قبل المواضي ... ليس يجدي بغير رأي صدام
رب رأي بالخطب يفعل ما لا ... يفعل السمهريُّ والصمصام
واحذر الغدر من طباع لئيم ... عنده الغدر بالصديق ذمام
وادخر للوغى مقالة حرب ... لا تقوي الاجسام الا العظام

ومن رقيق شعره قوله من موشح طويل :

بحياة الطاس والكاس عليك ... نزّه المجلس من كل ثقيل
وتحكم انما الامر اليك ... ولك الحكم ومن هذا القبيل

كيف لا والـكاس تسقى من يديك ما على الحسن فيها من سبيل
ولك الله حفيظاً ولنـا حيثما كنت وما شئت افعل
واجر حكم الحب فينا وبنـا أنت مرضيٌّ وان لم تعدل

دور

حبذا مجلسنـا من مجلس جامع كل غريب وعجيب
نغم العود وشعر الاخرس ومحب مستهـام وحبيب
يتعاطون حيـاة الانفس في بديع اللفظ والمعنى الغريب
بابلي السحر معسول الجنى ان هـذا واشتيار العسل
واذا مرَّ نسيم بيننـا قلت هـذا وبحكم من غزلي

*

الحاج عمر الانسي

ولد سنة ١٢٣٧ ﻫ وتوفي سنة ١٢٩٣ ﻫ

هو ابن السيد محمد ديب بن اعرابي بن ابراهيم بن حسين الشهير لقبهم بالصقعان . وُلد في بيروت سنة ١٢٣٧ ﻫ وتعلم القرآن وأحكام التجويد على الحافظ الشيخ حسين الجيزي المصري . وتوجه سنة ١٢٥٩ مع الركب الشامي وقضى فريضة الحاج وهو في الثانية والعشرين من عمره . ولما عاد اكب على تلقي العلم عن اثنين هما أشهر علماء بيروت في القرن الماضي احدهما الشيخ محمد الحوت والآخر الشيخ عبد الله خالد . وكان مطبوعاً على الشعر فكان اكثر اشتغاله به على انه تقلب في مناصب عديدة منها انه تقلد نظارة النفوس في جبل لبنان سنة ١٢٦٤ بأمر الامير امين ارسلان قائمقام جبل لبنان اذ ذاك. فاقام في الشويفات نحو اربع سنوات نظم عدة قصائد في مدحه وتعين سنة ١٢٧٤ عضواً في مجلس ادارة بيروت . ثم تنقل في مناصب أخرى فتقلد مديرية قضاء حيفا ثم قضاء صيدا ثم عاد الى بلده واشتغل بالتدريس والمطالعة . وفي سنة ١٢٩١ وجهت اليه نيابة صور بانهاء من المرحوم أسعد باشا والي ايالة صيدا الملغاة . وعاد سنة ١٢٩٢ مريضاً الى بيروت ولم يحمل المرض الا بضعة اشهر فتوفاه الله في رجب سنة ١٢٩٣ وكان عذب المنطق سريع الحفظ محبوباً . وله منظومات بديعة عني نجله الدكتور عبد الرحمن افندي انسي نزيل بيروت بجمع شتاتها من بين أوراقه وطبعها في ديوان سماه المورد العذب تزيد أبياته على ٦٥٠٠ بيت نقتطف منه أمثلة نستدل بها على شاعرية صاحبه — قال من مطالع قصيدة في مدح النبي :

قلوب الورى في مطمح الفكر قلب وبرق المنى في غيهب الوهم خلبُ

أمانيك الاحلام والحلم يقظة وآمالك الاوهام والنفس اكذب

و يا ربَّ نفس بالاماني عللت وصاحبها من قابض الماء اخيب

فلا تعدن النفس بالخير طامعاً اذا لم يكن للنفس في الخير مذهب

فكن صانع المعروف ما عشت انه سبيل نجاح في الذي أنت تطلب

وذو الود ان يذكر يداً لك عنده فان التناسي منك ثمة السب
فان قلوب الناس كالماء راكداً اذا ما تولاه الهوى يتقلب
ويعجب من حال الزمان بنوه في تقلبه جهلاً وهم منه أعجب
واياك والدعوى فيا رب مدع لهصدق كشف الامتحان يكذب
اذا أنت لم تعمل بما أنت قائل فانت أسير الجهل أو انت تكذب

وقال من قصيدة يمدح بها اخاه الحاج محمد بك ويهنئه بتقلده رئاسة حجاب السلطان وفيها أبيات فخرية :

أأنت ام انا أم ما نلت من رتب اولى بنيل التهاني يا ابن خير اب
انا المهنا بما أوليت من منح بنيل اضعاف ما قد نلت من أرب
ان كان فخر بني العلياء في نسب فنحن مفخر ذاك الفخر والنسب
من المفاخر ابناء الرسول وقد جاءت محامدهم في منزل الكتب
كنا وكانت يد الاقدار تمنحنا حظا بمجدين موروث ومكتسب
ياذا الذي ظنَّ بي مافيه من عوج اني اناالشمس فانظر ظل نفسك بي
انا الذي ساد اصلاه ومفتخري ان اليراعة أمي والحسام أبي

وقال يصف الشيشة عن لسان حالها :

انا التي اختارني قومي سمير على ان الاديب فصيح النطق مختار
اذا الهوى بفؤادي مرّ اكتمه وللهوى بفؤاد الحر أسرار
قالوا تحملت نيراناً فقلت لهم النار في حب من أهوى ولا العار
شهرت حتى غدت تعشو السراة الى ناري ولي بمزيد الفضل آثار
فها انا مثل صخر حيث قيل به كأنه علم في رأسه نار

وقال يهجو خادماً في قهوة اسمه هلال :

تعس الهلال القهوجيُّ لانه قد قطع الانفاس في انفاسه
هذا الهلال هو الهلاك وانما غلطوا فلم يضعوا العصا في رأسه

وله قصيدة مدح بها الامير امين ارسلان المشار اليه تفنن بها فجعلها من ابحر متعددة وقواف مختلفة اليك امثلة منها :

يا للهوى	من اصب لم يذل أربا	املا	وطرا
عاني المها	مستهل الدمع ساكبه	هاطله	هامره
بادي الضنا	ذو غرام سامه شجنا		
يهوى الظبا	وهوى الارام غالبه	قاتله	قاهره
وبح العدا	والاواحي . حملته عنا		
جمر الاسى	لم يزل دوماً يصاحبه	يواصله	يساهره
ماذا حوى	وبح قلبي ظل مرتهنا		
يرجو اللقا	والظبا تيهاً تعاقبه	تماطله	تغادره
كم من رشا	وغزال هز قدّاً قنا		
اذا رنا	فتن الالباب حاجبه	ناحله	ناظره

عطفاً على	مستهام رق وانتحبا	انحلا	انحسرا
واهي القوى	ما شكا بؤساً ولا وصبا	ثقلا	ضررا
وافي العنا	مشفقاً من برحه وهبا	وجلا	حذرا
طول المدى	وهو لا يصغي لمن عتبا	عذلا	فشرا
ازكى لظى	لاعج من وجده التهبا	اشتعلا	استعرا
وسط الحشا	مصعداً انفاسه لهبا	شعلا	شررا
مضنى الجوا	تقاوي والهوى غلبا	قتلا	قهرا
بعد النوى	وعيائي داؤه صعبا	عضلا	عسرا
تحت الحلى	ذو جمال زين انتقبا	الحللا	الحبرا
يسبي الحجا	وبابي طالما لعبا	هزلا	سخرا

والقصيدة كلها على هذا النمط فان كل سطر مؤلف من شطرين والشطر مقطوع الى اربعة أجزاء اذا تركبت الاجزاء الاولى تألف منها قصيدة مستقلة او الاجزاء الثانية تألف منها قصيدة اخرى . ومن مجموع الجزئين في الشطرين تتركب قصيدة اخرى . ويتركب من اسطر كل حقل قصيدة على حدة . وأما الجزآن الثالث والرابع من كل شطر فهي الفاظ يصح ابدال القوافي بها . فالسطران الاولان يستخرج منهم هذه الاشكال :

(١) يا للهوى من لصب لم ينل أربا (او أملا أو وطرا)
عطفاً على مستهام رق وانتحبا (او انتحلا او انحسرا)
عاني المها مستهل الدمع ساكبه (او هاطله او هامره)
واهي القوى ما شكا بؤساً ولا وصبا (أو ثقلا أو ضررا)

(٢) يا للهوى . عطفاً على . عاني المها . واهي القوى

(٣) يا للهوى . من اصب لم ينل أربا
عاني المها مستهل الدمع ساكبه (أو هاطله او هامره)
بادي الضنا ذو غرام سامه شجنا
يهوى الظبا وهوى الآرام غالبه (او قاتله او قاهره)

(٤) عطفاً على مستهام رق وانتحبا واهي القوى ما شكا بؤساً ولا وصبا
وافي المنا مشفقاً من برحه وهبا طول المدى وهو لا يصغي لمن عتبا

(٥) من لصب لم ينل أربا مستهل الدمع ساكبه
ذو غرام سامه شجنا وهوى الآرام غالبه

(٦) مستهام رق وانتحبا ما شكا بؤساً ولا صبا
مشفقاً من برحه وهبا وهو لا يصغي لمن عتبا

(٧) من لصب لم ينصل اربا مستهام رق وانتحبا .
مستهل الدمع ساكبه ما شكا بؤساً ولا وصبا

هذه سبعة أشكال واذا اعتبرنا ابدال القوافي تكرر ذلك ثلاث مرات الا الشكل الثاني فيكون مجموع الاشكال ١٩ شكلا وربما أمكن استخراج اشكال أخرى

وقال من مطالع قصيدة يمدح بها الشيخ محمد الخضري الدمياطي :

خذ في هوى الغيد عني أحسن الخبر وقل رويناه بالاسناد عن عمر
وانقل احاديث أشجاني مسلسلة عن صبوتي عن مجاري الدمع عن سهري
واهجر مواضيع عذالي فقد وضعت في العذل مفتريات حكمهن فري
وانسخ صحاح رواياتي فقد نسخت أحكام شرع الهوى في سالف العصر
وانقل عن الاغيد البسام لي اثراً اذا نقلت عن العباس من أثر
يا ساحر الطرف كم بالسحر تمرضني انا السها بالخفا يا كوكب السحر
نحول خصرك يا مولاي انحلني وطالما قد أطلت الهجر فاختصر

عما بعطفك من لين ومن هيف ... وما بعينيك من غنج ومن حوز
وما بصبك من سكر ومن وله ... وما بثغرك من خمر ومن سكر
الا رحمت عليلاً لا علاج له ... يا جارح القلب الا مرهم النظر
اشتاق رشف اللمى واللحظ يمنعني ... فيظمأ القلب بين الورد والصدر

وقال يصف شاطىء البحر :

ياحسن منظر شاطىء البحر الذي ... يجلو الخواطر منه احسن منظر
هاجت به هوج الرياح فارسلت ... أمواجه كطلائع الاسكندر
تطفو على تلك الصخور وتنثني ... منهارة كالمدمع المتحدر
كسلاسل من فضة بفتائل ... نيطت بهن من الحرير الاخضر

وقال من قصيدة في مدح الامير امين ارسلان يتغزل باسمه :

كيف يقسو وعطفه حرف لين ... لم لا تعتريه نحوى أماله
واذا قيل تلك همزة وصل ... قلت من لي بان انال وصاله
وعلى الصدغ واو عطف فهلا ... عطفت من عليّ ابدى دلاله
وعساها ان تجمع الشمل قرباً ... فهي للجمع يا منى القلب آله

الشيخ خليل اليازجي

ولد سنة ١٨٥٦ وتوفي سنة ١٨٨٩

(ترجمته) هو أصغر اولاد المرحوم الطيب الاثر الشيخ ناصيف اليازجي وُلد في بيروت في بيت الشعر واللغة والانشاء فرضع آداب اللغة العربية مع اللبن وقد قال الشعر وهو صبي ولم يدخل المدرسة . على انه لم يدخل المدارس الا بعد ان أخذ طرفاً من الادب . وقد درس الطبيعيات والرياضيات في مدرسة الاميركان في بيروت وبرع فيها ونظمها في الشعر . وقدم سنة ١٨٨١ مصر وتعرف فيها بجماعة من أهل العلم فنال حظوة لدى الامراء والوزراء وانشأ مجلة « مرآة الشرق » لم يصدر منهـا الا بضعة اجزاء ثم ظهرت الثورة العرابية فعاد الى مسقط رأسه فانتدبته المدرسة الكلية الاميركية والمدرسة البطريركية لتعليم اللغة العربية للصفوف العالية فيها

وفي سنة ١٨٨٦ اصابته علة في الصدر عجز عن مداواتها الاطباء ولما فرغت حيل العقاقير وصفوا له تبديل الهواء في وادي النيل فعاد الى مصر وطبع فيها ديوانه المسمى « نسمات الاوراق » وفيه نخبة منظوماته وهي على ما طبع عليه رحمه الله من القريحة الشعرية

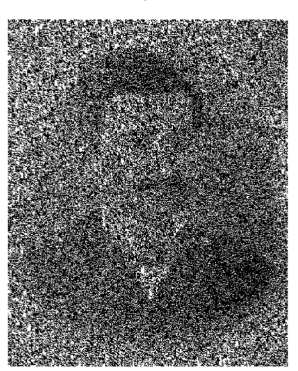
واشتد عليه الداء في أثناء ذلك فاشير عليه بالعودة الى لبنان فعاد واقام في عبيه اشهراً ثم نزل الى الحدث وما زال فيها حتى توفاه الله في ٢٣ يناير سنة ١٨٨٩ ونقلت جثته الى بيروت ودفنت فيها بمحفل حافل . وكان رحمه الله شاعراً مطبوعاً سريع الخاطر حاد الذهن متوقد القريحة كثير الرواية متفنناً في أساليب الانشاء قريب البرهان مع لطف المحاضرة وسمو الآداب

(مؤلفاته) اكثر مآثره المنشورة شعرية أشهرها رواية « المروءة والوفاء » وهي رواية تاريخية تمثيلية شعرية غنائية دل فيها على مقدرته في النظم وسعة معرفتـه بالانغام . اساسها حكاية حنظلة الطائي مع الملك النعمان في عصر الجاهلية فمثل فيها فضائل المروءة والوفاء تمثيلاً واضحاً . وصدرها بقصيدة طويلة بين فيها الاحوال التي يجب اتباعها في هـذا النوع من الروايات . وقد أتم نظمها سنة ١٨٧٦ فبلغت ابياتها نحو الف بيت جمعت بين المتانة والسهولة وقد مثلت هذه الرواية في بيروت سنة ١٨٧٨ وشهدنا ما كان من اعجاب البيروتيين بها وتصفيقهم المتواصل في أثناء تمثيلها . وقد طبعت في بيروت سنة ١٨٨٤ وفي مصر سنة ١٩٠٢

وعني رحمه الله ايضاً في تنقيح كتاب كليلة ودمنة المشهور وفسر الغريب من الفاظه وضبطه بالشكل الكامل ووقف على طبعه فجاء أضبط نسخ هذا الكتاب المعروفة

ومما طبع من ثمار قريحته ديوان « نسمات الاوراق » المتقدم ذكره وفيه اكثر ما نظمه من تهان ومراث وتواريخ ومدائح وحكم وآداب في ما يزيد على ٢٦٠٠ بيت سنأتي على أمثلة منها

ومن مؤلفاته التي لم تطبع « كتاب الوسائل الى انشاء الرسائل » وهو مجموع ما القاه على تلامذته في المدرسة البطريركية من الرسائل وأصول الانشاء وهو يعلم



(ش ٤٦) : الشيخ خليل اليازجي

فيها هذا الفن على اسلوب يتدرج فيه الطالب من الكتابة البسيطة الى أعلى طبقة من الانشاء . والكتاب لا يزال خطاً في المدرسة المذكورة

ومنها « الصحيح بين العامي والفصيح » وهو معجم لم يسبقه أحد الى مثله جمع فيه مرادفات الالفاظ العامية من اللغة الفصحى . وقد رأيناه رحمه الله وهو يعنى في جمع تلك الالفاظ يوم جاء مصر المرة الثانية وتوسمنا في ذلك التأليف فائدة كبيرة لشدة حاجة الكتاب بنوع خاص اليه . وكان قد مثل بعضه للطبع فاشتدت عليه وطأة الداء فانقطع عن العمل فتوقعنا أن لا يحرمنا شقيقه الشيخ ابراهيم صاحب الضياء من اتمامه لكنه لم يفعل ولا نعلم مصير ذلك الكتاب

أما شعره فاحسن ما يقال في وصفه أن نأتي بأمثلة منه — قال من قصيدة قدمها روايته المشار اليها الى شقيقه المشار اليه :

لما وجدتك مثل بحر زاخر القيت بين يديك بعض جواهري
هاتيك جوهرة لديَّ وان تكن صدفاً لدى درٍّ بلجك فاخر
نزر المقل أجلُّ في عينيه من وفرٍ لدى عين الغني القادر
تخذت ليالي الطوال محاراً وسوادها اتخذته حبر محابر
ووهبتها انسان عيني فاغتدت دعجاء اذ كحلت باثمد ناظري
عذراء لكن لا أقول فريدة للعقد ان العقد ليس بحاضري
لم ينسج الشعرا على منوالها اذ ليس معناها بقلب الشاعر
حاشاك والاطلاق أضيق حيزاً من ان يحيط بك احتياط الدائر
شعرية لا نثر فيها وهي من بعض الوجوه ترى كنثر الناثر

وقال من قصيدة بعث بها الى صديقه المرحوم اديب اسحق بالقاهرة :

تلك العيون منوتنا فكأنما قد كلفتها قتلنا الايامُ
ولربما نام الزمان هنيهة عنا وتلك تصيب وهي نيام
واذا رأت في النوم طيف خياله فتكت به ولو انها أحلام
طمعت بخضرتها العيون وما درت ان السموم تكنها الادسام
ولرب حلو في المرارة مودع كالحبر فيه ثنا الاديب يقام
متنبه الافكار يقظان الحجى حتى لاعجب منه كيف ينام
فاذا تروّاً كاتباً لجميعه فكر فتوشك تفصح الاقلام

وقال يمدح المرحوم شريف باشا وزير مصر من قصيدة :

قد قام في دست الوزارة فاكتسى شرف العلى وبه تشدد أزره
ولكل ما يولي الشريف مشرف كالنهر يكسبه التدفق بحره
وغدا زمام الدهر طوع بنانه اذ بات مكشوفاً لديه سره
وهو الذي ضبط البلاد بكفه لما حوى ما عنه ضاقت صدره
يرنو بفكرته فيوشك ما يرى بالعين منه ان يراه فكره

وقال من قصيدة في رثاء المرحوم المعلم بطرس البستاني :

اجرى اليراع عليك دمع مداده فكسا به القرطاس ثوب حداده
وبه نخط لك الرثاء من الاسى فهو المقيم على عهود وداده
فكم بميدان الطروس هززته حتى جعلت الرمح من حساده

ان كان يبكيك اليراع بدمعه فلقد بكاك حزيناً بفؤاده
يا صاحب الفضل الذي لو اننا نبكي به لم نخش وشك نفاده
يا قطر دائرة المعارف والحجى ومحيط فضلٍ فاض في امداده
فاذا المحيط بكاك لم يك دمعه دون المحيط يزيد من ازباده
يبكي الحساب عليك متخذاً له دمعاً يسيل عليك في اعداده
خدم البلاد وليس أشرف عنده من أن يسمى خادماً لبلاده
ومحبة الاوطان كان يعدها مما يدور عليه أمر معاده

وقال من قصيدة يرثي بها المرحوم أديب اسحق :

أخلق بجسمك ان يبيت كليلا عن جهد نفسك او يموت عليلا
نهكته نفسك في المطالب والعلى حتى تمنى للفراق سبيلا
يا راحلاً ابكي عليه محابراً ومنـــابراً ومحاجراً وطلولا
ترثيك اقلامٌ يكون صريرها نوحاً عليك من الاسى وعويلا
وهي التي قد كن بين بنانها قضباً وكان صريرهن صليلا
ولعل مثلك ليس يوجد عندنا حتى نرى لك منك عنك بديلا
يروى مآثر عنك يقصر دونها صوغ القوافي في ثناك طويلا
ويعدُّ ما أحصيته في مدة قصرت فغات العرض منها الطولا
ان كان قلَّ مدى حياتك عندنا فقليل مثلك لا يعد قليلا
فلقد ملأت به السماع جرائداً وقصائداً ورسائلا وفصولا
ما بين شرقٍ في البلاد ومغرب لم تأل فيـه تغرباً ورحيلا
مستصحباً لك همة نفاذةً وعزيمة مثل الحسام صقيلا
وقريحة وقادة وبصيرة نقادة تستوضح المجهولا

وقال من قصيدة رثا بها المرحوم سليم البستاني وقد توفي فجأة :

هو الموت الا ان خطبك أعظم ورزؤك في الارزاء أشجى واجسمُ
ومن فلتات الدهر أمرك انه لاشفق في امثال هـذا وارحمُ
لك الله ميتاً كالقتيل ولم يسل له من دم لكن مدامعنا الدمُ
وان نحن طالبنا المنايا بثأره رمتنا وقالت من يطالب عنكمُ
وان نحن عاتبنا الزمان بفعله قرعنا سماعاً ما له من يترجمُ
قعدنا وقد خبنا من الدهر مأملاً تنوح على ما كان منه ونلطمُ
كذا الدهر الا ان من زاد همه وقصر عن تفريجه يتظلمُ

فقدنا بني الاوطان عضواً مكرماً كجسم مضت منه يدٌ فهو أجذمُ
ألا اننا في فقده اليوم اسرةٌ وأوطاننا في نوحه اليوم مأتم
على مثله يبكى وهيهات مثله فتىً طاب منه القلب واليد والفمُ

قال يمدح المرحوم الدكتور فنديك إثر مرض شفي منه على يده :

لو استطعت جعلت البرق لي قلما والجوَّ طرساً وحبري الغيث حين همى
ورحت املأ آفاق السماء ثناً عليك منتثراً طوراً ومنتظما
يا كنز فضل وعلم لا نفاد له مع انه لزم الانفاق والكرما
ان النفيس عزيز قد ينال وقد بذلته بيننا غنماً لمن غنما
كالشمس تعطي سناها كل ذي بصر وربما كان لا يدري له قيما
نبغي مبالغة في الشعر فيك فلا نسطيع ذاك ولا نقضي الذي لزما
والشعر لا بد فيه من مبالغة الا بوصفك فهو الغالب الكلما
انت الطبيب لاجساد العباد وللـ عقول والانفس اللاتي اشتكت سقما
والفيلسوف الذي أحصى العلوم وقد أسالها منهلا للمشتكين ظما
تدعى الحكيم وان نعت الطبيب وان لا نعته فصحيح فيك كلها
يا مغفلا نفسه في جنب منفعة للآخرين جزيت الخير والنعما
كأنما الناس طرًّا عيلة لك من شكا فانك معه تشتكي ألما

وكتب من القاهرة وهو مريض الى بعض أعزائه في بيروت :

قل صبر الفؤاد والشوق غالبْ والضنى وحده لذا الشوق غالبْ
غالب السقم مني الشوق حتى بات قلبي ميدان كل محاربْ
غلب السقم بانحيازي اليه وانثنى الشوق انما غير هاربْ
لم أقل هارباً ومن لي بهذا فهو طي الفؤاد ضربة لازبْ
غير اني قسمت قلبي فكان الـ سقم في جانب وشوقي بجانب
كلما حن مني القلب قال الـ عقل مهلا فانت لست بصاحبْ
وعسى الله ان يصير بي بل بكثيرين ذلك الظن خائب
واذا لم يكن فقد قام عذري اني قد عملت ما هو واجبْ
ويكون هذا العباد ابتداء العباد هذا له لا يقاربْ
غير اني أرى لليلي خبراً وربما كان صادقاً غير كاذبْ
ليس من طائق لهـذا ولا ذا فبكل من الخواطىء صائب
كيف يشقى من كلَّ حين يرى المو ت وغربانه عليه نواعب

خاف من موته فمات من الخو ف كثير فتق وطاوع وناصب

وقال مؤرخاً ميلاد غلام اسمه فضل الله سنة ١٨٧٥

أتى لبني الطوا غلام بوفده نشرنا برود الانس في كل محضر
فوافى الهنا يدعو أباه مؤرخاً لقد حل فضل الله عندك فابشر

وكتب على احدى صوره :

لما تملكتم على قلبي ولم اطمع له من عندكم بمعاد
اهديتكم رسمي لكيما تجمعوا ما بين جسمي عندكم وفؤادي

وكتب

لك مني أثر العين التي لك فيها أثرٌ في كل أين
فتقبله ولو كنت امرءاً ليس يرضى أثراً من بعد عين

وكتب

رسم اليـــك بعثته وانا اهوى لو ان مكانه الجسمُ
ان كان ذلك ليس يمكنني يا حبذا لو انني رسمُ

وكتب

بعثت لكم موهوم شخصي ممثلا وشخصكم في مقلتي ظل بالوهم
لعلي من الوهمين أجني حقيقة فرسماً ترى ذاتي وذاتاً يرى رسمي

وقال في ضارب عود :

وضارب عود قد أزاغ عيوننا بيرقين من تلك البنان وذي الكف
تنازعه آذاننا وعيوننا فهذي الى كحل وتلك الى شنف

عبد الله باشا فكري

ولد سنة ١٢٥٠ وتوفي سنة ١٣٠٧ هـ

هو عبد الله باشا فكري بن محمد افندي بليغ بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد وكان الشيخ عبد الله من العلماء المدرسين في جامع الازهر وكان مالكي المذهب أخذ العلم عن الشيخ عبد العليم الفيومي وغيره . وما زال الشيخ عبد الله مقيما في مصر حتى قدمت الجنود الفرنساوية في أواخر القرن الثامن عشر واساءوا معاملة العلماء فرحل الى منية خصيب (المنيا) فاقام بها مدة ثم عاد الى القاهرة وعكف على الاشتغال في العلم حتى توفي فنشأ ابنه محمد افندي بليغ على مثال ابيه جداً في طلب العلم . وكانت مصر قد ازدهت بالعائلة المحمدية العلوية وانشئت مدارس العلوم الرياضية والمدرسة الحربية فدخلها وخاض عباب علومها حتى تمكن منها فانتظم في خدمة الجيش فترقى الى رتبة صاغقول اغاسي وحضر عدة مواقع حربية اهمها حرب المورة فعقد في المورة على والدة المترجم وعاد بها الى الحجاز فوضعت بمكة المشرفة غلاماً سماه باسم ابيه عبد الله وهو عبد الله باشا فكري صاحب الترجمة

ومن غريب الاتفاق ان سنة ولادته وافقت مجموع جمل الآية « قال اني عبد الله آتاني الكتاب » وذلك سنة ١٢٥٠ هـ وقد وافق ذلك نبوغه بالعلم والفضل واشتهاره بسائر فنون الكتابة نثراً ونظما وقد اعجب هو ايضاً بهذا الاتفاق فلما شبَّ وتعلم نقش هذه الآية على خاتم له كان يختم به كتبه . ثم عاد محمد افندي بليغ بولده الى القاهرة وما زال في خدمة الحكومة حتى نال منصب باشمهندس الشرقية ثم مفتش هندسة الجيزة والبحيرة وتوفي سنة ١٢٦١

أما صاحب الترجمة فكان عند وفاة والده لم يتجاوز الحادية عشرة فنشأ في حجر بعض أقارب أبيه وكان قد بدأ بتعلم القرآن فاتمه وجوَّده ثم اشتغل في طلب العلم في الجامع الازهر وتلقى العلوم المتداولة فيه كاللغة والفقه والحديث والتفسير والعقائد والمنطق على الشيخ ابراهيم السقا والشيخ محمد عليش والشيخ حسن البلتاني وغيرهم وكان مع ذلك يشتغل في تعلم اللغة التركية حتى اتقنها وتعين في القلم التركي في الديوان الكتخدائي (١٢٦٧ هـ) وهو لا يزال مكباً على طلب العلم في الازهر يغتنم ساعات الفراغ قبل ذهابه الى الديوان وبعد رجوعه منه ثم انتقل من الديوان المذكور الى ديوان المحافظة ثم الى الداخلية بصفة مترجم ثم ألحق بالمعية السنية على عهد المغفور له سعيد باشا وبقي

فيها الى ولاية الخديوي الاسبق اسماعيل باشا سنة ١٢٧٩ فابقاه في معيته فسافر معه الى الاستانة عند ما أمها لاتمام الرسوم في تقليد الولاية واداء الشكر للحضرة السلطانية وما زال في خدمته يرافقه في أكثر رحلاته فسافر الى الاستانة مراراً بمهمة الكتابة تارة مع الخديوي الاسبق وطوراً مع الحرم الخديوي وبمهمات أخرى فنال الرتبة الثانية مع لقب بك سنة ١٢٨٢ هـ

وفي سنة ١٢٨٤ قلده الخديوي الاسبق ملاحظة الدروس الشرقية وهي العربية والتركية والفارسية بمعية أنجاله وهم المغفور لهم محمد توفيق باشا الخديوي السابق والبرنس حسن باشا والبرنس حسين باشا عم الجناب الخديوي وغيرهم من امراء العائلة الخديوية



(ش ٤٧) : عبد الله باشا فكري

فقام يباشر أمرهم في التعليم والتعلم والتدرج في الفضل والتقدم فكان أحياناً يباشر التعليم بنفسه واحياناً يقوم بمراقبة غيره من المعلمين وملاحظة القاء الدروس وتقويم طريقة التعليم . فلم يزل على ذلك الى ان ترقى الخديوي السابق الى رتبة الوزارة والمشيرية وتوجه الى دار الخلافة العظمى لاداء رسوم الشكر على ذلك لجلالة السلطان الاعظم فصحبه المترجم الى دار السعادة وبقي معه الى ان عاد

وفي سنة ١٢٨٦ نقل الى ديوان المالية فاقام اياماً بغير عمل ثم عهد اليه النظر في أمر الكتب التي كانت في ديوان المحافظة على ذمة الحكومة وابداء رأيه فيها فلبث

مدة يتردد الى ذلك الديوان وينظر في الكتب . ثم رفع تقريراً مفصلا ضمنه بيانها وما رآه في حالها وذكر فيه ان بقاءها على حالتها لا يحسن ولا يحفظها ولا يمكن من الانتفاع بها وقال بلزوم جملها على هيئة ينتفع بها الناس اما بانشاء محل خاص تنقل اليه ويجعل فيه ما فيه من الكفاءة لها من الخزائن وتوضع به على الوضع الموافق واما باحالتها على المدارس لتودع في المكتبة الجاري انشاؤها بمساعي المرحوم علي باشا مبارك ناظرها اذ ذاك على سعة لا تضيق بهذه الكتب وأمثالها واوضح ان الوجه الثاني أولى وقد حصل ذلك على ما قرره فاستنقذت تلك الكتب النفيسة من زوايا الخمول والاهمال ورتبت ترتيباً حسناً في المكتبة المذكورة وهي الآن الكتبخانة الملكية الشهيرة

وكان المجلس الخصوصي اذ ذاك (وقد صار الآن مجلس الوزراء) مشتغلا في جمع اللوائح والقوانين وتنقيحها وتعديلها فعهد الى صاحب الترجمة بالمساعدة في ذلك فاستلم القوانين واللوائح التركية وأخذ في العمل الى سنة ١٢٨٧

وفي سنة ١٢٨٨ تعين وكيلاً لديوان المكاتب الاهلية والرئيس اذ ذاك المرحوم علي باشا مبارك . وفي سنة ١٢٩٤ نال صاحب الترجمة رتبة المتمايز وبعد سنتين تعين وكيلاً لنظارة المعارف العمومية ونال رتبة ميرميران الرفيعة ثم عهد اليه منصب الكتابة الاولى بمنصب النواب مع المنصب السابق . وفي سنة ١٢٩٩ تعين ناظراً للمعارف العمومية وفي رجب من تلك السنة أقيل من منصبه مع سائر زملائه النظار لاحوال اقتضتها الثورة العسكرية اذ ذاك وامرها مشهور

ثم كانت الثورة العرابية المشار اليها فلما انقضت واخذت الحكومة في محاكمة زعمائها والقائمين بها كان صاحب الترجمة من جملة المقبوض عليهم وبعد استجوابه لدى لجنة التحقيق ظهرت براءته فاطلق سراحه ولكنهم قطعوا عنه معاشه فشق ذلك عليه فالتمس المثول بين يدي المغفور له الخديوي السابق ليدرأ عنه ما بقي من آثار الشبهة عليه فلم يؤذن له فعاد يلتمس ذلك من وجهة أخرى فنظم قصيدة شائقة يمدح بها الحضرة الخديوية وقد ابان فيها براءة ساحته نحا بها منحى النابغة في اعتذاره وهاك مقتطفات قال منها :

كتابي توجه وجهة الساحة الكبرى وكبر اذا وافيت واجتنب الكبرا
وقف خاشعاً واستوهب الاذن والتمس قبولا وقبل سدة الباب لي عشرا
وبلغ لدى الباب الخديوي حاجة لذي أمل يرجو له البشر والبشرا
لدى باب سمح الراحتين مؤمل صفوح عن الزلات يلتمس العذرا

تنوء الجبال الراسيات بحلمه ... اذا طاش ذو جهل لدى غيظه قهرا
يراقب رحمن السموات قلبه ... فيرحم من في الارض رفقاً بهم طرا
مليكي ومولاي العزيز وسيدي ... ومن ارتجي آلاء معروفه الغمرا
لئن كان أقوام عليّ تقولوا ... بامر فقد جاءوا بما زوّروا نكرا
حلفت بما بين الحطيم وزمزمٍ ... وبالباب والميزاب والكعبة الغرا
لما كان لي في الشر باع ولا يد ... ولا كنت من يبغي مدى عمره الشرا
ولكن محتوم المقادير قد جرى ... بما الله في أم الكتاب له أجرى
أتذكر يا مولاي حين تقول لي ... واني لارجو ان ستنفعني الذكرى
أراك تروم النفع للناس فطرة ... لديك ولا ترجو لذي نسمة ضرا
فعفواً أبا العباس لا زلت قادراً ... على الامر ان العفو من قادر أحرى
وحسبي ما قد مرّ من ضنك أشهر ... تجرعت فيها الصبر اطعمه مرا
يعادل منها الشهر في الطول حقبة ... ويعدل منها اليوم في طوله شهرا
أيجمل في دين المروءة انني ... اكابد في أيامك البؤس والعسرا

وكلها درر تشهد بفضله

ولما عرضت على سموه أجلها واحلها محلها وسمح له بالمثول بين يديه وأعاد له معاشه دلالة على رضائه عنه . فنظم قصيدة يشكره بها نذكر منها الابيات الاتية :

ألا ان شكر الصنع حق لمنعم ... فشكراً لآلاء الخديوي المعظم
مليك له في الجود فخر ومفخر ... على كل منهلّ من السحب مرهم
سأشكره النعماء ما عانقت يدي ... يراعي أو استولى على منطقي فمي

وفي سنة ١٣٠٢ هـ توجه الى الحجاز لاداء فريضة الحج فلاقى من علماء مكة والمدينة وادبائها ما يليق بمقامه من الاكرام والاعظام وكتب في ذلك كتاباً سماه الرحلة المكية . وفي السنة التالية شخص لزيارة بيت المقدس والخليل ومعه نجله المرحوم أمين باشا فكري فلاقى من العلماء والعظماء هناك ما يجدر بفضله ثم سارا الى مدينة بيروت الزاهرة لتبديل الهواء وأقاما فيها شهراً كان مقامهما فيها منتدى الفضلاء ومشرع الادباء والعلماء ثم ارتحل الى دمشق فلاقى فيها مالاقاه في بيروت من الاحتفاء وحسن الوفادة ثم عرج الى بعلبك فزار آثارها وسار منها بطريق لبنان الى بيروت فاقام فيها شهرين وعاد الى مصر

وفي سنة ١٣٠٦ انتدبته الحكومة المصرية لرئاسة الوفد العلمي المصري في المؤتمر

الذي انعقد في مدينة استوكهلم عاصمة اسوج ونروج وصحبه في هذه الرحلة ايضاً نجله المتقدم ذكره عضواً في هذا الوفد . وقبل سفره من اسكندرية احسن اليه الجناب الخديوي بالنيشان المجيدي من الدرجة الثانية وقد مر في وفادته المذكورة على تريستا من أعمال النمسا وفينيسيا (البندقيـة) وميلانو من أعمال ايطاليا ولوسرن من أعمال سويسره وباريس فاقام بها أكثر من عشرين يوماً تفرج فيها بمشاهد المدينة وضواحيها وكان وقت المعرض فشاهد ما فيه من عجائب الصنائع وغرائب الفنون ثم برحها الى لوندره ومنها الى نوتردام ولاهاي من أعمال هولاندا وليدن من أعمالها ايضاً وزار مكتبتها الشهيرة ورأى مطبعتها المعروفة بالمطبوعات الشرقية ثم توجه منها الى كوبنهاجن عاصمة الدنيمارك ومنها الى استهوكهلم محل مأموريته فنال من العلماء المجتمعين لهـذا المؤتمر باستوكهلم وخرستيانيا مزيد الرعاية واهداه اوسكار الثاني ملك اسوج ونروج عند اتمام هذه المهمة نيشان (وازه) من الدرجة الاولى ومر في العودة من مأموريته على برلين عاصمة بلاد المانيا وفيانا عاصمة النمسا فلقي بها ما لقيه في العواصم الاخرى من الاحتفاء وقد اخذ بعد عودته الى مصر يجمع المواد ويعد المعدات لتدوين رحلته التي وعد بها عن المهمة وعما رآه في العواصم التي مر بها ولـكن منعه من استمرار السير في ذلك مرض السكتة الذي اعتراه في شهر رجب سنة ١٣٠٧ فابقى اتمامها الى ما بعد تمام صحته ولـكن عاوده بعد ظهر الخميس في ٧ ذي الحجة وهو عائد من ابعاديته بتلحوين وتزايد عليه حتى وافاه الاجل المحتوم في الساعة الثانية عربية من صباح يوم الاحد عاشر الشهر وهو يوم النحر وشيع محمولاً على هامات الوقار والتبجيل تودعه المحاجر والقلوب . ونظراً لما كان له من المقام الرفيع لدى المنفور له الخديوي السابق تعطف رحمه الله بتعزية اهله وأولاده برسالة برقية

وكان رحمه الله شاعراً مطبوعاً وكاتباً فصيحاً وقد نبغ بين الـكتبة والشعراء ومصر قليـلة الوسائل التعليمية وكان يذهب في انشائه مذهب القرون الوسطى من ابناء هذا اللسان مع ميل الى التسجيع

أما رحلته الى المؤتمر فقد عني نجله المتقدم ذكره بنشرها في كتاب سماه « ارشاد الالبا الى محاسن اوربا » في مجلد ضخم طبع بمصر سنة ١٨٩٢ م وهو جدير بالمطالعة حقيق بالاعتبار لما حواه من اوصاف المدن الاوربية وعادات أهلها واخلاقهم وفيه

شيءٌ كثير من نظم المؤلف ونثره مما لم ينشر في سواه وابحاث علمية ولغوية وأدبية
ومن مؤلفاته ايضاً المقامة الفكرية في المملكة الباطنية طبعت في مصر غير مرة ورسالة مطولة الى المرحوم سلطان باشا يحثه فيها على نشر العلوم في انحاء الصعيد ونبذة في محاسن آثار المغفور له محمد علي باشا الكبير وله غير ذلك من المقالات والخطب وله في رواية الحديث طرق عديدة وأسانيد سديدة فضلاً عن قصائده الرنانة وقد ذكرنا مثالا منها

*

أسعد طراد

ولد سنة ١٨٣٥ م وتوفي سنة ١٨٩١ م

بيت طراد عائلة شهيرة في بيروت وفيها جماعة من أرباب الثروة والتجارة ورجال الادب والشعراء . ومن شعرائهم أسعد طراد وُلد في بيروت سنة ١٨٣٥ وليس فيها من المدارس يومئذ ما يستحق الذكر فارسله والده الى المدرسة الاميركية في عبيه بلبنان فتلقى فيها مبادىء العلم وبعض العلوم العالية وقرأ العلوم العربية على اشهر الاساتذة . وكان مفطوراً على الشعر منذ حداثته فاكثر من الترداد الى المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي ونظم قصائد عديدة في مواضيع تحدى فيها شعر الشيخ من السهولة والمتانة

وتقلب رحمه الله في مناصب الحكومة العثمانية وكان موضع ثقة اولي الامر لنزاهته ونشاطه . وفي سنة ١٨٧٢ برح سوريا وجاء القطر المصري وأقام به يتاطى التجارة في الاسكندرية وزفتي والمنصورة الى ان توفاه الله سنة ١٨٩١

فعني ابن اخيه الخواجه فضل الله طراد بجمع ما تيسر من قصائده فجمع نحواً من الف وخمسمائة بيت طبعها في كتاب وقف على طبعه ورتبه نجيب افندي ابراهيم طراد وهذه أمثلة منه :

قال من قصيدة مدح بها الشيخ ناصيف اليازجي

الى كم فؤادي يطلب العشق والحبا	ولم أر الا الوجد والوعد والعتبا
عرفت بأن لا يعرف الود والوفا	لديك ولا يدري المحب له ذنبا
غزالة أنس بات قلبي لها حمى	عليه عيوني قد غدت تمطر السحبا
تصيد ولكن لا تصاد على المدى	وتسبي قلوب العاشقين ولا تسبى
تقول اصطبر فالصبر للقلب واجب	ولم تبق لي للصبر يوم النوى قلبا
أأطمع منها بالوصال ولم أكن	سمعت بجود في الورى رحمت صبا
وقد خاف نومي ان يبيت بمدمعي	غريقاً فقد عاف التواصل والقربا
وقد جزمت عن ناظري اليوم وجهها	وحلت فؤادي ترغب السلب والنهبا
نصبت لها قلبي لترفع جزمها	فقد علمتني الرفع والجزم والنصبا
قد انتسبت للعرب من ابدعوا الوفا	ساشكو جفاها للذي أورث العربا
الى اليازجي اليوم تسعى ركابنا	كاهل الظما من بحره نطلب الشربا

لئن دثرت كتب الاولى قد تقدموا من العرب هذا صدره جمع الكتبا
وأصعب شيء عنده منع فضله وأهون شيء أن يحل لك الصعبا
على اي شيء نحوه جئت سائلا فقبل سؤال منك تنظره ابى

وقال من قصيدة اجاب بها الشيخ محمد عاقل بالاسكندرية :

هيهات يسلم من جفونك عاشق وهي التي بالسحر تفتن بابلا
اترى لمن أشكو الحبيب ولا أرى لي من قضاة الحب شخصاً عادلا
يا عاذلي في حبه مهلاً فما من عاشق قبلي أطاع العاذلا
اني قتيل في الغرام على رضى وبمهجتي أخفيت ذاك القاتلا

وله قصيدة رنانة وصف في الاختراعات الجديدة نقتطف منها قوله :

واترك حدوج المالكية انها ملكت حشاك بخدرها مصفودا
ما بالحدائج والهوادج ما ترى في عصرنا في قطر مصر جديدا
وجه لحاظك للبخار وقل له اني أرى ماء يجرّ حديدا
وانظر لسلك البرق والتلفون كم قد قربا ما كان منك بعيدا
غنت سليمى في الحجاز فأطربت مع بعدها أهل العراق نشيدا
ولسوف ان رقصت بمصر فقد ترى في اصبهان لقدها تأويدا
ألهِ الفؤاد بذكر ذاك وذا وذا عجباً وهاك الطائر الغريدا
يهدي اليك مع البريد بوصفه فكأنما حمل البريد بريدا
يصف البريد ببره وببحره وبجوه متنوعاً معدودا
ذاك الصديق الصادق الخل الذي لا يعرف التأجيل والتعريدا
ويريك منه بوصفه خلاًّ يرى حفظ الامانة سنة وعهودا
حمل السفاتج والنضار لاهلها وسرى بحول الله يطوي البيدا
يطوي القفار فكم عليه حلة منها وكم منه بها اخدودا
متفرع في أرض مصر كنيلها يسقي التجارة سقي ذاك صعيدا
ابداً يطوف بها كصاحب كرمة يهدي لكل محطة عنقودا

وقال رثي الشيخ حسنين شيخ الزاهدين بالمنصورة :

سرى الحسنين اليوم يغتنم الاجرا من المسجد الاقصى فسبحان من أسرى
وعن جانب النيل ارتقى نحو جنة جرت تحتها الانهار جلّ الذي أجرى

بكته بنو المنصورة اليوم حسرة فكم عمها لطفاً واكسبها نصرا
أراهم يبكون الدما وكأنني اراني من آماقهم أعصر الخمرا
ينوحون شيخ الزهد والنسك والتقى ومن عمهم بالفضل عمهم برا
وسحت عيون الافق حتى كانما منيته قد ابكت الانجم الزهرا
فريداً وحيداً قد قضى العمر زاهداً ولازم في أيامه الفقر والقفرا
عن الوابل استغنى بظل قناعة وفي كسرة عما استعز به كسرى

وقال يرثي المرحوم سليم دي بسترس المتوفى في لندن :

خل الحزن اليوم في حسراته ودع العزاء لمن يعي كلماته
واطرح احاديث السلو اليوم عن دنف يخاف عليك من صعداته
دنف غرام البين لم يترك له من قلبه الا صغار فتاته
نشوان كاس نوائب الدنيا على انواعها حسب اختلاف سقاته
ولكل بلوى انة في صدره فتمد ما تحويه من اناته

الى ان قال :

لاقى المنية باسماً فكانها واقته تخطر مع لفيف عفاته
وكانما تلك النفيسة نفسه بيديه كانت عند بذل هباته
عظمت بقلب الشرق حسرة فقده بذواته وقضاته وولاته
والنيل من أسف تمنى لو جرى للشرق تعزية لقلب فراته

ومن قصيدة رثا بها المرحوم سمعان كرم بالاسكندرية يخاطب الموت :

ويلاه لا يمحي خط القضاء ولو مهما امحى منك مما خط تبيانا
والف ويلاه كم برحت في مهج ياموت فتكا وكم قرحت اجفانا
وكم ظلمت ولم ترحم نواح أخ على أخيه وكم يتمت ولدانا
وكم جمعت بدار اللحد من نفر جمع الفراق وكم فرقت اخوانا
وكم أسرت غداة الروع من ملك بين الجنود وكم عطلت تيجانا
وكم غلبت بدار الاسر متخذاً نوائب الدهر اجناداً وسجانا
وكم مشيت على هام المشاة وكم القيت عن صهوات الخيل فرسانا
ماخفت مجداً ولاجاهاً ولاشرفاً ولا سمواً ولا قدراً ولا شانا
ولم تبال بابطال الرجال ولو شنوا الاغارة فرساناً وركبانا

ولا قبلت شفيعاً لو عزمت على فتك ولو كان ريا بنت مروانا
كم شاخ جيلٌ فجيلٌ وانقضى ومضى وانت فيك الصبا يزداد ريعانا
افنيت عاداً وشيباناً وجرهمة وتغلباً وبني بكر وغسانا
وعشت في كل نفس كنت تسلبها رغماً وما زلت بالارواح ريانا
حتى متى والى كم لا تموت ودع ليوم موتك كي يبكيك انسانا
هيهات ينظر موت الموت ذو رمق من الورى اكسبته النفس وجدانا
فحيّنا موته حيٌّ بصاحبه ما لم يمت لم يجد للموت هجرانا
وميتنا موته ميتٌ قضى معه كأنه وكان الموت ما كانا
يا ايها الميت لا موتاً يعاد فكن من بعد ذا في سرير الملك سلطانا
مهما تبددت لا تخش الفناء فقد صادفت في فسحات الكون خزانا

المعلم ناجي

الشاعر التركي الشهير

ولد نحو سنة ١٢٦٥ هـ وتوفي سنة ١٣١٠ هـ

(ترجمة حاله) وُلد في الاستانة حوالي عام ١٢٦٥ هـ وكان والده سراجاً يسمى علي بك توفي وولده هذا لم يجاوز الحادية عشرة من عمره فكفلته أمه وكان له أخ أكبر منه سناً فعنيا بتربيته ولم يكونا في سعة من العيش فتعلم مبادىء القراءة في مكتب ابتدائي وقرأ شيئاً على أخيه المشار اليه فحفظ القرآن ومبادىء العلوم اللغوية ثم عكف على اكتساب العلم بالمطالعة من تلقاء نفسه فاتقن التركية والعربية والفارسية ثم تعلم اللغة الفرنساوية بعدئذ واكتسب كل ذلك بالجد والاجتهاد وسهر الليل لان حاله لم تكن تساعده على تكبد نفقات المدارس والانفاق على المعلمين والكتب ونحوها حتى انه كثيراً ما اضطر الى أعمال خصوصية يستعين بربحها على نفقات الدرس واثمان الكتب

ولما تمكن من العلم على هذه الصورة تعين أستاذاً في مدرسة رشدية وارنه (في الروملي) وتعين أيضاً كاتباً خصوصياً لدولتلو سعيد باشا وكاتباً في احدى المحاكم الجزئية وترقى منها الى ان صار مميز قلم مكتوبي احدى الولايات . ومن الوظائف التي تقلدها أيضاً الكتابة في نظارة الخارجية وكان مجتهداً أديباً فاشتهر بين معارفه بالادب والبراعة وجودة النظم وحسن الانشاء فتقرب من الفاضل التركي الشهير احمد مدحت افندي فكان هذا يرتاح الى ناجي ويعجب بذكائه وأدبه فأزوجه ابنته

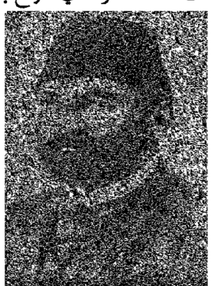
فكان ذلك من جملة ما حبب اليه الانقطاع الى العلم فاعتزل الخدمة في دوائر الحكومة وانخرط في سلك المحررين فتولى تحرير القسم الادبي من جريدة « ترجمان حقيقة » ثم جريدة « سعادت » وانشأ مجلات أدبية شعرية انتقادية سيأتي ذكرها بين مؤلفاته وآخر مهمة تقلدها كتابة تاريخ آل عثمان فقضى فيها بضع سنوات حتى توفاه الله

وكان مع ذلك كله عاملاً على التأليف والتصنيف ونظم الشعر على أسلوب مختصر مفيد حتى يكاد يستحيل عليك ان تجد في عبارته كلمة يمكن الاستغناء عنها او وضعها في غير ما وضعت له فعكف أدباء الاتراك على مطالعة مؤلفاته ومنظوماته لما آنسوه فيها من الطلاوة والرقة مع اللذة والفائدة وراجت كتاباته رواجاً حسناً ساعده على التعيش .

ثم كان ذلك سبباً في رفع منزلته بين أقاربه وتقربه الى رجال الدولة وأهل المابين وغيرهم من علماء الاستانة ووزرائها

فلما أذن الله بانقضاء أجل حياته في ٢٥ رمضان سنة ١٣١٠ هـ كان لخبر معناه وقع أليم في قلوب العثمانيين كافة فبكاه الاصدقاء ورثاه الشعراء وأبنه الخطباء وترجمته الجرائد وما وصل خبر معناه الى جلالة السلطان حتى أصدر ارادته بان ينفق على جنازته ودفنه من جيبه الهمايوني الخاص وان يدفن في تربة ساكن الجنان السلطان محمود الثاني مدفن العظماء والعلماء

واشتهر المعلم ناجي افندي بحسن البيان ودقة النظر واصابة الرأي وجودة القريحة وحسن الذوق نظماً ونثراً فكانت الالفاظ والمعاني طوع بنانه فيصوغ منها ما شاء



(ش ٤٨) : المعلم ناجي

على أساليب تلك المطالعين على اختلاف طبقاتهم . واتخذ في الانشاء والنظم نسقاً جديداً فلم يقلد الافرنج المحدثين ولا بقي على ما كان عليه السلف لكنه اختار ما بين ذلك أسلوباً حسناً خلقت صورته في ذهنه مما حبب الناس في مطالعة ما كتبه ونشره خلافاً لما جرت به عادة كتاب هذا العصر من الاتراك والعرب فهم في الغالب يتوخون تقليد الافرنج في ما يكتبونه وهو طبيعي لا غرابة فيه ولكن التقليد الاصم مفسد للذوق لان لكل لغة أو أمة ذوقاً خصوصياً لا تلذ المطالعة الا فيه فليكن نظرنا في ما يكتبه الافرنج نظر من يطلب التوسع في معرفة أذواق الكتاب على اختلاف الاعصر واللغات ثم نختار ما يناسب ذوق أبناء لغتنا الذين انما نكتب لهم

فيظهر ان صاحب الترجمة سار على هذه الخطة فكان لمؤلفاته ومنظوماته وقع حسن

عند قراء اللغة التركية وكان في عزمه ان يجعل الانشاء التركي منهاجاً قائماً بنفسه لا يشبه الشرقيين القدماء ولا الغربيين المحدثين بل يوافق مقتضيات اللسان والزمان فبذل في ذلك قصارى جهده ولكن المنية عاجلته قبل اتمامه فمات عن ٤٥ عاماً ولو فسح الله في أجله لكان أكتب كتاب اللغة التركية بلا استثناء

وكان عالي الهمة نشيطاً حازماً وفياً سليم القلب رقيق الحديث حسن المعاشرة عالماً عاملاً لم يكن همه من حياته الا التأليف والتصنيف

(مؤلفاته) وهذه اسماء ما طبع ونشر من مؤلفاته وأكثرها مقالات ورسائل وهي :

(اسم الكتاب بالتركية)	(موضوعه)
١ آتشياره	منظوم
٢ اعجاز القرآن	وهو ملخص ترجمة الاسرار العقلية المستنبطة من سورة الفاتحة المندرجة في كتاب مفاتيح الغيب الامام فخر الدين الرازي
٣ معاني الهجي	ترجمة الاقوال المنقولة عن علماء المسلمين بشأن الاحرف المندرجة بأول سورة القرآن

(اسم الكتاب)	(موضوعه)
٤ شرارة	منظوم
٥ موسى ابن ابي الغازان	منظوم
٦ أمثال علي	يشتمل على ترجمة امثال للامام علي
٧ مدرسه خاطره لري	(خواطر المدرسة) نثر
٨ صانده سوز	نثر
٩ فروزان	منظوم
١٠ معلم	انتقاد على أشعار تركية
١١ يازمش بولندم	مكاتيب
١٢ دمدمه	انتقاد
١٣ مخابرات	مكاتيب
١٤ مكتوبلرم	مكاتيب
١٥ نوادر الاكابر	نثر
١٦ شويله بويله	مجموعة مكاتيب ايضاً
١٧ هدر	تياترو
١٨ حكم الرفاعي	
١٩ سانحات العرب	
٢٠ مترجم	اشعار ونثر مترجم عن اللسان الافرنجي وغيره
٢١ آفاق	
٢٢ محمد مظفر	
٢٣ ترك شاعرلري	شعراء الترك

(اسم الكتاب)	(موضوعه)
٢٤ لغت ناجي	كتاب في اللغة
٢٥ اصطلاحات أدبية	في الآداب
٢٦ ترجمه دن ترجمه	ترجمة قصيدة ابن زيدون
٢٧ نمونهٔ سخن	انموذج الكلام
٢٨ سنبله	بعض شعره ونثره
٢٩ مجموعة معلم	مجلة أدبية
٣٠ امداد المداد	» »
٣١ ذات النطاقين	منظوم
٣١ خلاصة الاخلاص	
٣٣ عيديه	

وله آثار أخرى لم تطبع

*

الياس صالح

ولد سنة ١٨٧٠ وتوفي سنة ١٨٩٥

وُلد في بيروت وتلقى العلم في المدرسة الكلية السورية الاميركانية فنبغ في اللغة العربية وآدابها وكان منذ حداثته متوقد الذهن ذكياً فطناً ومن غريب قريحته انه جمع بين الشعر والانشاء ويندر ان يتفق ذلك لواحد

نال شهادة البكلورية من المدرسة الكلية سنة ١٨٨٨وكان قداشتهر بين البيروتيين بقريحته السيالة في الشعر وسلامة ذوقه في الانشاء فاستقدمته ادارة المقطم فتولى التحرير فيها حتى توفاه الله في ريعان الشباب . ولو فسح في أجله لأتى بمعجزات البيان لانه كان على صغر سنه من نوابغ الشعراء وعمدة الكتاب حتى طار صيته في القطرين . وكان كاتباً أديباً تسيل عباراته سهولة وتمتزج معانيه بالنفوس رقة قلَّ أن يهفو هفوة يؤاخذ عليها . متضلعاً بقواعد اللغة لو سألته عن أي شاردة من شواردها لاجابك فوراً او اورد لك مثالا او أمثلة . وكان انشاؤه عربياً فصيحاً خالصاً من صيغة العجمة مع كثرة اشتغاله ومطالعته باللغات الاجنبية . وكان قابضاً على ناصية الالفاظ عارفاً اشتقاقاتها ومواقعها واظلال معانيها فلا تسأله عن لفظ الا أورد لك سائر اشتقاقاته ومعانيه وأشار باصبعه الى موضع كل منها في الصفحة من القاموس

وكان شاعراً مطبوعاً يمتاز شعره مع الرقة والفصاحة بالسهولة والطلاوة . لا يخلو له بيت من نكتة تدل على الذكاء والظرف . وقد نظم على صغر سنه واشتغاله عن الشعر قصائد رنانة ومقاطع جرت مجرى الامثال

وكان مع ذلك سريع الخاطر فطناً لا تكاد تبدأ بحديثك حتى يدرك مرادك منه ولا تخفاه خفية من مكنونات معانيك حتى يخال لك انه ينطق بلسانك ويعبر عن جنانك . وكان حلو الحديث حسن المعاشرة لا يخلو مجلسه من المطارحة أو المذاكرة أو المباحثة في ما يحلو الخوض فيه من المواضيع الادبية أو العلمية أو السياسية واذا ناظرته في أمر آنست منه آراء قويمة وأفكاراً اكثرها في جانب الاصابة.

وكان أديباً عفيفاً يحدث بعفته واعتداله سائر أصدقائه وخلانه ما يصح أن يكون قدوة لشبان هذا العصر ويندر أن نرى على مثاله بينهم

وكان يعرف اللغة الانكليزية معرفة جيدة ترجمة وكتابة ويحسن الفرنسوية وكثيراً ما عرَّب قصائد انكليزية فنظمها في العربية لا يشك قارئها انها نظمت في العربية

رأساً وترجم جانباً من رواية الاميرة المصرية درج شيء منها في مجلة اللطائف قبل مرضه وفيها ما يدل على تمكنه من الانكليزية مع اقتداره على نقل معانيها الى عبارة عربية فصيحة لا يشتم منها رائحة التعريب

وكان كبير النفس عزيزها ممتلىء القلب انفة ونزاهة لا يفتر لحظة عن الاهتمام بمستقبله وقد بالغ في ذلك حتى أودى به الى تعب الجسم ونحول البدن فلما جاءه المرض لم يستطع الى دفعه سبيلاً فقضى ونفسه شاخصة الى المعالي وآماله لا تزال عالقة بنيل الاماني الى آخر نسمة من حياته

وأما آثاره فان الاجل لم يفسح له الا قليلاً ومع ذلك فان من منظوماته ما تناقلته



(س ٤٩) : الياس صالح

الالسنة وأعجب به رجال الادب واكثره منشور في جريدة المقطم ومنه ما يتناقله زملاؤه في المدرسة في محفوظهم ولم نوفق الى جمع شيء يستحق النشر في كتاب على حدة فنأتي بامثلة منها دلالة على منزلته من عالم الشعر

قال من قصيدة فلسفية في « الحرية » ودع بها المدرسة الكلية عند نيل شهادتها :

خلِّ عنك الوقوف في دار ميَّه واعتزل ذكر زينب وأميه
رحم الله كل من قال شعراً في ربوع الاسلام والجاهليه

انما دارنا عن شرفوها عن سليمى وعن سعاد غنيه
بل هي الروض فتح الزهر فيه من خلال اللواحظ النرجسيه
واقامت فيه خدود العذارى حرب بدر على القلوب الشقيه
لا تلمني يا عاذلي بهواها فانا قيس هذه العامريه
وعلامَ الملام والقلب قلبي وهي فيه حجة شرعيه
فاذا كنت تدعيه فقدم (عرض حال) الاعين التركيه
وخبطنا العشواء لو كنت تدري في ليالي تلك الشعور الدجيه
واتخذنا سلاسل الشعر قيداً فنسينا المسكينة الحريه
وزعمنا الانسان ذا شهوات يعطيها مهما تكن دنيويه
وهو زعمٌ ان صح فالمرء خلق من جميع المناقب الادبيه
أفلا تستطيع ان جمتَ قل لي كبح تلك المطالب الجسديه
أنت حر فتستطيع ومهما قاومتك الطبيعة البشريه
ولكون الانسان يسأل عما يعطيه من الامور الدنيه
شاهدٌ انه مدى الدهر حرٌّ يفعل الامر عن رضى ورويه
هب أدرت الاداة أنت فأخطت أعليها في ذاك مسؤوليه
كم تلظيت اذ أسأت صنيعاً وندمت الندامة الكسعيه
ان في (ليتني فعلتُ) دليلاً من أصح الادلة العقليه
انكر الناس ذاك قبلاً ولكن أثبتته الشرائع المدنيه
أنت حرٌّ يا أيها المرء فاعلم ولك العلم فيه والاسبقيه
أنت حرٌّ فاعلم بهذا وعلم انت حرٌّ وهذه أوليه
لست عبداً ان كنت تحت نظام لا وليس النظام ذا اوليه
انت فوق النظام ان تتبعه ولانت الذي وضعت الوصيه
يتمنى الانسان لو كان عبداً ويقيم الادلة العلميه
ولكم قد رأيت من حيوان يقضم الحبل بغية الحريه
يا بني امنا ذوي الفضل بل يا معشر الناطقين بالعربيه
لستُ عبداً انا ولا أنت مولى أيها اللابس الحلى الذهبيه
هكذا الناس ايها الناس طراً ما لزيد على عبيد مزيه

ساق الكلام الى وصف الفراق وفراق التلامذة والاساتذة فقال :

لست ممن يقوى عليه فرقاً بالمعنّى يا ساكني الكليه

كيف تلقون في لظى الوجد نفسي وانا صالح ونفسي بريه
يا بدوراً راموا التباعد عني وامطوا للفراق أي مطيه
أفلا تجذب البدور بحوراً ها دموعي فأين ذي الجاذبيه
ان دراً اودعتموه باذني صهرته حرارتي القلبيه
وستذريه مقلتاي عقيقاً فترون الغرائب الكيميه

وقال يهنىء صاحبي المقتطف برتبة الدكتورية . وكان قد سافر الى بيروت فبدأ بوصف السفينة واستطرد الى المدح قال :

تلك السفينة بسم الله مجراهـا على دموعي مسراها ومرساها
تجري وفي قلبها النيران موقدة مثلي كأن هوى الاوطان أشجاها
سكرى تميد بمن فيهـا فتسكرهم وهماً فكيف اذا ذاقوا حمایاها
وليس بدعٌ اذا سارت بنا مرحاً فتلك جارية يهتز عطفاهـا
هيفاء لكنها بالقار قد خضبت كالخود يخضب بالحناء كفاها
سلطانة البحر اذ ترسو يحيط بها من القوارب جند من رعاياها
وان سرت نشرت أعلامها وشدا صوت البخار لها والموج حياها
طوراً ترى في قرار اليم غائصة وتارة فوق هام السحب تلقاها
لم أنس ليلة بتنا والرفاق بها نرعى النجوم ولو شئنا مسسناها
وحولنا الماء من كل الجهات ولا شيء سوى الماء يغشانا ويغشاها
تزجي الركاب الى أرض الشآم وفي مصر لنا حاجة هيهات ننساها
انتم منى النفس لا زالت تطيب بكم نفس الصحاب وتلقى نجح مسعاها
سعى اليكم بنا فضل لكم شهدت به البرية اقصاهـا وادناها
وشهرة بين أهل الارض طائرة يردد الصحب والاعداء ذكراها
ورغبة في اقتباس العلم غالبة لم نهجر الاهل والاوطان لولاها
يا بهجة الشرق حسب الشرق انكما من بعض ابنائه بين الورى جاها
احييتما العلم فيه بعد ان درست معالم الدرس والاهمال افناها
شهادة لم ينلها غير ذي خطر قد نال من درجات الفضل أسماها
لانما توأماها دون غيركما وانما انتما في الشرق صنواها
فلتهنأا وهي فلتهنأ ونحن بما حزنا وحازت وحزتم واشكروا الله

وقال يصف جسر قصر النيل بالقاهرة وفيه اشارة الى دورانه في اثناء فتحه :

جسر قصر النيل المبارك جسر قصَّرت في الفخام عنه الجسورُ

ثابتٌ كالزمان هيهات يفنى وهو ايضاً مثل الزمان يدورُ

وله في نظم التواريخ أبيات لم نرَ مثلها في ما نظمه الشعراء . من ذلك تاريخ نظمه تقريظاً لكتابنا تاريخ مصر الحديث عند صدوره سنة ١٣٠٨ هـ يكاد يكون معجزة من معجزات النظم وهو قوله بعد وصف الكتاب نثراً :

وبالاختصار فقد حوى ووعى ما لم يكن في الكتب منسوخا
فيرى الحكيم له به عظة ويرى الجهول كذاك توبيخا
ويرى المطالع فيه تفكهة ويرى المؤرخ فيه تاريخا

وآخر ما نظمه قبل مرضه بيتان كتبها الى خطيبته على بطاقة وفيها اشارة الى ساعة اهداها اليها وهما :

يا من دعاني حبه فاجبته سمعاً لما تدعو اليه وطاعه
تفديك روحي ان حبك راسخ فيها قديماً قبل هـذه الساعه

وبيتان آخران كتبهما اليها وقد أهداها حلياً مرصعاً على شكل طائر يحمل في أعلى الصدر وهما :

اليك حبيب القلب مني هدية تزيدك في عيني محاسنها حسنا
أتتك وقد حنت اليك صبابة ولا عجب للطير ان يعشق الغصنا

ومن النكات الشعرية قوله في نحوية :

ونحوية سألتها اعرابي لنا حبيبي عليه الحب قد جار واعتدى
فقالت حبيبي مبتدأ في كلامهم فقلت لها ضميه ان كان مبتدا

وقوله :

قد رماني بالصد والهجر عمداً ولحاني اذ ملت للسلوان
ما رأى نفسه فلا تعذلوه لا ترى العين نفسها بل تراني

وآخر ما نظمه بعد مرضه وقد ثقلت عليه وطأة الحمى بيتان قالها في وصفها وكانت تشتد عليه ليلاً :

اذا جنَّ الظلام وغاب صحبي وفارقني احبائي وناسي
أتت تسعى اليَّ وليس ترضى مقاماً غير احشائي وراسي

*

الشيخ نجيب الحداد

ولد سنة ١٨٦٧ وتوفي سنة ١٨٩٩

《 ترجمته 》 وُلد في فبراير من عام ١٨٦٧ ووالده سليمان افندي الحداد ووالدته كريمة المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي . فربي في مهد الادب وقد ورث ملكة الشعر من جديه ورضع لبان النظم والنثر من خاليه (المرحومين الشيخ ابراهيم اليازجي وشقيقه الشيخ خليل اليازجي) وتلقى بعض العلم عنهما ولكنه فطر على الادب مذ نعومة أظفاره فنظم الشعر قبل أن يدرك الحلم . واليك مثال من ابيات نظمها قبل ان يدرك الخامسة عشرة من عمره

اما ومن زين المعالي بكل صمصامة وحلى
لأعنة الخيل في قتام يريك بها الغبار كحلا
أحب من عين ذات خدر مقرونة الحاجبين كحلا

وجاء الاسكندرية بعد الحوادث العرابية فتولى التحرير في جريدة الاهرام الى عام ١٨٩٤ فاعتزلها وانشأ جريدة لسان العرب مع شقيقه أمين افندي الحداد وعبده افندي بدران . وتولى هو رئاسة التحرير فاشتهر اللسان بمتانة عبارته وسهولتها . ثم قضت حال الصحافة بتعطيل الجريدة . فجاء القاهرة وانشأها أسبوعية ثم عاد الى الاسكندرية وتولى تحرير مجلة انيس الجليس وجريدة السلام فكان يحرر الجريدتين وجريدته وهو مع ذلك لا ينقطع عن تأليف الروايات وترجمتها ونظم القصائد الرنانة والمرض ينتابه ويكاد يقعده وهو يجاهد في دفعه حتى قضى نحبه قبل ان يتم الثانية والثلاثين من عمره . وكان رحمه الله ذكي الفؤاد سريع الخاطر متوقد الذهن كما سترى من أمثلة نظمه ونثره

مؤلفاته

١ رواية صلاح الدين الايوبي . وهي في الاصل تأليف السير وولتر سكوت الشاعر الانكليزي الشهير فسبكها المترجم في قالب التشخيص وغير فيها وبدل حتى لقد يصح ان يقال انه الفها . مثلت في مصر والاسكندرية مراراً فنالت شهرة واسعة تغنينا عن الاطناب

٢ رواية السيد . وهي من مؤلفات كورنيل الكاتب الفرنساوي فنقلها الى اللسان العربي وسماها « غرام وانتقام » وقد مثلت مراراً

٣ رواية المهدي . وهي تشخيصية تاريخية مثل فيها بعض حوادث المهدي السوداني

٤ رواية حمدان . عربها عن رواية ارنيني لفيكتور هوكو

٥ رواية شهداء الغرام . عربها عن روميو وجوليت لشكسبير

٦ رواية الرجاء بعد اليأس

٧ رواية البخيل . معربة

٨ رواية غصن البان

٩ رواية ثارات العرب

١٠ رواية الفرسان الثلاثة الشهيرة لاسكندر دوماس وقد نقلها الى العربية



(ش ٥٠) : الشيخ نجيب الحداد

فضلاً عما كتبه من المقالات الرنانة في لسان العرب وغيره . منها مقالة في المقابلة بين الشعر العربي والشعر الافرنجي نشرت في مجلة البيان بمصر . وتمتاز ترجماته عن كثير من ترجمات أهل هذا العصر بخلوصها من شوائب العجمة وقد اشتهر رحمه الله خصوصاً في تأليف الروايات التمثيلية أو ترجمتها واكثر ما يمثل على المراسح المصرية اليوم من تأليف الحداد او ترجمته

شعره

وكان شاعراً عصرياً حسن الاسلوب يكفينا في وصف شعره ان نورد بعضه على سبيل المثال . فقد قال من قصيدة نظمها في وصف سوق الاحسان التي احترقت

بالنور الكهربائي في باريس عام ١٨٩٧ ومات فيها نحو ٢٠٠ امرأة من المحصنات الباريسيات :

أي رزء أجرى الدموع دماء ... واذاب القلوب والاحشاء
ليس بدع في خطب باريس أن تشـ ... ـمل آثار حزنه الدنياء
وهي أم الآداب اثكلها الدهر ... فابكت بوجدها الابناء
قد دهاها مصاب سادوم لكن ... خص من قومها الابرياء
فهي في الحزن مثل راحيل اذ ... تبكي بنيها ولا تريد عزاء
أصلت الكهرباء فيها لهيباً ... قد كرهنا لاجله الكهرباء
ورماها نور الضياء بنار ... اظلمتها فما تلاقي الضياء
في مكان انشي لدفع بلاء ... عن فقير فكان فيه بلاء
سوق بر تباع فيها اللهى ... بيعاً ويشرى الثواب فيها شراء
زينتها بيض الايادي وايدي ... البيض من محسن ومن حسناء
انفس تبتغي السماء فما ... امسين الا وقد بلغن السماء
ادركت ما تروم من جنة الخلـ ... ـد ولكن كان الطريق صلاء
من رأى قلبها جحيماً يؤدي ... لنعيم ابناءه الشهداء
أو رأى محسناً يجود على النا ... س فيلقى نار الجحيم جزاء
أترى كان ذاك مطهر من ما ... توا فيمحو عن النفوس الخطاء
أم هو الدهر لا يزال مسيئاً ... لكريم ومكرماً من اساء
يا ربوعاً كانت معاهد احسا ... ن وحسن فاصبحت قفراء
وديارا كانت منازل ايناس ... س فاضحت بلاقعاً وخلاء
وكراماً كانوا مناهل جود ... لفقير فاصبحوا فقراء
امراء نادى الندى فاطاعو ... ه اميراً لهم ولبوا النداء
وحسان قد جدن براً كأن الـ ... ـبر ثوب يزيدهن بهاء
ساحة تنبت المكارم والرأ ... فة والمجد والندى والاخاء
فنساء بها تباري رجالا ... ورجال بها تباري النساء
اوجه يشرق السنا من محيا ... ها فتزداد بالجميل سناء
رحن يزهين بالبياض فما أصـ ... ـبحن الا كوالحاً سوداء
ورماً لم تدع بها النار الا ... رمم جسم واعظما جرداء
كن ناساً فصرن ناراً فاصـ ... ـبحن رماداً بها فصرن هباء

قد كفت لحظة لان تقلب الام ر وان تجعل النعيم شقاء
فاستحال الهناءُ بؤساً وأحز اناً وأضحى ذاك السرور بكاء
نقمة صبها القضاء على الا رار ظلماً ومن يرد القضاء
رحم الله من قضى وشفى الجر حى وعزى الباكين والتعساء

وقال من قصيدة يصف بها بعض متنزهات الاسكندرية ومركباتها ومخدراتها :

من بدور تسير في المركبات ومن القبعات في هالاتِ
كالتها أزاهر الصنع من نبـ ت الايادي لا من أيادي النبات
زهرات ما حاكها ابن سحاب في ربى الروض بل بنان البنات
ان يكن فاتها الاريج فقد عوّ ض عنه روائح الغانيات
او عدتها الغصون فهي على شـ ل غصون الربى من القامات
سائراتٌ جوالسٌ فهي لم تمـ جل ولكنها على عجلاتِ
مفردات الجمال تنطبق الخيـ لُ فرادى بها ومزدوجات
وكأن الجياد تشعر بالحسـ ن فتجري بهنَّ مفتخرات
قد درت انها تجر بدوراً فتبارت كالانجم السائرات
مسرعاتٌ ترى الدواليبَ من سر عتها في مرورها ثابتات
وقلوبُ العشاق تتبع الغيـ د تباري افراسها الجاريات
صاح هذه هوادجُ الحضر اليو م تخالُ الهوادج الباديات
ودع النوق والفلاة فلا نو قاً باحيائنا ولا فلوات
ودع العيسَ والحداء لقوم ألفوا عيسهم وزجرَ الحداة
تلك حالٌ مرَّت قديماً وذي حا لٌ وسبحان مبدل الحالاتِ

وقال من قصيدة غراء وصف بها القمر :

وسار البدر يسبح في سماء عليها من كواكبها سفينُ
تمرُّ به السحائبُ مسرعاتٍ فيخفى تحتهنَّ ويستبينُ
كخود اقبلت في الروض تسعى فتظهر ثم تحجبها الغصون
تقابل وجهه فيلوح فيه اصورة وجهك الرسم المبين
فتحسب منه ان هناك ماء ولا ماءٌ هناك ولا عيون
ولا نبت عليه ولا حياةٌ ولا نسمٌ ولا غيثٌ هتون
جنازة ميت لا نعش فيها ولا أيدٍ حمان ولا أنين
قرين الارض ليس يغيب عنها ولكن لا يواصلها القرينُ

يدور به ولكن حين يدنو ... يفرّ فلا يجيب ولا يلين
كمشوقٍ يداعب ذات خدر ... فلا يعطي الوصال ولا يبين
فكم بسمت لمرآهُ ثغور ... وكم سالت لمرآهُ شؤونُ
وكم ذكر المحبُّ به حبيباً ... وكم نسي الحدين به خدينُ
وتصفر النجوم اذا تبدى ... كما تصفرُّ من حسد جبينُ
يشير فتختفي من جانبيه ... نوافر وهو مجتازٌ رزينُ
كما طلع المليك عليه تاجٌ ... فأطرقت الوجوه له تدين
كأنَّ كواكب الافلاك درٌّ ... تبدى بينها حجرٌ ثمين
فيا شبه الحبيب حويت منه ... سناه وفاتنا منك الفتونُ
وكم تحيي الظلام وأنت ميتٌ ... وكم تملو النجوم وأنت دون
حويت عجائباً فدعاك قوم ... الهاً حبه في الناس دينُ
تخبرهم باعداد الليالي ... ويلزمك السكوت فما تبينُ
وتصدقهم وفيك النقص طبع ... وعهدي كل ذي نقص يمينُ
لنا في كل شهر منك شكٌّ ... ولكن ليس يمهله اليقين
ترى فيك البداءة كيف كانت ... قديماً والفناء متى يكون

وله من قصيدة في وصف القمار :

لكل نقيصة في الناس عارُ ... وشرّ معايب المرء القمارُ
تشاد له المنازل شاهقات ... وفي تشييد ساحتها الدمار
نصيب النازلين بها سهادٌ ... فافلاس فيأس فانتحار
قد اختصروا التجارة من قريب ... فمدمٌ في الدقيقة أو يسارُ
وبئس العيش فقرٌ مستديم ... يعارضها يسارٌ مستعارُ
وبئس المال لا تحظى عينٌ ... به حتى تسلمه اليسارُ
يفرّ من البنان فليس يبقى ... لهم من أثره الاّ اصفرار
فبينا تبصر الوجنات ورداً ... اذا هي في خسارتهم بهارُ
تراهم حول بسطتها قعوداً ... يدير عيونهم ورق يدار
يلاحظ بعضهم بعضاً بعين ... يكاد يضيء اسودها الشرار
فتحسب ان بين القوم ثأراً ... ولا ثأر هناك ولا نفارُ
كأن عيونهم لما أديرت ... فراش حائم والمال نار
فهم لا يبصرون سواه شيئاً ... كساري الليل لاح له منار

وهم لا يعطفون على خليـل ۞ وليس يشوق انفسهم مزارُ
وهم لا يذكرون قديم عهد ۞ وليس لهم سوى الامس اذكارُ
فكم غضبوا على الايام ظلماً ۞ وكم حنقوا على الدنيا وثاروا
وكم تركوا النساء تبيت تشكو ۞ وتسعدها الاصيبية الصغارُ
تبيت على الطوى ترجو وتخشى ۞ يورقها السهاد والانتظارُ
فبئست عيشة الزوجات حزنٌ ۞ وتسهيد وهجر وافتقارُ
وبئست خلة الفتيان همٌّ ۞ واتعابٌ وخسرانٌ وعار

ومن شعره أبيات نظمها اجابة لاقتراح مصلحة السكة الحديدية المصرية وكانت قد اقترحت على الشعراء نظم ابيات تنقش على جدران المحطة بمصر وفرضت جائزة ينالها الجيد فنالها هو وأما الابيات فهي :

يا حسن عصر بعباس العلى ابتسما ۞ حتى الحديد غدا ثغراً له وفما
طرائق في ضواحي القطر تبلغنا ۞ أقصى البـلاد ولم تنقل بها قدما
مصرٌ كصفحة قرطاس بتربتها ۞ غدا القطار عليها الخطّ والقلما
أرض بها كان خطب النيل منتثراً ۞ حتى أتاها قطار النار فانتظما
لنا غنى عن قطار السحب منسجماً ۞ ولا غنىً عن قطار النار مضطرما
يجري بها الرزق في جسم البلاد كما ۞ يجري دم في عروق الجسم منتظما
محطة هي قلبٌ والخطوط بدت ۞ مثل الشرايين فيها والقطار دما
مع السلامة يا من سار مرتحلاً ۞ عنا واهلا وسهلا بالذي قدما

وكانت مجلة مرآة الحسناء قد فرضت جائزة لمن ينظم أحسن ترجمـة لقصيدة انكليزية نظمت في أمور اشترطها خاطبٌ على خطيبته وجوابها عليه فنظمها الحداد ونال الجائزة واليك القصيدة :

طلبت أثمن شيء في الوجود غلا ۞ قلب التي لم ينلها كلُّ من سألا
سألتني وأنا أنثى سؤال فتى ۞ فقف لتسألك الانثى وكن رجلا
تريدني أن أجيد الطبخ حاذقة ۞ وأرفأ الثوب حتى ما عليه بلى
أما أنا فطلابي أن تقدم لي ۞ قلباً كنجم ونفساً كالسماء على
فان طلبت لذيذ الاكل مجتهداً ۞ وان يكون عليك الملبس مكتملا
فأنت تطلب طباخاً على قدر ۞ وذات خيط صناعاً تصلح الحللا
أما سؤالي فأعلى من سؤالك لي ۞ ومنيتي فوق ما ترجوه بي أملا
اذ ابتغي ملكاً يبقي ولايته ۞ وابتغي رجلاً بين الورى مثلا

انا صغيرة سن في الشباب ولي	من فوق خدي ورد يكتسي خجلا
لـكن ذا كله فانٍ بجملته	وعن قريب ترى ورد البها ذبلا
فهل يدوم غرام في فؤادك لي	بعد الصبا مثل ما قد كان مقتبلا
وهل فؤادك بحر لا قرار له	تجري به سفن آمالي ولا وجلا
فان كل فتاة زوجت حملت	في زهر اكليلها النعمى أو الاجلا
هناك تعرف اما ان تسير الى	حيث النعيم واما ان تسير الى
اني أريد مساواة ومعدلة	وخير بعل بخير الخلق قد كملا
فان ظفرت بهذا منك كنت كما	ترومني واتاك القلب ممتثلا
او لا فان الذي تبغي خياطته	وطبخه فامور نيلها سهلا
تنالهـا باجور المال تبذلها	أما الفتاة واخلاص الفتاة فلا

محمود باشا سامي البارودي

ولد سنة ١٨٤٠ وتوفي سنة ١٩٠٤

أصله

لم تخل مصر في عصر من عصورها القديمة أو الحديثة من طبقة في أهلها من « المولدين » وهم المولودون فيها من آباء غرباء حتى في عهد الفراعنة والارجح ان الفراعنة انفسهم غرباء الاصل . وتوالى في وادي النيل طبقات شتى من المولدين ممن نزح اليها على اختلاف عصورها وفيهم الفرس واليونان والرومان والعرب والترك والبربر والجركس والارمن والديلم وغيرهم . وكل فئة اذا طال مكثها عدت نفسها وطنية وعدت القادمة بعدها غريبة . وآخر فئة توالدت في مصر الجركس والاتراك من بقايا المماليك . والغالب في المولدين من هؤلاء غموض منشأهم لان رباط العائلة كان ضعيفاً فيهم والرجل منهم انما ينتسب الى مالكه أو رئيسه أو يعرف بلقب يلقبونه به. فلم يعد تحقيق تلك الاصول ممكناً فيهم

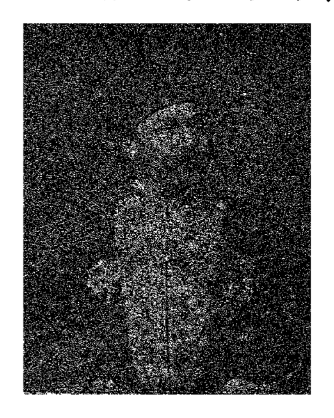
والبارودي صاحب الترجمة من مولدي الجركس بمصر ويؤخذ من صحيفة كانت عنده نشرتها مجلة المنار انه ينتسب الى نوروز الاتابكي الملكي الاشرفي ولعله أحد رجال الملك الاشرف قايتباي المحمودي المتوفى سنة ٩٠١ هـ ونستغرب ثبوت هذه النسبة للاسباب التي قدمناها من ضياع اسم العائلة عندهم حتى نوروز هذا فانه لا ينتسب الى ابيه وانما يعرف بانتسابه الى الملك الاشرف ومنها اسمه «الملكي الاشرفي». وقد كان في هذا العصر جماعة يعرفون بهذا الاسم كل منهم ينتسب الى صاحبه مثل نوروز المنصوري نسبة الى الملك المنصور ونوروز التمر علاني الاشرفي برسباي نسبة الى الملك الاشرف برسباي وقس على ذلك . وقد بلغنا نقلاً عمن عرف البارودي وعاشره انه كان شديد الحرص على معرفة نسبه وتتبعه الى أصله فبذل مبلغاً طائلاً من المال في سبيل البحث عنه في انحاء القطر ومراجعة النصوص والسؤال من أهل العلم والسن — قالوا انه انفق في ذلك نحو ثلاثة آلاف جنيه

على اننا لا نرى لصحة هذه النسبة البعيدة أو فسادها دخلاً في تقدير فضل الرجل لان المرء باصغريه وبما يحدث على يديه . ولكن المشهور ان الفقيد هو محمود باشا سامي ابن حسن بك حسني وكان ابوه هذا من أمراء المدفعية في الجيش المصري وجده عبد الله بك الجركسي من الكشاف في أوائل عهد محمد علي. والكاشف يشبه مأمور

المركز اليوم . وانما أضيف الى اسمهم لفظ البارودي نسبة الى ايتاي البارود لانها كانت في التزام أحد اجداده في عصر الالتزامات

نشأته الاولى

وُلد صاحب الترجمة في سرايه بباب الخلق سنة ١٨٤٠ وتلقى مبادىء العلم في المدارس الحربية التي انشأها محمد علي وخرج من المدرسة سنة ١٨٥٥ في أوائل ولاية سعيد باشا . وكان من نعومة اظفاره ميالا الى الادب والشعر فرغب في آداب اللغة العربية فاحرز منها شيئاً كثيراً وظهرت ثمار قريحته وامتاز شعره بالسهولة والبلاغة



(ش ٥١) : محمود باشا سامي البارودي

من عهد شبابه على قلة النابغين من الشعراء في ذلك الحين . فهو من أقوى اركان النهضة الشعرية الاخيرة بمصر

وكان مع ذلك كبير المطامع في طلب العلى — وذلك نادر في الشعراء لرقة احساسهم ولطف مزاجهم وانصراف قرائحهم الى الخيال — ولم يبال بركوب البحار في طلبها فرحل الى الاستانة يلتمس بها منصباً . وكان يتكلم التركية وهي لغة اهل الطبقة العليا بمصر في ذلك الحين ولا تزال عند بعضهم الى الآن . فانتظم في كتابة السر بنظارة الخارجية . وكانت اللغة التركية يومئذ في ابان نهضتها فتبحر في أدبها وشعرها حتى نظم فيها القصائد وتعلم الفارسية لمطالعة آداب الفرس واشعارهم ونفسه

تحنُّ الى مصر حنين كل من يقيم فيها ويتعود ماءها واقليمها . فاتفق ان الخديوي اسماعيل باشا شخص الى الاستانة سنة ١٨٦٣ على أثر ارتقائه الاريكة الخديوية فدخل صاحب الترجمة في بطانته ورجع معه الى مصر وعاد الى الخدمة العسكرية فترقى في سنة واحدة الى رتبة بيكباشي وانتدب مع جماعة من الضباط لمشاهدة بعض الحركات العسكرية في فرنسا وسافر منها الى لندرا وعاد الى مصر فرقاه الخديوي سنة ١٨٦٥ الى رتبة قائمقام في آلاي الفرسان ثم الى رتبة اميرالاي

سيرته السياسية

ولو أردنا تفصيل ما تقلب فيه من المناصب لطال بنا الكلام فنقول بالاجمال انه ذهب في حملة الجيش المصري الذي أرسلته مصر لمساعدة الدولة العلية في اخماد ثورة كريد سنة ١٨٦٨ ولما رجع ألحق بالحرس الخديوي (الياوران) فاحبه اسماعيل وزاده من قربه فجعله كاتب سره الخاص . ثم عاد الى العسكرية بعد سنتين وكان الخديوي ينتدبه في كثير من الامور الهامة الى الاستانة وغيرها . حتى اذا انتشبت الحرب بين الدولة العلية والروس سنة ١٨٧٧ أنفذت مصر نجدة من جيشها كان المترجم في جملتها مع فرقته وعند رجوعه رقي الى رتبة لواء . ولم تمنعه رتبه العسكرية من الخدمة في المناصب الادارية فعين سنة ١٨٧٩ مديراً للشرقية . واضطربت مصر يومئذ وهي السنة التي اقيل فيها اسماعيل فسبق اقالته اثارة الخواطر بالمنافسة التي جاشت في نفوس الامراء على الولاية وبما كان من تداخل الدول الافرنجية بشؤون مصر الادارية فانتدبت الحكومة صاحب الترجمة لرئاسة الضبطية لحفظ الامن وهدأ الخواطر . فلما أقيل اسماعيل وتولى المغفور له توفيق باشا الخديوي السابق أعاده الى المناصب الادارية فجعله وزيراً وقلده نظارة الاوقاف فأصلح شؤونها ونظمها — والمرءُ يتقلب في مناصب شتى ولا بد من شيء يعلق به ذهنه مما ترتاح اليه نفسه أو يدفعه الى ميله ولهذا الميل دخلٌ كبير في شؤون الامم لان الملك أو الامير اذا كان ميالا مثلا للعلم نشط أهله ورفع شأنه واذا كان من أهل اللهو رغب الناس في الملاهي . ويقال نحو ذلك في سائر المناصب الادارية . وقد تقدم ان المترجم كان مغرماً من صغره بالعلم والادب فاهتم في أمر الكتب المبعثرة في المساجد وجمعها في مكان واحد فلما أخذ المرحوم علي باشا مبارك في انشاء دار الكتب الملكية كانت هذه الكتب من جملة ما نقلوه اليها

فلما تحركت الخواطر وهبت النفوس في الثورة العرابية كان لصاحب الترجمة شأن كبير في ذلك والناس بين متهم ومبرىء . وخلاصة رأينا في المترجم انه كان من جملة المنشطين للحزب الوطني في مطالبهم سرًّا لانه كان ناظراً للاوقاف كما تقدم فكان

يحضر مجلس النظار وهواه مع العرابيين وهو يعتقد ان مطالبهم عادلة — ورجال المطامع يغتنمون هذه الفرص لنيل المناصب الكبرى وكثيراً ما كانت أمثال هذه الحركات سبباً في انتقال الملك من دولة الى دولة اذا وافقت الاحوال وتوفرت الرجال . وفي تاريخ مصر أمثلة كثيرة من هذا النوع . أما المترجم فقد كان طامعاً في منصب الوزارة وما وراءه فكان ينقل الى عرابي ورفاقه من قرارات ذلك المجلس وابحاثه ما يتعلق بهم ليحذروه أو يتهيأوا للقائه مما يطول شرحه . وقد نجح في ما كان يؤمله فتولى نظارة الجهادية ثم رئاسة النظار . فكان له النفوذ الاعظم في تلك الثورة وأما عرابي فقد تصدر لها وتظاهر بها عن صدق نية وبساطة — وهي بالحقيقة نهضة سياسية عمرانية لو أحسن أصحابها استخدامها ولو تصرفوا فيها بالحكمة والتؤدة لعادت بالنفع على الحكومة والاهالي . ولكنهم اختلفت أغراضهم وتباينت مطامعهم وغفلوا عن العواقب ولم يكن ليغفل عنها الدرب الحازم — ولكن قدر فكان

فلما دخل الانكليز مصر وقبضوا على العرابيين وحاكموهم كان صاحب الترجمة من جملة الذين حكم عليهم بالنفي الى سيلان مع زعيم الثورة وما زال هناك حتى ارجع في جملة الذين ارجعوا منذ بضعة أعوام واختصه الجناب الخديوي بارجاع حقوقه ورتبته . وظل بين أهله وذويه حتى توفاه الله في ١٢ دسمبر سنة ١٩٠٤ وقد كُفَّ بصره

هذه خلاصة سيرته السياسية وأما سيرته الادبية فمجملها انه كان محباً للادب مطبوعاً على الشعر وشعره من الطبقة الاولى بين شعراء العصر بمصر وكلهم يعترفون له بالتقدم والفضل وله منظومات رنانة سارت بذكرها الركبان ومنها ما جرى مجرى الامثال وفي جملتها قصيدة في السيرة النبوية تدخل في نحو ستمئة بيت على روي البردة مطلعها :

يا رائد البرق يمم دارة العلم واحدُ الغمام الى حي بذي سلم

واليك امثلة مما بلغ الينا من منظوماته — قال في وصف الليل من قصيدة بعث بها من جزيرة سيلان الى الامير شكيب ارسلان :

وترى الثريا في السماء كأنها حلقات قرط بالجمان مرصع
بيضاء ناصعة كبيض نعامة في جوف أدحيٍّ بأرض بلقع
وكأنها أكر توقد نورها بالكهرباءة في سماوة مصنع
والليل مرهوب الحمية قائم في مسحه كالراهب المتلفع
متوشح بالنيرات كباسل من نسل حام بالُّلجين مدرع

حسب النجوم تخلفت عن امره فوحى لهن من الهلال باصبع

وقال من قصيدة يعزي بها صديقنا خليل بك مطران عن فقد عمه حبيب باشا مطران

اعزيك لا اني اظنك عاجزاً لخطب ولكنني عمدت لواجب
وكيف أعزي من فرى الدهر خبرة . وأدرك ما في طيه من عجائب
فيا حي مهلاً فلست بواجد سوى حاضر يبكي لجيعة غائب
وصبراً فان الصبر اكرم صاحب لمن بان عن مثواه اكرم صاحب

ونظراً لما فطر عليه من الميل الى الجندية فقد اجاد كثيراً في نظم الفخريات ومنها ابيات يتمثل بها الناس كقوله من قصيدة عارض بها قصيدة ابي فراس :

من النفر الغرّ الذين سيوفهم لها في حواشي كل داجية فجرُ
اذا استلّ منهم سيدٌ غرب سيفه تفزعت الافلاك والتفت الدهرُ

وقوله من قصيدة اخرى :

وفيت بما ظنّ الكرام فراسة بامري ومثلي بالوفاء جديرُ
وأصبحت محسود الجلال كأنني على كل نفس في الزمان اميرُ
اذا صلتُ كفّ الدهر من غلوائه وان قلت غصت بالقلوب صدورُ

ومن هذا القبيل قوله من قصيدة يصف بها الحرب بجزيرة كريد :

والخيل واقفة على ارسانها لطراد يوم كريهة ورهان
وضعوا السلاح الى الصباح واقبلوا يتكلمون بألسن النيران
حتى اذا ما الصبح أسفر وارتمت عينان بين ربى وبين مجان
فاذا الجبال اسنة واذا الوها د أعنة والماء احمر قان

وله من الشعر الوصفي قصيدة يصف بها عصفوراً على غصن وقد ابدع فيه قال :

ونبأة أطلقتْ عينيَّ من سنةٍ كانت حبالة طيف زارني سحرا
فقمت أسأل عيني رجع ما سمعت أذني فقالت لعلي ابلغ الخبرا
ثم اشرأبت فألفت طائراً حذراً على قضيب يدير السمع والبصرا
مستوفزاً ينزى فوق أيكته تنزي القلب طال العهد فاذكرا
لا يستقر له ساق على قدم فكلما هدأت انفاسه نفرا
يهفو به الغصن أحياناً ويرفعه دحو الصوالج في الدعوة الاكرا
ما باله وهو في امن وعافية لا يبعث الطرف الا خائفاً حذرا
اذا علا بات في خضراء ناعمة وان هوى ورد الغدران أو نقرا

يا طير نفرت عني طيف غانية قد كان اهدى لي السراء حين سرى
حوراء كالريم الحاظاً اذا نظرت وصورة البدر اشراقاً اذا سفرا
زالت خيالتها عني واعقبها شوى احال عليَّ الهم والسهرا
فهل الى سنة ان اعوزت صلة عود تنال به من طيفها الوطرا

وكان اذا عارض المخضرمين أو الجاهليين جاء نظمه مثل نظمهم متانة وعلوًّا . فمن قصيدة عارض بها دالية النابغة الذبياني قوله في وصف الفرس :

ولقد هبطت الغيث يلمع نوره في كل وضاح الاسرة اغيد
تجري به الآرام بين مناهل طابت مشاربها وظل ابرد
بمضمر ارنٍ كأن سراته بعد الجميم سبيكة من عسجد
خلصت له اليمنى وعم ثلاثة منه البياض الى وظيف اجرد
فكأنما انتزع الاصيل رداءه سلباً وخاض من الضحى في مورد
زجل يردد في اللهات صهيله دفعاً كزمزمة الحبي المرعد
متلفتاً عن جانبيه يهزه مرح الصبا كالشارب المتغرد
فاذا ثنيت له العنان رأيته يطوي المعاهد فدفداً في فدفد
يكفيك منه اذا استحس بنبأة شدًّا كأهبوب الاباء الموقد
صلب السنابك لا يمر بجلمد في الشد الا رض فيه بجلمد
نعم العتاد اذا الشفاه تقلصت يوم الكريهة في العجاج الاربد

وله من قصيدة نظمها في منفاه يصف بها حاله هناك :

محا البين ما ابقت عيون المهى مني فشبت ولم اقض اللبانة من سني
عناء ويأس واشتياق وغربة ألا شد ما ألقاه في الدهر من غبن
فان أكُ فارقت الديار فلي بها فؤاد اضلته عيون المهى عني
بعثتُ به يوم النوى أثر لحظة فاوقعه المقدار في شرك الحسن
فهل من فتى في الدهر يجمع بيننا فليس كلانا عن أخيه بمستغن
ولما وقفنا للوداع واسبلت مدامعنا فوق الترائب كالمزن
أهبت بصبري ان يعود فعزني وناديت حلمي أن يثوب فلم يغن
وما هي الا خطرة ثم اقلعت بنا عن شطوط الحي اجنحة السفن
فكم مهجة من زفرة الوجد في لظى وكم مقلة من غزرة الدمع في دجن
وما كنت جربت النوى قبل هذه فلما دهتني كدت اقضي من الحزن
لكنني راجعت حلمي وردني الى الحزم رأي لا يحوم على أفن

ولولا بنيات وشيب عواطل لما قرعت نفسي على فائت سني

وقال من قصيدة يصف بها حرب الروس :

ادور بعيني لا أرى غير أمة من الروس بالبلقان يخطئها العدُّ
جواثٍ على هام الجبال لغارة يطير بها ضوء الصباح اذا يبدو
اذا نحن سرنا صرح الشر باسمه وصاح القنا بالموت واستقتل الجند

وختم شعره بابيات فخرية وهي :

انا مصدر الكلم النوادي بين الحواضر والبوادي
انا فارس انا شاعر في كل ملحمة وناد
فاذا ركبت فانني زيد الفوارس في الجلاد
واذا نطقت فانني قس بن ساعدة الايادي
هذا وذلك ديدني في كل معضلة ناد

ونظراً لمنزلته الرفيعة في نفوس الشعراء فقد اجتمعوا على ضريحه في الامام الشافعي يوم الاربعين من وفاته ورثوه وابنوه بما لم يسبق له مثيل الا ما يقال عن توافد الشعراء لرثاء المعري على قبره

عبده الحمولي

المغني المصري الشهير

ولد نحو سنة ١٨٤٥ وتوفي سنة ١٩٠١

ان الامة شديدة التعلق بموسيقيها وشعرائها وخطبائها ومن جرى مجراهم من رجال الادب ممن يشاركون الناس في احساسهم. فالشعراء يصورون عواطف الامة ويدافعون عن اعراضها . والخطباء يحركون حماساتها ويجمعون كلمتها . والموسيقيون ومنهم المغنون يطربونها ويشرحون صدورها . ويشتد شعور الامة بفضل اولئك الرجال ويتعاظم اسفها على ضياعهم بنسبة مبلغها من التقدم في معارج المدنية

نعم ان الامة اذا تمدنت عرفت قدر مخترعيها وعلمائها وفلاسفتها وساستها وغيرهم من رجالها العظماء فتنحت لهم التماثيل وتقيم لهم الانصاب وتؤلف الكتب في الثناء عليهم . ولكنها تفعل ذلك مدفوعة باقرارها بالجميل. وأما الشعراء والموسيقيون والخطبا فانها تشعر بفقدانهم شعور الصديق بموت صديقه أو الوالدة بضياع ولدها . فتبكيهم بلا كلفة ولا صناعة والفيلسوف استاذ الامة وحكيمها والمخترع ساعدها وخادمها في تسهيل أعمالها — واما الشاعر فانه يترجم عواطفها ويصور ارادتها . والموسيقي ينفس كربها وينعش روحها والخطيب ينهض همتها ويجمع كلمتها — ففي موت أحدهم تأثير على النفس يثير العواطف ويهيج الشجون وفي حياته حياتها الادبية — والامم المتمدنة تكون آدابها كما يشاء شعراؤها وخطباؤها وموسيقوها — فلا غرو اذا جن الناس باهل تلك القرائح

ألا ترى ما فعل الفرنساويون بفيكتور هيكو شاعرهم وكاتبهم وقد عشقوه حتى كادوا يعبدونه فحملوه على اكفهم وهو حي وطافوا به الشوارع والازقة ينادون بفضله وقس على ذلك ما تبديه الامم المتمدنة من أمثال ما تقدم

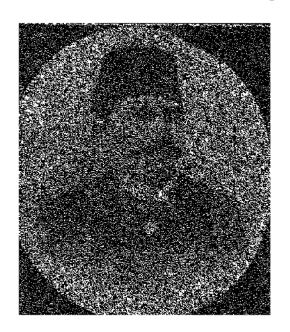
على ان اكرام الشعراء طبيعي حتى في عصور البداوة . فقد كان الشعراء في ... العرب حماة الاعراض تتفاخر بهم القبائل وتستحث قرائحهم في الدفاع عنها

ويسرنا ان نرى ذلك الشعور قد اينع في وادي النيل في أواخر القرن الماضي على أثر ما بلغته مصر من الارتقاء

فقد انبأنا صديق نثق بصدق روايته ان جماعة من أدباء المصريين في بعض مدن

الصعيد لما بلغهم منعى الشاعر المرحوم الشيخ نجيب الحداد وكانوا من قراء أشعاره ورواياته لم يكتفوا بالبكاء والرثاء ساعة الفاجعة ولكنهم تحالفوا على ندبه في كل حين — قال الراوي « واشتد بهم الاسف حتى تواطأوا على ترك الدنيا والاسراف في صحتهم حتى يلحقوا به » ومهما يكن من بعد هذا القول عن الحكمة والتعقل مع ما يتخلله من دلائل الطيش فانه يدل على درجة اشتراك عواطف الامة بشعرائها

والموسيقى أخت الشعر وتأثيرها اعم من تأثيره لان الشعر لا يؤثر الا على الذين يفهمونه ولا يستطيع ذلك غير الادباء المتعلمين . وأما الموسيقى فيفهمها ويتأثر منها كل ذي نسمة حية حتى الحيوان الى أدنى طبقاته . فالموسيقى ومن في معناه كالمغني والمنشد يشارك الامة في احساسها بل هو يتلاعب بعواطفها كما يشاء . ويغلب ان



(ش ٥٢) : عبده الحمولي

يدعو الى انشراح الصدور وزوال الهموم . ومصر من اكثر بلاد الارض حاجة الى دواعي الافراح لان اقليمها حار يورث الخمول ويضيق الصدر . وبقاعها متشابهة لا جبال فيها تشرح الصدر بمناظرها ولا بحار واسعة يسرح فيها البصر ولا غير ذلك من المناظر الطبيعية . فلا يجد المرء فرجاً من ضيقه الا بالمجالسة والمحادثة وما يلحق بذلك من المسامرة والمنادمة والغناء وضرب الآلات ونحو ذلك من بواعث الطرب وبالانتخاب الطبيعي انطبع المصري على لطف الحديث واصبح شديد التأثر من ألحان الغناء — فلا غرو والحالة هذه اذا أسف المصريون على عبده الحمولي وهو بلبل افراحهم بل هو أعظم مغن عربي في العالم اليوم . وما من بلد في وادي النيل لم يسمع أهله غناء

(سي عبده) ناهيك بما بلغ من شهرته في أقطار العالم الشرقي . ذلك ما حدا بنا الى نشر ترجمة حاله وجل اعتمادنا في ذلك على ما كتبه صديقه ابراهيم بك المويلحي محرر مصباح الشرق قال —

﴿ ترجمة حاله ﴾ وُلد بمدينة طنطا وكان ابوه يمارس تجارة البن وكان للمرحوم أخ اكبر منه فوقع شقاق بين أخيه وابيه ففر به أخوه من وجه ابيهما هائماً به في الخلوات وكان كلما تعب المرحوم عبده من السير لصغر سنه حمله اخوه على كتفه . حتى دنا الغروب وهما على آخر رمق من الجوع والعطش وتعب السير لا يجدان أحداً يأنسان به أو يلجآن اليه . الى ان سخر الله لهما رجلاً آواهما وسد رمقهما في ليلتهما ثم اقاما عنده اياماً . ومن غريب الاتفاق ان الرجل كان يشتغل بصناعة الغناء ويضرب الآلة المعروفة بالقانون في طنطا فسمع صوت المرحوم في بعض روحاته وغدواته فاعجبه فعاد به الى طنطا واشتغل معه هناك مدة وجيزة . وقد بقي تأثير تلك الوحشة والانفراد مع التعب والجوع في تلك الليلة التي خرج فيها المرحوم من بيت ابيه مرسوماً في رأسه فكنت تراه في آخر عمره ينقبض صدره ويقطب وجهه كلما آن الغروب . وطالما قص هذه القصة على خلصائه ممن كانوا يعجبون لانقلابه الفجائي من السرور الى الانقباض في ذلك الميعاد

ثم رأى ذلك الرجل الذي آواه عنده واسمه المعلم شعبان ان يحضر به الى مصر فاشتغل معه في قهوة معروفة في ذلك العهد بقهوة عثمان اغا في غابة اشجار كانت موضع حديقة الازبكية . فاتسع به رزقه وخاف أن يخرج من يده ويستميله غيره من أهل هذه الصناعة فيضيع عليه رزقه فرأى ان يربطه به بعقد زواجه من ابنته فاستذله واسره وانقلب يعامله اسوأ المعاملة . وكان في مصر رجل طائر الصيت في فن الغناء اسمه « المقدم » اعجب بالمرحوم فسعى جهده ليلحقه به ويشتغل معه في « تخته » حتى وصل الى غرضه وجذب المرحوم اليه وفصل بينه وبين زوجته قطعاً لعلاقته بصاحبه وانقذه مما كان فيه واستمر معه يغني على الطريقة التي كانت معروفة عند المصريين في ذلك العهد

﴿ تاريخ الغناء بمصر ﴾ وأصل طريقة الغناء بمصر على ما يعلم من تاريخ وضعها ان رجلاً من أهالي حلب اسمه شاكر افندي وفد الى القطر المصري في المائة الاولى بعد الالف وكان فن الالحان فيه مجهولا . فنقل اليه جملة تواشيح وقدود وكانت هي البقية الباقية من التلاحين التي ورثها أهالي حلب عن اهل الدولة العربية فتلقاها عنه بعضهم وصارت عندهم ذخيرة نفيسة يضنون بها على الغير . واشتد حرصهم عليها وصار

الوافقون عليها يحرمون الناس من تلقيها . وبقيت بينهم على بساطتها الاصلية يتصرفون فيها بدون الشد والتصوير . فكانت قاصرة على أمهات المقامات وبعض الفروع المقاربة لها وكانت بالنسبة للغناء مثل حروف الهجاء بالنسبة للكلام

واقام المغنون في مصر على هـذه الطريقة البسيطة لا يتصرفون فيها الى عصر عبده الحمولي فتلقاها المرحوم منهم على أصلها وغنى بها مدة ثم دفعته سجيته في الطرب وحسن ذوقه في الغنـاء ان يتصرف فيها مع المحافظة على الاصل وعدم الخروج عن دائرته فازال عنها بعض الجفوة . وما زال يرتقي المرحوم في شهرته بحسن الغناء حتى ألحقه المغفور له اسماعيل باشا بمعيته فسافر معه الى الاستانة مراراً وسمع هناك آلات الموسيقى التركية . وجلب اسماعيل باشا في عودته الى مصر جماعة من اكابر المغنين فيها فكان المرحوم يحضر معهم دائماً في اشتغالهم بالغنـاء . فاستمالته ألحانهم واخذ ينتقي منها ما يلائم المزاج المصري ويناسب الطريقة العربية ورأى المجال واسعاً له في الموسيقى التركية اذ وجد فيها كثيراً من النغمات التي لم يكن للمصريين علم بها ولم تطرق آذانهم من قبل مثل النهاوند والحجاز كار والعجم وغيرهـا فنقلها الى الغناء المصري . ثم التفت الى بقية مصطلحات الغناء في الطبقات المختلفة من ذلك العصر مثل المنشدين المشهورين باولاد الليالي (الفقهاء)والعوالم(القيان)والمداحين(الضاربين بالدفوف) والتقط منهم ما استنسبه فاضافه مع المختار من الغناء التركي وخلطه بالطريقة القديمة فجعلها طريقة جديدة خاصة به . وظهر في مصر وفيها شيوخ المغنين فصـار شيخاً عليهم . وقد دعاهم جهلهم بما صنعه الى استنكار طريقته في أول الامر ولكن ما لبث الناس ان ذاقوا حلاوتها وطلاوتها فعم استحسانها وذهب استنكارها وانتصر بحسنها عليهم وله فيها من التلاحين أشياء كثيرة

﴿ مزاياه ﴾ ومن مزاياه في صناعته انه كان شديد الطرب لا يقل طربه في اثناء تأديته للغناء عن طرب السامع له. وهو أول مغن مصري اهتدى الى حسن الاداء واستصحاب حركة الغناء بالاشارات التي تقوم مقام الحكاية . وكان شديد الحفظ لما يسمعه مجتهداً دائماً في استخراج محاسن المسموع وطرح معايبه ذا قدرة على أن يبدل القبيح فيه بالحسن . وكان ذهنه شديد التعلق بالنغم فلا يكاد ينساه وربما نام وهو على « التخت » في أثناء الغناء ثم يستيقظ فيرجع الى الغناء كما كان فيه من غير مراجعة آلة او استرشاد باحد ممن معه كانما كانت الطبقة رسخت في ذهنه فلم تشوش عليها الاصوات التي مرت عليه وهو في نومه ولم تؤثر عليه الغيبوبة في شيء . وكان لطيف التنقل يوهم السامع في غنائه بأن مراده ما هو فيه حتى اذا رسخ ذلك في ذهنه انتقل منه الى مقام آخر يدهش

السامع ثم يتدرج حتى يعود الى ما كان عليه وذلك من أعظم المزايا وأكبر الفضل في هذا الفن

وجملة القول في باب الغناء ان المرحوم جدد فيه وأبدع وأحياه في مصر بعد أن كان شيئاً خاملاً . ثم تمكن فيه من التوفيق بين المزاجين التركي والمصري فبعد أن كان أهل الطبقة الحاكمة في المصريين من الاصل التركي لا يطربون للغناء المصري ولا يلتفتون اليه أصبحوا بفضل المرحوم وبما وفقه فيه من الانغام التركية مقبولاً عندهم مفضلاً لديهم . وبعد أن كان المصريون لا يطربون من الغناء التركي ولا يروقهم غير طريقتهم طريقة التوجع والانين اصبحوا يطربون لما يلائمهم من الانغام التركية التي أنعش بها طريقتهم القديمة . فهو الجدير بان يسمي في مصر معدل المزاجين بين الامتين. وكما امتزج الجنسان في الاجسام بالانساب فقد مزج بينهما عبده بالغناء في الارواح . وكفاه فخراً أنه لم يصل احد من قبله وان يصل من بعده الى مثل ما وصل اليه من هذا الابتداع والاختراع الذي اهتدى اليه بما ميزه الله به من لطف الذوق وشدة الذكاء وحدة الطرب ومحبة الاتقان والترقي في درجات الكمال

(أخلاقه) وكان كبير النفس عالي الهمة يحاول الارتفاع عن طبقته ويسعى في الخروج منها مقتصراً على الاشتغال بالفن لذاته لجهل الناس في جيلهم الماضي بعلو قدر هذا الفن وغفلتهم عن جلال منزلته بين الفنون . وقد عمد المرحوم الى ذلك بالفعل في ايام المغفور له اسماعيل باشا فترك مزاولة صناعته بالاجرة بين الناس وخرج من زمرة المغنين الى زمرة التجار غير طامع في الذهب الذي كان يسيل من حياله بممارسة صناعته في تلك الاوقات . فافتتح محلاً لتجارة الاقمشة واشترك فيه مع بعض التجار بمبلغ عشرين الف جنيه فما مضى عليها عشرون شهراً الا وانتهت به سلامة نيته وحسن ثقته ان خرج منها اصفر اليد مديناً لشريك دائناً للناس يمنعه الخجل ويحجبه الحياء عن طلب الوفاء . ولم يمتنع في اثناء ذلك عن الغناء بين الناس بل امتنع عن طلب الاجر عليه . الى ان عادت به حاجة العيش الى مزاولة صناعته كما كان في اول امره . ولم يزل يتطلع الى غرضه في الانقطاع عنها كما فعل ودهره يحول دونه فلم يستطع بلوغه الى آخر مدته

وكان شهماً غيوراً شريف السيرة يغار لنفسه ولاعراض الناس لا يبالي في ذلك بهول المواقف وفداحة الخطوب . أمر له المغفور له اسماعيل باشا ذات ليلة باحضار المرحومة ألمز لتغني في بعض قصوره وهو في عزة سلطانه وشدة بطشه لا يعصى له الناس امراً ولا يخالف هواه الا من ارتضى لنفسه سكنى القبور . ولا يحلم احد في

منامه أن يقف موقف المعارض في رغبته أو المانع لاشارته . فتوقف المرحوم عبده وكان قد تزوج بها بعد أن منعها عن ممارسة الغناء وأبى أن تخرج من بيته . فعاوده الطالب بالتشديد فاستمر على ابائه الى ان وصل الامر الى استعمال القوة . فأرسل مأمور الضابطة بعض أعوانه الى منزله وأرادوا اخراجها منه بالقوة . فوقف امامهم وقفة الليث يحمي أشبال العرين . وفضل الموت أو النفي على أن تغني المرحومة لحناً واحداً لاحد وهي في عصمته . ولما لم يفده موقفه أمام القوة بفائدة استمهلهم ريثما يعود اليهم . فدخل البيت والقي بنفسه الى حائط الجار وخرج منها الى الطريق لاجئاً الى صديقه المرحوم الشيخ علي الليثي فكاشفه بما هو فيه من هول الخطب . وكان هذا الشاعر المرحوم ممن جمع الله له أيضاً كثيراً من المزايا الفاضلة والاخلاق الكريمة وأخصها علو الهمة والسعي لخير الناس . وكان ذا مكانة رفيعة عند المرحوم اسماعيل باشا صديق فقام اليه في الحال وتواقع الشيخ عليه يلتمس حسن الوساطة لدى ذلك الحاكم القاهر ليرجع في أمره . فقام الوزير من ساعته وقصد مولاه وتلطف له ما أمكن في الاعتذار وما زال به حتى رجع عن طلبه ورضي بعصيان عبده لطاعته وخلص المرحوم من هذه الحادثة معافىً في نفسه مصاباً في جسمه . فقد تولد له من اضطراب أعصابه من شدة ما قاساه في هذه النازلة داء الصداع فلم يفارقه طول حياته . وكانت اذا اعترته نوبته القته على الارض صريعاً يتخبط في أشد الآلام لا يكاد من يراه على تلك الحال يصدق بنجاته فيها . فاذا افاق لزم الفراش من عظم وقعها مدة طويلة . ولم ينجع في ذلك الداء معالجة الاطباء . وسافر المرحوم في سنة ١٨٩٦ الى الاستانة العلية وحظي هناك بالمثول في الحضور الشاهاني مراراً وأعجب أمير المؤمنين بمهارته في فنه وحسن تأديته له فاسنى عطيته وبلغه حسن رضائه وكان الواسطة بينهما للتبليغ في ذلك المجلس السيد ابي الهدى . ومما تلقاه عنه من أوامر أمير المؤمنين أن يلقن ما غناه في حضرته من الاصوات لبعض ضباط الموسيقى الشاهانية فلقن المرحوم منه ما أمكنه ولم يسع الوقت تمام القيام بالامر فوعد أنه سيشتغل عند عوته الى مصر بربط تلك الاصوات برابطة « النوطة » ثم يعرضها على الاعتاب الشاهانية ليسهل اخذها على ضباط الموسيقى

فلما عاد الى مصر أتمها عشرين صوتاً (دوراً) مربوطة (بالنوطة) وأرسلها من طريق رسمي الى الاستانة فلم يلق فيها ما يحقق آماله

(وفاته) وعاد الى مصر مصاباً بداء « البول السكري » فانهك جسمه وأضعف قواه وغادر حلوان الى سكنى مصر وقد تراكمت عليه هموم الحياة فزادت

الشعراء

﴿ تم الفهرس ﴾

*